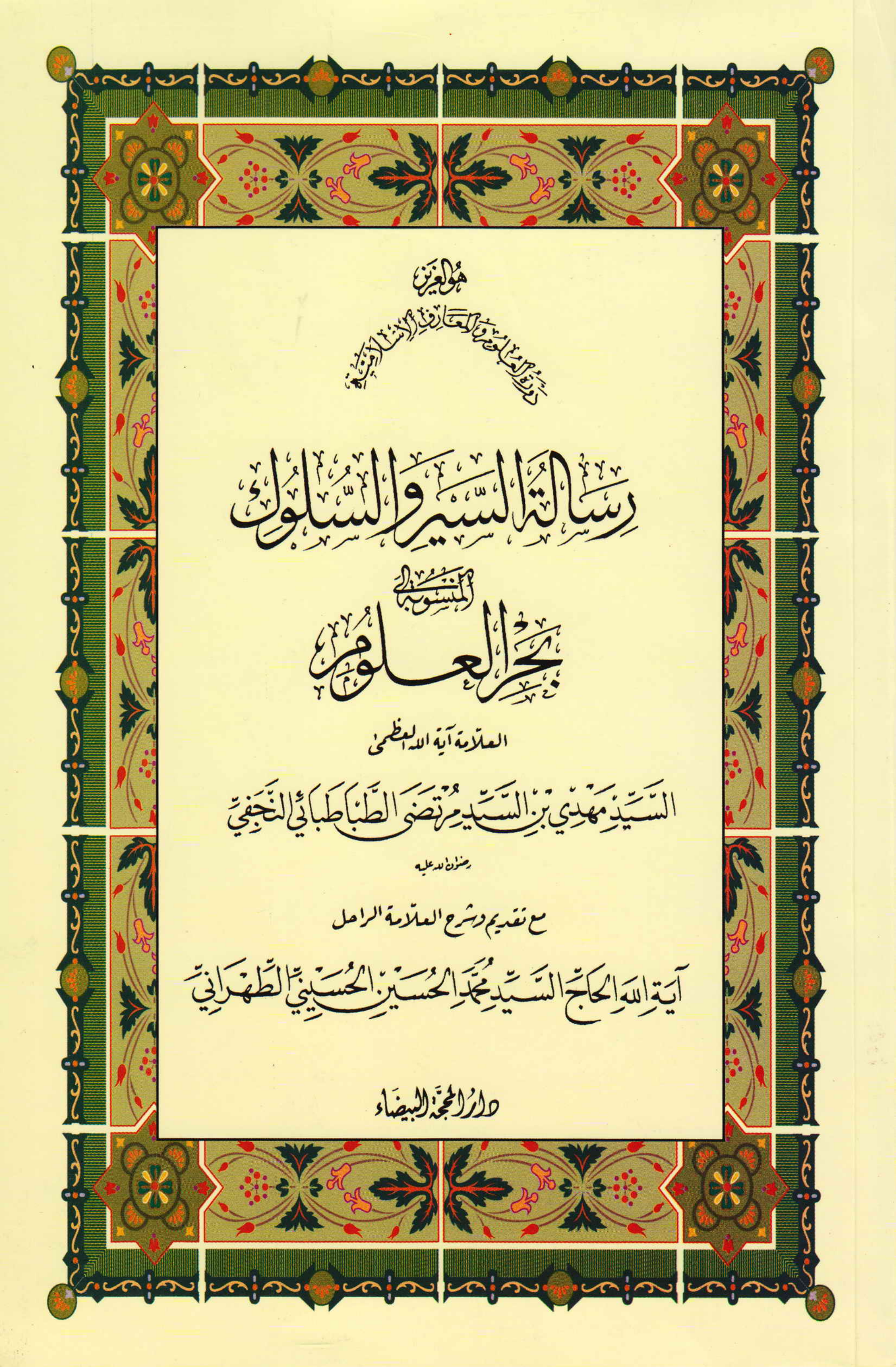

هو العزيز
دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة
رسالة السير والسلوك
المنسوبة إلى
بحر العلوم
العلّامة آية الله العظمى
السيّد مهدي بن السيّد مرتضى الطباطبائي النجفي
رضوان الله عليه
مع تقديم وشرح العلّامة الراحل
آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني
دار المحجّة البيضاء

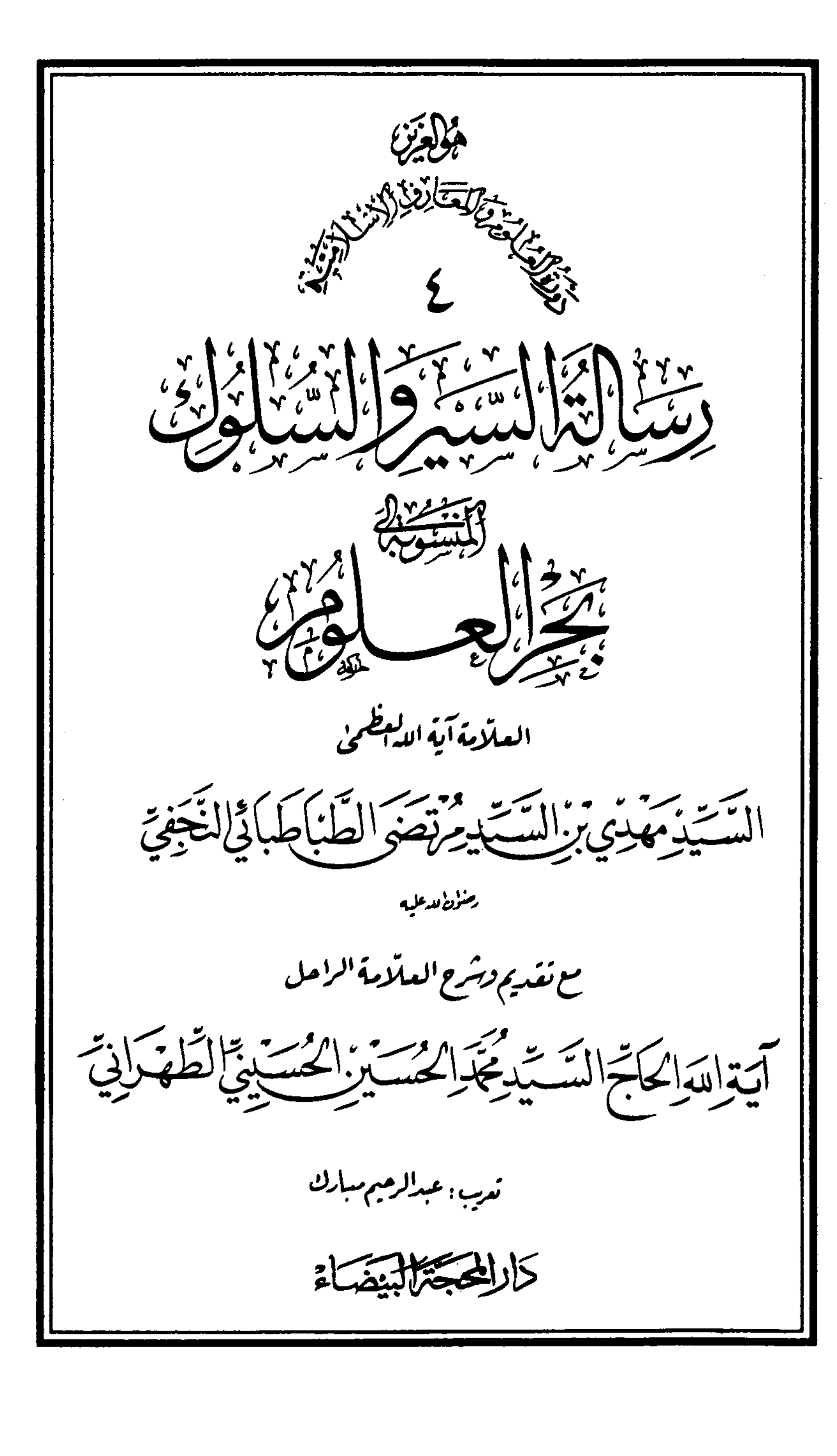

بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م



بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ خليوي : ٠٣/٢٨٧١٧٩



هو العزيز

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٤

رسالة السير والسلوك

المنسوبة إلى

بحر العلوم

العلامة آية الله العظمى

السيد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي النجفي

رضوان الله عليه

مع تقديم وشرح العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

تعريب: عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

بحر العلوم ، محمّد مهدي بن مرتضى ، ١١٥٥ ـ ١٢١٢ هـ . ق .
رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم / مهدي بن السيّد مرتضى الطباطبائيّ النجفيّ ، مع تقديم وشرح السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ . ـ بيروت : دار المحجّة البيضاء ، ١٤٢١ ـ هـ . ق .
٣٠١ ص . ـ (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ؛ ٤)
الطبعة الأُولى : ١٤٢٢ ـ هـ .
العنوان .
٢٩٧/٨٤ BP٢٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسّسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

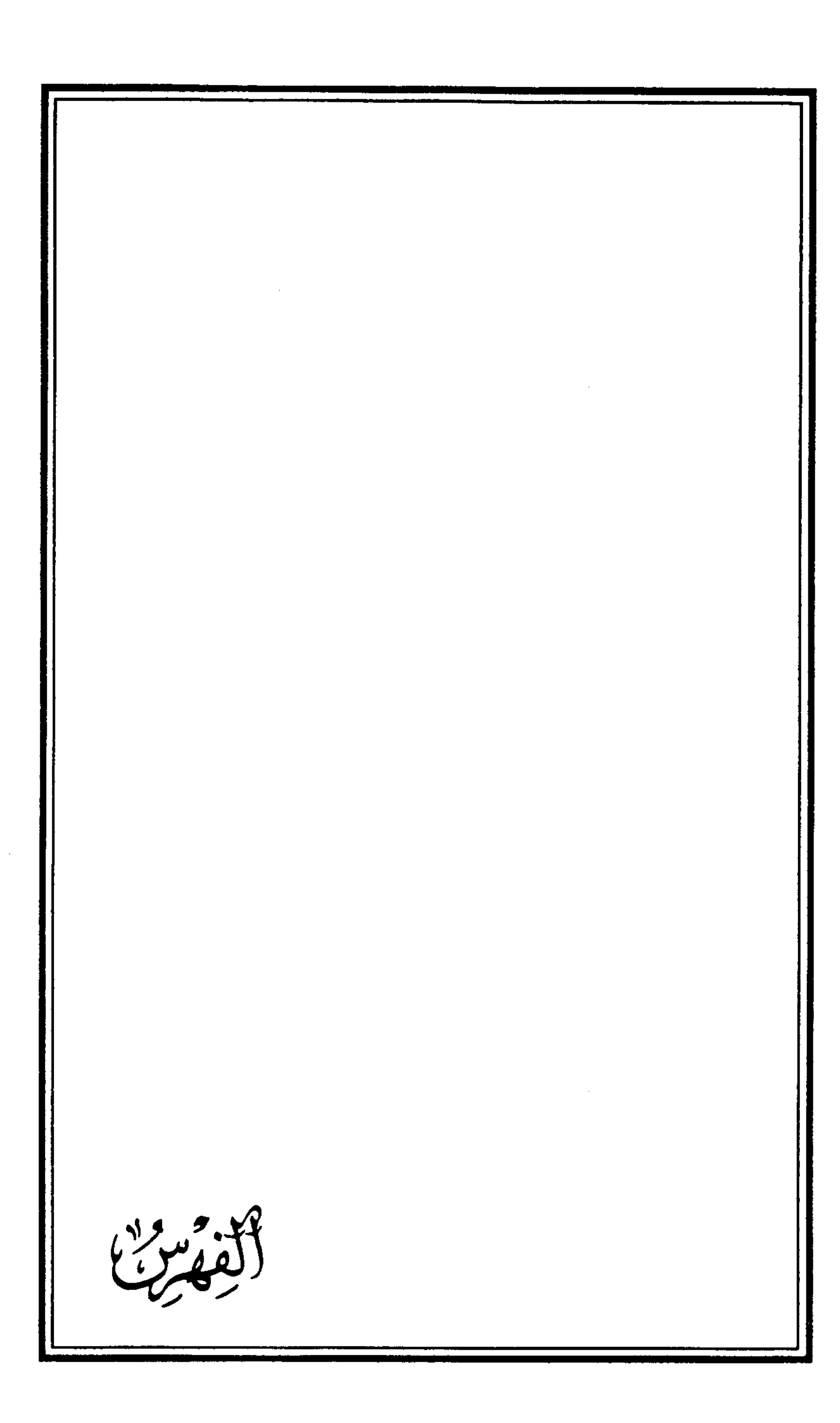
العلاّمة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة (٤)

رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

المؤلف : سماحة العلاّمة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة
تعريب : عبد الرحيم مبارك
الطبعة الأُولى : ١٤٢٢ هجريّة قمريّة
عدد النسخ : ٢٠٠٠
الناشر : دار المحجّة البيضاء

مشهد المقدّسة ـ إيران ص . ب ٩١٣٧٥/٦١٤٩


الفهرس

فهرس مطالب وموضوعات
رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

فهرس المطالب والموضوعات

القسم الثاني

في طريق السلوك إلى الله وفق بيانَينِ

يشمل المطالب التالية :

رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

فهرس المطالب والموضوعات

رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

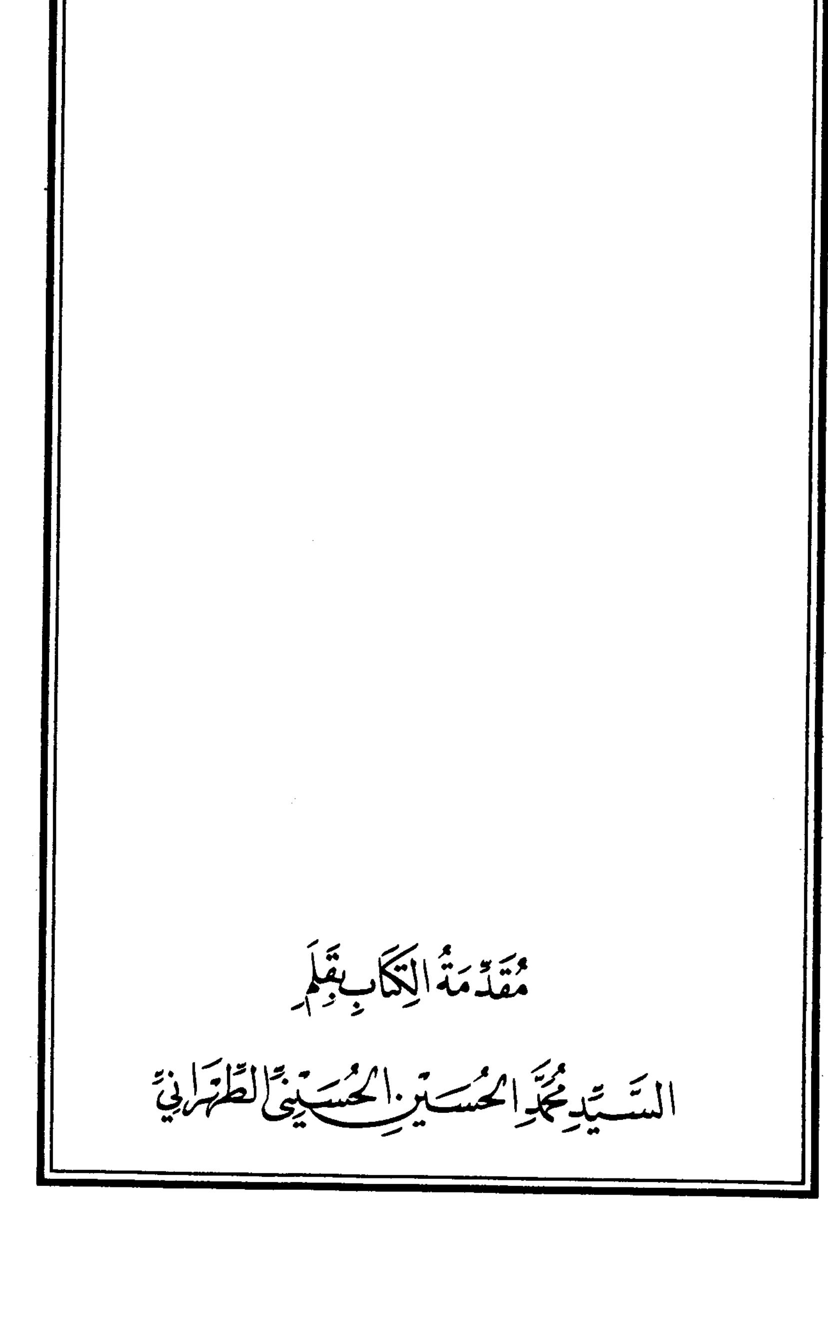
فهرس تعليقات الشارح

المطالب	الصفحات

فهرس تعليقات الشارح

المطالب	الصفحات

فهرس تعليقات الشارح


مُقدِّمةُ الكتابِ بقَلَم
السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الحُسَيْنِ الحُسَيْنيّ الطَّهرانيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

وبعد ، فقد اتّفق في زمن اشتغال الحقير الفقير بالتحصيل في الحوزة العلميّة المقدّسة في قم ، أن وقعت بيدي رسالة خطّيّة تحمل عنوان «تُحفة المُلوك في السير والسلوك ، منسوبة إلى مولانا السيّد مهدي بحر العلوم» ، وكانت النسخة عائدة إلى المرحوم حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ . وقد استحوذت تلك النسخة على اهتمامي ، فاستعرتُها من المُشار إليه لاستنساخها ، فنسختُ منها نسخة لنفسي سنة ١٣٦٦ ه ، بَيدَ أنّها كانت نسخة مغلوطة إلى درجة كبيرة ، بحيث تسرّب الإبهام إلى بعض مواضعها ، ولذا فقد سعيتُ في الحصول على نسخة صحيحة من الرسالة المذكورة لأقوم بتصحيح النسخة الأُولى على أساسها . فلمّا تشرّفت بالذهاب إلى النجف الأشرف للدرس والتحصيل ، عثرتُ على نسخة أُخرى منها

لدى حجّة الإسلام آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس هاتف القوجانيّ دامت بركاته[1]، فاستعرتها منه، ثمّ اتّضح أنّها كانت لا تقلّ عن سابقتها في الأغلاط، فلم تنفع إلّا في تصحيح موارد معدودة.

ثمّ حصل بعد عودتي من النجف الأشرف سنة ١٣٧٦ هـ أن تشرّفت بالمثول في محضر الأُستاذ المكرّم العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه العالي، فأخبرني أنّ لديه نسخة من هذه الرسالة على درجة كبيرة من الصحّة استنسخها بيده. ثمّ أضاف: لقد عثرتُ زمن اشتغالي بالتحصيل في تبريز على نسخة من هذه الرسالة فاستنسختها، إلّا أنّها كانت مليئة بالأغلاط. فلمّا تشرّفت بالذهاب إلى النجف الأشرف وجدت نسخة مماثلة لدى أُستاذي المرحوم الحاجّ الميرزا علي أقا القاضي رضوان الله عليه، وكانت ـ كنسختي ـ مغلوطة، ثمّ تبيّن أنّ أصل نسخته ونسختي كان واحداً. وكانت نسخة المرحوم القاضي مكتوبة بخطّ رديء، أشبه بخطّ طفل لم ينقضِ على ذهابه إلى المدرسة زمن طويل، ولذلك فقد كانت مليئة بالأغلاط. ثمّ إنّي عثرتُ لدى أُستاذي في علوم

١ـ تكرّر أمثال هذه التعبيرات في الكتاب، إذ أُلّف سنة ١٣٩٣ هـ، وقد حافظنا على تعبير المصنّف قدّس سرّه كما ورد، لذا اقتضى التنويه. (المترجم)

الرياضيّات والهيئة : المرحوم السيّد أبي القاسم الخونساريّ على نسخة على درجة كبيرة من الصحّة، مكتوبة بخطّ جميل على ورق جيّد، وكانت تضمّ جداول، فأخذتها منه لاستنساخها، فنسخت منها نسخة سنة ١٣٥٤ هـ، وكان تأريخ كتابة تلك النسخة يسبق زمن استنساخي بتسعين سنة ـ انتهى كلام الأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه.

وهكذا فقد استعار الحقير منه هذه النسخة لاستنساخها، فتفضّل بها بجلال كما هي شيمته دوماً، فاستنسختُ على نسخته ـ وبدقّة ـ هذه النسخة التي بين أيديكم، والتي تعدّ على درجة كبيرة من الصحّة والاعتبار، هذا من جهة تأريخ النسخة وصحّتها.

أمّا عن انتسابها إلى المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليه، فقد سمع الحقير مشافهة من المرحوم آية الله الميرزا السيّد عبد الهادي الشيرازيّ رضوان الله عليه أنّه قال : أظنّ ظنّاً قويّاً أنّ هذه الرسالة ـ عدا فقراتها الأخيرة ـ هي من تأليف وإنشاء بحر العلوم.

كما سمعتُ شفاهاً من المرحوم العلّامة الخبير آية الله الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ ـ وهو من مشايخ الحقير في الإجازة ـ أنّه قال : عندي أنّ هذه الرسالة ـ عدا أواخرها ـ هي بقلم المرحوم

بحر العلوم.

أمّا في كتاب «الذريعة» ج ١٢، ص ٢٨٥ فقد جاء:

«رسالة في السير والسلوك تُنسب إلى سيّدنا بحر العلوم السيّد مهدي بن مرتضى الطباطبائيّ البروجرديّ النجفيّ، المتوفّى ١٢١٢، فارسيّة في ألفَي بيت، لكنّها مشكوكة فيها، والنسخة موجودة في النجف في بيت بحر العلوم» إلى أن يصل إلى قوله: «ورأيتُ نسخة أخرى فيها زيادات وبسط ألفاظ وعبارات سمّاه في أوّلها «تُحفة الملوك في السير والسلوك» وإنّه لبحر العلوم ... ومرّت رسالة السير والسلوك المعرّب لهذه الرسالة ص ٢٨٢» ـ انتهى.

وجاء في ص ٢٨٢:

«رسالة في السير والسلوك هو تعريب السير والسلوك الفارسيّ المنسوب إلى سيّدنا بحر العلوم، عرّبه الشيخ أبو المجد محمد الرضا الإصفهانيّ بالتماس السيّد حسين بن معزّ الدين محمّد المهدي القزوينيّ الحلّيّ في داره بالنجف في «البرّانيّ» في عدّة ليال بعد الساعة الخامسة من الليل. وذكر أبو المجد أنّه ألّفه بحر العلوم بـ«كرمانشاه». ثمّ يقول: «أقول: نسبة نصفه الأخير إليه مشكوكة، لأنّه على مذاق الصوفيّة، فلو أثبت أنّها له فإنّما هو النصف الأوّل فقط كما يأتي في ص ٢٨٤» ـ انتهى. وهذا هو نظر

العلّامة الطهرانيّ .

ويقول المرحوم العلّامة السيّد محسن الأمين ـ من علماء جبل عامل ـ في «أعيان الشيعة» ج ٤٨ ، ص ١٧٠ (ضمن مؤلّفات بحر العلوم) :

«رسالة في معرفة الباري تعالى فارسيّة ، وفي تتمّة «أمل الآمل» أنّها ليست له على التحقيق». ثمّ يقول المرحوم الأمين : «والظاهر أنّها الرسالة التي في السير والسلوك ، وهي مشتملة على أُمور تناسب التصوّف ولا توافق الشرع ، فلذلك جزم في تتميم «أمل الآمل» بعدم صحّة نسبتها إليه» .

ثمّ يقول : «وممّا يوجد فيها أنّه عند قول «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» يلزم أن يستحضر صورة المرشد ، وأنّ فيه الاستعانة بروحانيّة عطارد ، وأنّه استشهد (في هذا الخصوص) بهذه الأبيات» ـ إلى هنا ينتهي كلام المرحوم صاحب «أعيان الشيعة» . بَيدَ أنّه أخطأ في هذا الأمر ، وذلك أوّلاً : لأنّه لم يرد في أيّ موضع من الرسالة استحضار وجه المرشد عند قراءة «إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين» .

وثانياً أنّ الاستعانة بروحانيّة عطارد ـ كما سيأتي ـ لم يرد ضمن رسالة بحر العلوم ، بل هو كلام الناسخ ، أورده بعد إكمال

كتابة الرسالة ضمن ذكر أحواله، ولا ربط له بالرسالة أبداً.

وأمّا وجهة نظر أُستاذنا العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه، فقد قال:

«قال البعض بأنّ هذه الرسالة متعلّقة بالسيّد مهدي بحر العلوم الخراسانيّ، إلّا أنّ ذلك بعيد جدّاً، وقد اعتبر الشيخ إسماعيل المحلّاتيّ ـ وكان من أهل الدعوة ـ أنّ الرسالة بأجمعها ـ عدا الفقرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين التي وردت في نفي الخواطر والأفكار ـ هي للمرحوم السيّد مهدي بحر العلوم، وقد كان لدى الشيخ إسماعيل نسخة من الرسالة لم ترد فيها أساساً الفقرات المذكورة. ونسخة الشيخ نسخة كاملة لا تحتوي على أيّ من هذه الفقرات». وأضاف العلّامة الطباطبائيّ: «ويعتقد البعض أنّ هذه الرسالة هي ترجمة لرسالة المرحوم السيّد ابن طاووس، ويعتقدون أنّ في أصلها العربيّ ـ وهو غير موجود فعلاً ـ وفي عنوان النسخة التي أخذتها من المرحوم السيّد أبي القاسم الخونساريّ مكتوب «رسالة في السير والسلوك لابن طاووس»، لكنّ أُستاذنا الأكبر آية الحقّ المرحوم الحاجّ الميرزا علي آغا القاضي رضوان الله عليه يعتقد على وجه القطع واليقين بأنّ هذه الرسالة بتمامها هي من تأليف المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم» ـ انتهى كلام أُستاذنا الجليل العلّامة الطباطبائيّ.

هذا، وقد قال الحقير يوماً للأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه: لقد طالع الحقير الكثير من كتب الأخلاق والسير والسلوك والعرفان، إلّا أنّي لم أُطالع كتاباً يُماثل هذه الرسالة في شمولها ومتانتها وأُصولها وفائدتها وسلاستها وفي اختصارها وإيجازها، بحيث يمكن حملها في الجيب والاستفادة منها في الحلّ والترحال؛ فتعجّب العلّامة من كلامي وقال: لقد سمعت نظير هذه العبارة من المرحوم القاضي رضوان الله عليه، فقد قال: «لم يدوّن كتاب في العرفان بمثل هذه النزاهة وكثرة المطالب» ـ انتهى.

ويقول آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس القوجانيّ ـ وهو وصيّ المرحوم القاضي ـ: لقد كان للمرحوم القاضي اهتمام خاصّ بهذه الرسالة، لكنّه صرّح مراراً بأنّه لا يُجيز لأحد أن يستفيد من الأذكار والأوراد المنقولة في هذه الرسالة. وعلى أيّة حال فيستنتج من القرائن التي نذكرها أنّ جميع هذه الرسالة من إنشاء بحر العلوم، للأسباب التالية:

أوّلاً: إنّ العالم النقّاد الخبير الفقيه والمتكلّم الأُصوليّ المرحوم الشيخ محمّد رضا الأَصفهانيّ رحمة الله عليه ـ صاحب كتابَي «وقاية الأذهان» و«نقد فلسفة داروين» ـ يعدّ الرسالة من تأليف بحر العلوم ـ كما مرّ في كلام صاحب «الذريعة» ـ وقد ذكر أنّ

مكان تأليفها هو كرمانشاه.

ثانياً: إنّ المرحوم القاضي رضوان الله تعالى عليه - وكان قِمّة الفنّ والجامع بين الظاهر والباطن وأُستاذ الأخلاق والمعارف - قد عدّها للمرحوم بحر العلوم، ولا يمكن الإغضاء بسهولة عن شهادة مثل هذه الأُسطوانة ذات الوزن العلميّ في عالم المعارف.

ثالثاً: إنّ الأفراد الذين نفوا كون القسم الأخير للرسالة من تأليف بحر العلوم لم يمتلكوا غير الاستبعاد دليلاً على نفيهم هذا، مع أنّ إخراج جزء من الكتاب بمجرّد الاستبعاد المحض أمر غير ممكن. ومع أنّ من الممكن أن تكون هذه الفقرات في نظر السيّد، وبطريق صحيح، مورد النظر والعمل.

رابعاً: إنّ مَن ينظر إلى الرسالة يجد أنّها مدوّنة بإنشاء واحد وسياق واحد، ومؤلّفة وفق نهج بديع وأُسلوب لطيف وعبارات سلسة، وإنّ القسم الأخير من الرسالة - بل فقراتها الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين - لا تختلف أدنى اختلاف في أُسلوبها ومنهج كتابتها مع سائر فقرات الكتاب، لكأنّ قلماً واحداً قد دوّنها في تنظيم وتسلسل ونهج خاصّ، وهذا المعنى لا يتنافى مع ما سنذكره في بعض تعليقات الكتاب من أنّ بعض مطالب الكتاب قد وردت بعينها في عبارات بعض الأعلام، حيث إنّ اقتباس ونقل المطالب

مورد النظر من الكتب السالفة ودرجها في الكتب المؤلّفة يعدّ أمراً رائجاً ودارجاً بين الأعلام وأساتذة الفنون.

وأمّا نسبة الرسالة إلى المرحوم السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه فأمر بعيد عن الحقيقة، ذلك أنّ ابن طاووس من علماء القرن السابع، وكان مقيماً في الحِلّة، وينحدر من السادات العرب، وكان عربيّ اللسان واللهجة، فلا يمكن أن يؤلّف كتاباً بالفارسيّة بمثل هذا المنهج والأُسلوب الخاصّ بالقرون المتأخّرة. كما يتّضح من أُسلوب الرسالة وتعابيرها أنّها ليست مترجمة، فالقلم فيها قلم إنشاء لا ترجمة. يضاف إلى ذلك أنّ الخبير بكتب ابن طاووس يعلم أنّ السلوك العمليّ لابن طاووس كان يستند إلى المراقبة والمحاسبة والصيام والدعاء، وأنّ كيفيّة السير والسلوك المذكور في هذه الرسالة لا ينسجم مع نهج ابن طاووس ومذاقه.

وخامساً: إنّ النسخة الأصليّة لهذه الرسالة إنّما وجدت في مكتبة بحر العلوم النجفيّ بعد ارتحاله، وهي نسخة موجودة ومحفوظة فعلاً لدى عائلة بحر العلوم، كما أنّ اسم الرسالة المذكورة لم يرد في ترجمة أيّ عالم قبل بحر العلوم. كما أنّ من الجليّ أنّها لم تؤلّف بعد زمن بحر العلوم، فيتعيّن تسجيل زمن تأليفها في زمن ذلك المرحوم.

ونتساءل: أيّ فقيه من فقهاء ذلك العصر كان له مذاق العرفان والسير والسلوك ليكتب مثل هذه الرسالة ؟ وأيّ واحد من العرفاء وأصحاب السلوك في ذلك العصر كان فقيهاً له مثل هـذا التبحّر والتسلّط ليقتحم لُجج بحار أخبار أهل البيت عليهم السلام والآيات القرآنيّة ؟!

ذلك أنّ من الوضوح بمكان أنّ تدوين هذه الرسالة قد تحقّق على يد فقيه مقتدر ذي اطّلاع واسع في مجال الآيات والأخبار، فينحصر الأمر بصورة طبيعيّة في بحر العلوم، وبخاصّة أنّ النسخة الأصليّة للرسالة إنّما وجدت في مكتبة بحر العلوم.

ولو قال أحد: من الممكن أن تكون الرسالة من تأليف بعض الفقهاء من ذوي السيرة العرفانيّة الذين عاصروا بحر العلوم، من أمثال المرحوم آية الله المولى محمّد مهدي النراقيّ تغمّده الله برحمته، وأن يكون قد أرسلها إلى بحر العلوم!

فنقول: إنّ أسماء وأعداد تصنيفات أُولئك الفقهاء ـ والمرحوم النراقيّ بوجهٍ خاصّ ـ معروفة ومدوّنة، كما أنّ نجله الجليل: آية الله الحاجّ المولى أحمد النراقيّ رضوان الله عليه لم يذكر في عداد مؤلّفات أبيه مثل هذه الرسالة.

ولقد شاهدنا في كلمات صاحب «أعيان الشيعة» من أنّ ذلك

العالِم المحقِّق يعترف بأنّ بحر العلوم قد كتب رسالة بالفارسيّة في معرفة الباري تعالى. ونتساءل: أيّة رسالة تلك التي كتبها؟ أفيمكن أن تكون هناك رسالة سوى هذه؟!

ويتبيّن ممّا مرّ أنّ نسبة هذه الرسالة لبحر العلوم أقرب وأقوى والله أعلم، وبخاصّة مع ملاحظة حالات ذلك المرحوم الذي كان يمتلك مقام صفاء الباطن ونورانيّة الضمير والإلمام بالأسرار والمغيّبات.

يقول مؤلّف «أعيان الشيعة» في كتابه ج ٤٨، ص ١٦٦: «ويعتقد السوادُ الأعظم إلى الآن أنّه من ذوي الأسرار الإلهيّة الخاصّة، ومن أُولي الكرامات والعنايات والمكاشفات. وممّا لا ريب فيه أنّه كان ذا نزعة من نزعات العرفاء والصوفيّة، يظهر ذلك من زهده وميله إلى العبادة والسياحة» ـ انتهى.

وعلى أيّة حال، فقد استنسخ الحقير نسخة لنفسه من على نسخة آية الله الأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه العالي، وقد استفدتُ منها مدّة مديدة، حتّى عزمتُ على كتابة شرح مختصر لها أُبيّن فيه بعض معضلاتها، واستخرج مصادر الأحاديث والأشعار الواردة فيها، ولله تعالى المنّة في توفيقي للقيام بهذا الأمر الصعب على قدر الوسع، وأَمَلي من السادة أصحاب النظر والبصيرة أن

يُغِضُّوا ـ بجلالهم وحسن كرمهم ـ عمّا قد يعثروا عليه من أخطاء، وأن لا يبخلوا عليّ بدعائهم حيّاً وميّتاً.

وأمّا ترجمة بحر العلوم وبيان أقصى مدارج ومعارج السير الكماليّ التي رقى إليها ذلك الشخص الذي كان فريد عصره ونادرة دهره فأمرٌ لا يرقى إليه فكر هذا الحقير في تحليقه، وخارج عن إمكان رشحات قلمه.

فما الذي أقوله عن شخص كان الشيخ الأكبر: شيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ جعفر كاشف الغطاء ينفض الغبار عن نعليه بحنك عمامته؟ وعن شخص سأله المحقّق الخبير والفقيه البصير، مجمع الكمالات الصوريّة والمعنويّة: الميرزا أبو القاسم الجيلانيّ القمّيّ حين تشرّف بزيارة العتبات المقدّسة:

«فداك أبي وأُمّي، ماذا عملتَ حتّى نلتَ هذه المرتبة والمنزلة؟». وماذا أقول عمّن لا يعتري الريب أمر تشرّفه كراراً بالمثول بين يدي صاحب العصر الحجّة ابن الحسن العسكريّ أرواحنا له الفداء، وهو أمر يعدّ لدى العلماء الأعلام، بل لدى جميع سكنة النجف الأشرف من المسلّمات، بل يُستفاد من بعض كلمات الأعلام أنّ باب إمكان التشرّف بالمثول لدى الوليّ الأكبر لعالَم الإمكان كان مشرعاً في وجهه على الدوام. بل ماذا أقول عمّن

احتضنه صاحب مقام الولاية الكبرى : إمام العصر عليه السلام ؟

بَيدَ أنّنا نذكر ـ تيمّناً وتبرّكاً ـ خلاصة ما جاء في ترجمته في كتاب «روضات الجنّات» للعلّامة السيّد محمّد باقر الخونساريّ (ج ٢، ص ١٣٨) نقلاً عن كتاب «منتهى المقال» المعروف بـ «رجال أبي علي» وكان أبو علي من معاصريه :

«السيّد السند والركن المعتمد مولانا السيّد محمّد مهدي بن السيّد المرتضى بن السيّد محمّد الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ النجفيّ أطال الله بقاه وأدام الله علوّه ونعماه ، الإمام الذي لم تسمح بمثله الأيّام ، والهُمام الذي عقمت عن إنتاج شكله الأعوام ؛ سيّد العلماء الأعلام ، ومولى فضلاء الإسلام ، علّامة دهره وزمانه ، ووحيد عصره وأوانه ، إن تكلّم في المعقول قلتَ : هذا الشيخ الرئيس ، فمن بقراط وأفلاطون وأرسطاليس ، وإن باحث في المنقول قلتَ : هذا علّامة المحقّق لفنون الفروع والأُصول . لم يُناظر في الكلام أحداً إلّا قلتَ : هذا عَلَمُ الهُدى ، وإذا فسّر الكتابَ المجيد وأصغيتَ إليه ذُهلتَ وخلتَ كأنّه الذي أنزله الله عليه . كان ميلاده الشريف في كربلاء المشرّفة ليلة الجمعة في شهر شوّال المكرّم من سنة خمس وخمسين بعد المائة والألف ، تأريخ ولادته الميمون «لنُصرة الحقّ قد وُلد الهُدى» ، واشتغل بُرهة على

والده الماجد قُدّس سرّه ، وكان عالماً ورعاً تقيّاً صالحاً بارّاً ، وعلى جماعة من المشايخ ، منهم : شيخنا يوسف (البحرانيّ) ، وانتقل إلى الأُستاذ العلّامة (آغا محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ) أدام الله أيّامه ، ورجع إلى النجف وأقام بها ، وداره الميمونة محطّ رحال العلماء ، ومفزع الجهابذة والفضلاء ، وهو بعد الأُستاذ (العلّامة الوحيد) دام علاهما إمام أئمّة العراق وسيّد الفضلاء على الإطلاق ، إليه يفزع علماؤها ، ومنه يأخذ عظماؤها ، وهو كعبتها التي تطوى إليها المراحل ، وبحرها الموّاج الذي لا يوجد له ساحل ، مع كرامات باهرة ومآثر وآيات ظاهرة ، وقد شاع وذاع وملأ الأسماع والأصقاع تشييعه الجمّ الغفير والجمع الكثير من اليهود لمّا رأوا منه البراهين والإعجاز .

وناهيك بما بان له من الآيات يوم كان بالحجاز ، رأى والده الماجد رحمه الله ليلة ولادته أنّ مولانا الرضا عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام أرسل شمعة مع محمّد بن إسماعيل ابن بزيع وأشعلها على سطح دارهم ، فعلا سناها ولم يُدرك مداها . يتحيّر عند رؤيته النظر ، ويقول بلسان حاله «ما هذا بشر» [1] ، كذا ذكره صاحب «منتهى المقال» في حقّ هذا العَلَم المفضال ، والعالِم

١- «منتهى المقال» ص ٣١٤، الطبعة الحجريّة.

المسلّم ، أيّده الله في أنواع فنون الكمال ، بل صاحب السِّحر الحلال ، والشُّكر الخالص عن الضلال ، في حلّ الإشكال ، ورفع الإعضال ، وقمع مفارق الأبطال في مضامير المناظرة والجدال ، وحسب الدلالة على تسلّم نبالته في جميع الأقطار والتخوم وتلقّبه من غير المشاركة مع غيره إلى الآن بلقب بحر العلوم» .

هذا هو مختصر ما جاء في «روضات الجنّات» في ترجمة هذا العَلَم الذي كان أُسطوانة في العلم والمعرفة .

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .[1]

والحمد للّه أوّلاً وآخراً ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين . كتبه بيمناه الداثرة العبد الراجي السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ في ليلة العشرين من شهر ربيع المولود سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين بعد الهجرة النبويّة .

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

١ـ الآية ١٠ ، من السورة ٥٩ : الحشر .



القسم الأول

التصوّر العام لحقيقة وهدف السلوك إلى الله، وبيان منازل عالم الخلوص والعوالم التي تسبقه وتليه

الفصل الأول

خاصية عدد الأربعين في ظهور القابليات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ وَالثَّنَاءُ لِعَيْنِ الوُجُودِ، وَالصَّلاةُ عَلَى وَاقِفِ مَوَاقِفِ الشُّهُودِ[1] **، وَعَلَى آلِهِ أُمَنَاءِ المَعْبُودِ**[2] **.**

يا رفقاء سفر مُلك السعادة والصفاء ، ويا رفقاء طريق الخلوص والوفاء ، **امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ .**[3]

١ـ ولقد رآه نزلة أُخرى عند سدرة المنتهى ... فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى ... وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ... .

٢- جاء في الزيارة الجامعة : **فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَ...** .

٣ـ لم ترد هذه العبارة في القرآن على هذا النحو ، بل وردت فيه في ثلاثة مواضع بألفاظ متشابهة : الأوّل في الآيتين ٩ و١٠ ، من السورة ٢٠ : طه :

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى .

الثاني في الآية ٧ ، من السورة ٢٧ : النمل : ⇦

وقد روي عن سيّد الرسل وهادي السُبل بطرق عديدة، قال:

مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.[4]

⇐ **إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.**

والثالث في الآية ٢٩، من السورة ٢٨: القصص:

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.

ويلاحظ أنّ هذا المتن ـ مع صحّة تعبيره ـ لم يرد في أيّ من الآيات المذكورة، ولعلّ المصنّف أعلى الله مقامه لم يورد هذه العبارة حكايةً عن القرآن، بل أنشأها بأُسلوب ملفّق من الآيات الثلاث مع إضافات أُخرى.

٤ـ وردت روايات ظهور الحكمة من القلب على اللسان في ثلاثة من كتب أُصول الشيعة: الأوّل في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» ص ٢٥٨؛ الثاني في «عُدّة الداعي» ص ١٧٠؛ والثالث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ١٦. ووردت في «بحار الأنوار» ج ١٥، ص ٨٥ نقلاً عن «العيون»، وفي ص ٨٧ نقلاً عن «العدّة»، وفي ص ٨٥ نقلاً عن «الكافي».

أمّا رواية «العيون» فقد رواها الصدوق بإسناده عن دارم بن قبيصة بن نهشل بن مجمع النهشليّ الصنعانيّ بسرّ من رأى.

قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عن أبيه عن جدّه عن محمّد بن عليّ عن أبيه عن جابر بن عبد الله عن عليّ قال: قال رسول الله ⇐

وقد ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة ومعانٍ متّحدة. وقد

⇐ صلّى الله عليه وآله: **مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.**

وجاء في «البحار» وفي «سفينة البحار» بلفظ: **مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً**. وأمّا رواية «عُدّة الداعي» فقد روى مرسلاً عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَجَّرَ اللَّهُ يَنَابِيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.**

وأمّا رواية «الكافي» فقد روى الكلينيّ بإسناده عن ابن عيينة، عن السنديّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

مَا أُخْلَصَ عَبْدٌ الإِيمَانَ بِاللَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ... أو قال: **مَا أَجْمَلَ عَبْدٌ ذِكْرَ اللَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَبَصَّرَهُ دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَثْبَتَ الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ** ... .

ويلاحَظ أنّ المعاني كانت واحدة على الرغم من اختلاف الألفاظ.

وأمّا في كتب العامّة فقد ورد في «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٣٢٢: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُخْلِصُ لِلَّهِ العَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.**

وقال في تعليقة ص ١٩١:

مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ يَوْماً وَأَخْلَصَ فِيهَا العِبَادَةَ أَجْرَى اللَّهُ يَنَابِيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.

ويقول في «عوارف المعارف»، هامش ص ٢٥٦ من الجزء الثاني من «إحياء العلوم»:

قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ: مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.

شاهدنا عياناً وعَلِمنا بأنّ هذه المرحلة الشريفةَ من مراحل العدد لها خاصيّة وتأثير متفرّدَين في ظهور القابليّات وتتميم المَلَكات وفي طيّ المنازل وقطع المراحل.[5]

ومع كثرة منازل الطريق، إلّا أنّ في كلّ منزل منها مقصداً؛ ومع زيادة المراحل، فإنّك إذا دخلت في هذه المرحلة فقد أتممتَ عالَماً.

ولقد تمّ تخمير طينة آدم أبي البشر بِيَدِ القدرة الإلهيّة في أربعين صباحاً: **وَخَمَّرْتُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحاً**.[6] حيث

٥ـ المنازل جمع منزل، وهي مواضع نزول المسافرين للاستراحة. وباعتبار أنّ هذه المواضع كانت غالباً في فواصل معيّنة بحيث يبعد أحدها عن الآخر بأربعة فراسخ، لذا كان يقال لمسافة أربعة فراسخ ـ وهي مسافة البريد ـ منزلاً.

أمّا المراحل فهي جمع المرحلة وهي مسافة مسير يوم للمسافر، وتعادل منزلَين (أي بَريدَين). وقد شبّه المصنّف رحمه الله العالم بالمراحل حيث إنّ طيّ مرحلة ودخول مرحلة أُخرى هي إتمام عالَم من العوالم والدخول في العالَم الذي يليه. وقد شبّه مراتب العوالم بالمنازل التي يمثّل طيّ أحدها والدخول في المنزل الذي يليه دخولاً في مقصد جديد.

٦ـ جاء في «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٢٣٧ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إنَّ اللهَ خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً**.

وروي في «مرصاد العباد» ص ٣٨ وفي «رسالة العشق» ص ٨٣: ⇦

طوى في هذا العدد عالَماً من عوالم القابليّة. وجاء في رواية أنّ جسد آدم بقي ملقى بين مكّة والمدينة أربعين عاماً تهطل عليه أمطار الرحمة الإلهيّة، حتّى أضحى بهذا العدد قابلاً لتعلّق الروح القدسيّة.

ولقد تمّ ميقات موسى عليه السلام في أربعين ليلة، ونجى قومه من التيه بعد أربعين عاماً.[7]

وقد خُلع على خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم خلعة النبوّة بعد أربعين سنة من خدمة الحقّ.

كما أنّ زمن طيّ عالم الدنيا وظهور القابليّة ونهاية تكميل هذا العالَم في أربعين سنة. حيث ورد أنّ عقل الإنسان يكمل في

⇦ **خَمَّرْتُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحاً.**

وجاء في «عوالم المعارف» في هامش «إحياء العلوم» ج ٢، ص ٢٦٠:

فَمِنَ التُّرَابِ كَوَّنَهُ، وَأَرْبَعِينَ صَبَاحاً خَمَّرَ طِينَتَهُ لِيَبْعُدَ بِالتَّخْمِيرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِأَرْبَعِينَ حِجَاباً مِنَ الحَضْرَةِ الإلَهِيَّةِ، كُلُّ حِجَابٍ هُوَ مَعْنىً مُوَدَّعٌ فِيهِ، يَصْلَحُ بِهِ لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا وَيَتَعَوَّقُ بِهِ عَنِ الحَضْرَةِ الإلَهِيَّةِ وَمَوَاطِنِ القُرْبِ ... إلى آخر كلامه.

٧ـ سورة البقرة، الآية ٥١: **وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**. وسورة الأعراف، الآية ١٤٢: **فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** ... وأمّا عن نجاة قوم موسى من التيه فقد جاء في سورة المائدة، الآية ٢٦: **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ**.

سنّ الأربعين حسب قابليّة ذلك الإنسان.[8] والإنسان في نموّ منذ بدء دخوله في هذا العالَم حتّى يبلغ سنّ الثلاثين، ثمّ إنّ بدنه يقف في هذا العالَم عشر سنين، فإن هو أتمّ الأربعين[9] انتهى سفره في عالم الطبيعة؛[10] وبدأ سفره في عالم الآخرة. وكلّما شدّ الرحال

٨ـ كما قال تعالى في سورة الأحقاف، الآية ١٥: **حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ**. ويتبيّن منه أنّ نهاية قدرة العقل في سنّ الأربعين. وأمّا ما يشيع من أنّ عقل الإنسان ينمو بعد الأربعين فهو أمر خاطىء. ومنشأ هذا الخطأ أنّ الإنسان تزداد خبرتُه بعد هذه المدّة، فيكون حكم العقل على أساس من التجارب الزائدة أقرب إلى الصواب، لكنّ هذه الإصابة ناجمة من زيادة التجارب لا من القدرة العقليّة الفعليّة. بحيث إنّنا إذا فرضنا أنّ هذه التجارب والخبرات قد تجمّعت للشخص قبل بلوغه سنّ الأربعين، لكان يحكم عند بلوغه الأربعين بتلك الأحكام العقليّة القطعيّة.

٩ـ يروي الكلينيّ في «أصول الكافي» ج ٢، ص ٤٤٥، بدون إسناد متّصل، يرفعه إلى أبي جعفر (الباقر) عليه السلام:

إِذَا أَتَتْ عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعُونَ سَنَةً قِيلَ لَهُ: خُذْ حِذْرَكَ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ....

١٠ـ جاء في «الخصال» ص ٥٤٥: قال الصادق عليه السلام:

إِنَّ العَبْدَ لَفِي فُسْحَةٍ مِنْ أَمْرِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلَكَيْهِ أَنِّي قَدْ عَمَّرْتُ عَبْدِي عُمْراً، فَغَلِّظَا وَشَدِّدَا وَتَحَفَّظَا وَاكْتُبَا عَلَيْهِ قَلِيلَ عَمَلِهِ وَكَثِيرَهُ وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ.

وفي «الخصال» ص ٥٤٥: وعن الصادق عليه السلام: ⇦

....

⇦ إذَا بَلَغَ العَبْدُ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَإذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَدْ بَلَغَ مُنْتَهَاهُ، فَإذَا طَعَنَ فِي إحْدَى وَأَرْبَعِينَ فَهُوَ فِي النُّقْصَانِ، وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الخَمْسِينَ أَنْ يَكُونَ كَمَنْ كَانَ فِي النَّزْعِ.

وجاء في «جامع الأخبار» الفصل ٧٦، ص ١٤٠: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم:

أَبْنَاءُ الأَرْبَعِينَ زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهُ. وفي «سفينة البحار» ج ١، ص ٥٠٤: رُوي: إذَا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَتُبْ مَسَحَ إبْلِيسُ وَجْهَهُ وَقَالَ: بِأَبِي وَجْهٌ لَا يُفْلِحُ أَبَداً.

وقد وردت أخبار كثيرة في لفظ الأربعين، كالرواية الواردة في «البحار» ج ١٤، ص ٥١٢ التي تفيد: إنَّ مَنْ قَرَأَ الحَمْدَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فِي المَاءِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى المَحْمُومِ يَشْفِيهِ اللَّهُ. وجاء في «الكافي» ج ٦، ص ٤٠٢ عن الإمام الباقر عليه السلام: مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُحْتَسَبْ لَهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً. وروي في «جامع الأخبار» الفصل ١٠٩، ص ١٧١ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَنِ اغْتَابَ مُسْلِماً أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَلَيْلَةً إلَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ.

وجاء في «البحار» ج ١٣، ص ٢٤٥، التوقيع الشريف: إنَّ الأَرْضَ تَضِجُّ إلَى اللَّهِ مِنْ بَوْلِ الأَغْلَفِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً.

وروى الصدوق في «الخصال» ص ٥٣٨، بإسناده المتّصل عن عبد الله بن مُسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

إذَا مَاتَ المُؤْمِنُ فَحَضَرَ جَنَازَتَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلاً مِنَ المُؤْمِنِينَ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ إنَّا لَا نَعْلَمُ مِنْهُ إلَّا خَيْراً وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ ⇦

....

⇐ وَتَعَالَى: إنِّي قَدْ أَجَزْتُ شَهَادَتَكُمْ وَغَفَرْتُ لَهُ مَا عَلِمْتُ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ.

وجاء في «عدّة الداعي» ص ١٢٨، باب الدعاء للإخوان والتماسه منهم: روى ابنُ أبي عُمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ قَدَّمَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ.

وعقد المجلسيّ في «بحار الأنوار»، كتاب الجنائز، دعاءً، باب شهادة أربعين للميّت، ونقل فيه (ص ٢٠٤) رواية عن «عُدّة الداعي» عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

كَانَ فِي بَنِي إسْرَائِيلَ عَابِدٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إلَى دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ مُرَاءٍ. قَالَ: ثُمَّ إنَّهُ مَاتَ فَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: فَقَامَ أَرْبَعُونَ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ فَقَالُوا: اللَهُمَّ إنَّا لَا نَعْلَمُ مِنْهُ إلَّا خَيْراً وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا فَاغْفِرْ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا غُسِّلَ أَتَى أَرْبَعُونَ غَيْرَ الأَرْبَعِينَ وَقَالُوا: اللَهُمَّ إنَّا لَا نَعْلَمُ مِنْهُ إلَّا خَيْراً وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا فَاغْفِرْ لَهُ. فَلَمَّا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ قَامَ أَرْبَعُونَ غَيْرُهُمْ فَقَالُوا: اللَهُمَّ إنَّا لَا نَعْلَمُ مِنْهُ إلَّا خَيْراً وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا فَاغْفِرْ لَهُ. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إلَى دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ قَالَ دَاودَ: لِلَّذِي أَخْبَرْتَنِي. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أَنَّهُ قَدْ شَهِدَ قَوْمٌ فَأَجَزْتُ شَهَادَتَهُمْ وَغَفَرْتُ لَهُ مَا عَلِمْتُ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ.

وجاء أيضاً في «عُدّة الداعي» لرفع المرض والعلّة:

الثَّالِثُ: بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ، حَسْبُنَا اللَهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، تَبَارَكَ اللَهُ أَحْسَنُ الْخَٰلِقِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. يَدْعُو بِهَذَا أَرْبَعِينَ مَرَّةً عَقِيبَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَيَمْسَحُ بِهِ عَلَى العِلَّةِ كَائِناً مَا كَانَتْ، خُصُوصاً الفَطْرُ، يَبْرَأُ بِإذْنِ اللَهِ. وَقَدْ صُنِعَ ذَلِكَ فَأُشْفِعَ بِهِ. ⇐

. . . .

⇦ وجاء أيضاً في «عُدّة الداعي» ص ٩٤ : **وَمَنْ دَعَا لِأَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَانِهِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَمَنْ فِي يَدِهِ خَاتَمُ فَيْرُوزَجٍ أَوْ عَقِيقٍ ...** .

ونقل في «بحار الأنوار» ج ١٤ ، ص ٥٥١ ، عن الشهيد :

رُوِيَ مُدَاوَاةُ الحُمَّى بِصَبِّ المَاءِ، فَإِنْ شُقَّ عَلَيْهِ فَلْيُدْخِلْ يَدَهُ فِي مَاءٍ بَارِدٍ، وَمَنِ اشْتَدَّ وَجَعُهُ قَرَأَ عَلَى قَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ أَرْبَعِينَ مَرَّةً الحَمْدُ ثُمَّ يَضَعُهُ عَلَيْهِ، وَلْيَجْعَلِ المَرِيضُ عِنْدَهُ مِكْتَلاً بُرّاً وَيُنَاوِلِ السَّائِلَ مِنْهُ بِيَدِهِ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَيُعَافَى.

وجاء في «الإقبال» ص ٥٥١ : روينا بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر الطوسيّ فيما رواه بإسناده إلى مولانا الحسن بن عليّ العسكريّ صلوات الله عليه أنّه قال : **عَلَامَاتُ المُؤْمِنِ خَمْسٌ : صَلَوَاتُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّمُ بِاليَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الجَبِينِ، وَالجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**. وورد في «الخصال» ص ٥٤١، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَقِيهاً عَالِماً.

وروى في «بحار الأنوار» ج ٥، ص ٤٣ ، عن تفسير عليّ بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً جاء فيه : **فَبَقِيَ آدَمُ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً سَاجِداً يَبْكِي عَلَى الجَنَّةِ.**

ونقل في «إكمال الدين» ص ١٣ ، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام حديثاً جاء فيه : **فَبَكَى آدَمُ عَلَى هَابِيلَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.**

وجاء فيه (ص ٨٦) نقلاً عن «تفسير عليّ بن إبراهيم» عن الإمام ⇦

....

⇐ الصادق عليه السلام حديثاً عن الطوفان جاء فيه: **فَبَقِيَ المَاءُ يَنْصَبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً وَمِنَ الأَرْضِ العُيُونُ ...** .

وفي ص ٢٢٩، عن البيضاويّ في تفسير قوله تعالى: **«وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ»**:

إنَّ مَبْلَغَهُ الَّذِي لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ نُشُوؤُهُ، وَذَلِكَ مِنْ ثَلَاثِينَ إِلَى أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِنَّ العَقْلَ يَكْمُلُ حِينَئِذٍ. وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَاسْتَوَى قَدُّهُ أَوْ عَقْلُهُ ... .

وجاء في «الخصال» ص ٥٣٩، بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

أَمْلَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِفِرْعَوْنَ مَا بَيْنَ الكَلِمَتَيْنِ ... أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ أَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى. وَكَانَ بَيْنَ أَنْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا»، وَبَيْنَ أَنْ عَرَّفَهُ اللهُ الإِجَابَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ قَالَ: قَالَ جَبْرَئِيلُ: نَازَلْتُ رَبِّي فِي فِرْعَوْنَ مُنَازَلَةً شَدِيدَةً، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! تَدَعُهُ وَقَدْ قَالَ: «أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى»، فَقَالَ: إِنَّمَا يَقُولُ مِثْلَ هَذَا عَبْدٌ مِثْلُكَ (إنّما يقول بقولٍ، هذا عبدٌ مثلك).

ثمّ قال المرحوم المجلسيّ رحمه الله في بيان هذا الخبر: **لَعَلَّ المُرَادَ بِالكَلِمَتَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» وَأَمْرُهُ بِإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ. أَوْ قَوْلُ فِرْعَوْنَ: «مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»، وَقَوْلُهُ: «أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى» ... البيان.**

ونقل في «بحار الأنوار» ج ٥، ص ٤٣٣، عن تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ حديثاً جاء فيه: وجاء جماعة من اليهود إلى أبي طالب فقالوا:

يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَزْعُمُ أَنَّ خَبَرَ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ، وَنَحْنُ ⇐

للسفر في أيّامه أو سنواته فارتحل عن هذا العالَم ، تناقصت قوّته سنةً بعد أُخرى ، وضعف نور سمعه وبصره ، وانحطّت قواه المادّيّة ، وازداد ذبول بدنه ، إذ انتهت مدّة سفره وإقامته في هذا العالَم في أربعين سنة .

ولذا فقد ورد :

⇐ نَسْأَلُهُ عَنْ مَسَائِلَ ، فَإِنْ أَجَابَنَا عَنْهَا عَلِمْنَا أَنَّهُ صَادِقٌ ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْنَا عَنْهَا عَلِمْنَا أَنَّهُ كَاذِبٌ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : سَلُوهُ عَمَّا بَدَا لَكُمْ . فَسَأَلُوهُ عَنِ ثَلَاثِ مَسَائِلِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : غَداً أُخْبِرُكُمْ «وَلَمْ يَسْتَثْنِ» ، فَاحْتُبِسَ الوَحْيُ عَنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً حَتَّى اغْتَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَكَّ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِهِ ... .

وجاء أيضاً في «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ١١٧ ، نقلاً عن كتاب «العُدد» تأليف الشيخ رضيّ الدين عليّ بن يوسف بن المطهّر الحلّيّ (وهو أخو العلّامة الحلّيّ) رواية في باب ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام ورد فيها :

إِذْ هَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ فِي صُورَتِهِ العُظْمَى قَدْ نَشَرَ أَجْنِحَتَهُ حَتَّى أَخَذَتْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ فَنَادَاهُ : يَا مُحَمَّدُ ! العَلِيُّ الأَعْلَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَهُوَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ عَنْ خَدِيجَةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لَهَا مُحِبّاً وَبِهَا وَامِقاً ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ يَوْماً يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ... الحديث . انتهى ما نُقل من الروايات التي ذُكر فيها لفظ «الأربعين» .

مَنْ بَلَغَ الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَأْخُذِ العَصَا فَقَدْ عَصَى.

ذلك أنّ العصا علامة السفر، والمسافرُ مندوب إلى حمل عصاه عند سفره. وتأويل العصا هو الاستعداد لسفر الآخرة والتهيّؤ للرحيل (فمن لم يحمل عصاه، كان غافلاً عن فكرة السفر).

وكما أنّ الجسم يبلغ كماله في هذه المدّة، فإنّ مرتبة السعادة أو الشقاء تكتمل خلالها. ولذا ورد في الحديث بأنّ الرجل إذا بلغ الأربعين فلم يُفلح بالتوبة، فإنّ الشيطان يمسح وجهه ويقول: **بَأَبِي وَأُمِّي وَجْهٌ لَا يُفْلِحْ أَبَداً**[11]. ويقول له: لقد سُجِّل اسمُك في جُندي. وأمّا ما ورد في الأخبار مِن أنّ مَن قادَ أعمى أربعينَ قَدَماً فدلّه على الطريق وجبتْ له الجنّةُ، فإنّ المراد بظاهره عمى البصر، وتأويله عمى البصيرة. ذلك أنّ أعمى البصيرة لم يخطُ تمام أربعين قدماً من مرحلة القابليّة ليدخل في مرحلة الفعليّة، حتّى لو كان قد اقترب منها، فإن تُرِك ذلك الأعمى وسبيله لعاد إلى حيث كان. وتمام الإحسان وحصول الهداية في إتمام الأربعين، وبهذه الحيثيّة تجب له الجنّة.

١١ـ ورد هذا الحديث في «سفينة البحار» ج ١، ص ٥٠٤. وجاء في «إحياء العلوم» ج ٣، ص ٢٥: **إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَتُبْ، مَسَحَ الشَّيْطَانُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: بِأَبِي وَجْهُ مَنْ لَا يُفْلِحُ.**

كما ورد في حديثٍ آخر أنّ حدّ الجوار أربعون بيتاً من الأطراف الأربعة[١٢] ، لكأنّهم ـ بعد هذا العدد ـ قد انفصلوا عن عالَم بعضهم البعض . وتأويل ذلك في المناسبة والجوار من جهات القوى الأربعة[١٣] العقليّة والوهميّة والشهويّة والغضبيّة . وما لم تبتعد

١٢ـ وردت في هذا المجال أربعة روايات في «وسائل الشيعة» ج ٢ ، كتاب الحجّ ، أحكام العِشرة ، الباب التسعين :

الأوّل عن الكُلينيّ بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **حَدُّ الجِوَارِ أَرْبَعُونَ دَاراً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ .**

الثاني : عن الكلينيّ أيضاً بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ أَرْبَعِينَ دَاراً جِيرَانٌ ، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ .**

الثالث : عن الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّ معاوية بن عمّار قال له : **جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا حَدُّ الجَارِ ؟ قَالَ : أَرْبَعِينَ (أَرْبَعُونَ ـ صح) دَاراً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .**

الرابع : عن عقبة بن خالد، عن الإمام الصادق عليه السلام **عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : حَرِيمُ المَسْجِدِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً ، وَالجِوَارُ أَرْبَعُونَ دَاراً مِنْ أَرْبَعَةِ جَوَانِبِهَا .**

١٣ـ مراد المصنّف أنّ الإنسان أسير لقوى أربع تحيط به من أطرافه الأربعة: القوّة العقليّة ، الوهميّة ، الغضبيّة ، والشهويّة ، وما لم يبتعد عن كلٍّ منها إلى أربعين منزلاً ، فإنّه لن يبلغ مقام الفناء في الله . ذلك أنّ مجرّد الخروج من مرحلة الشهوة ـ مثلاً ـ لن يُخرج الإنسان من تلك ⇦

....

⇐ المرحلة بتمام المعنى، لأنّ حقيقة مرحلة الشهوة تلك لا زالت كامنة في وجود الإنسان، وما لم يبتعد عن المرحلة الأولى أربعين مرحلة فإنّ آثارها لن تزول تماماً. وبناء على ذلك، فلو فرضنا عالَم الشهوة ذا مراحل متعدّدة، فإنّ الإنسان سيخرج كلّيّاً عن إحدى المراحل حين يتخطّى المراحل الأربعين التي تليها، وبغير ذلك فإنّ الإنسان لن يكون قد خرج من تلك المرحلة بتمام المعنى، وقد يتعرّض بمجرّد طروء طارئ عليه للعودة إلى المرحلة الأولى. والأمر كذلك بالنسبة إلى عوالم العقل والغضب والوَهْم. فالمرء سيكون قد خرج حقّاً من مرحلة الغضب الأولى حين يخرج من مرحلته الأربعين، وسيكون قد خرج حقّاً من مرحلة العقل الخامسة حين يخرج من مرحلته الأربعين، وهكذا عليه في كلّ مرحلة مُفترضة أن يتخطّاها بأربعين مرحلة ليتخلّص منها تماماً.

بَيْدَ أنّ هناك فارقاً بين القوّة الملكوتيّة العقليّة والقوى الثلاث الأخرى، لأنّ العقل دليل وموجّه، ووجوده متعارض مع القوى الثلاث الأخرى، ولذلك فإنّ تلك القوى في حال نزاع وجدال دائميّ مع العقل. ولذا فإن كلّ منزلَين من منازل العقل الأربعين التي يقلّ الفاصل بينهما عن أربعين مرحلة سيتبادلان الشكوى لبعضهما ويتذكّران مقولة: «نحن منزلان أضحيا غريبَين في عالم الطبيعة حين أسرتنا القوى الشهويّة والغضبيّة والوهميّة، وكلّ غريبٍ للغريب نسيبُ». لكنّ كلّ منزلَين من المنازل الأربعين لسائر القوى إذا تعرّضت لهجوم عساكر العقل، فإنّها ستقاوم ما أمكنها وتأبى التسليم، وترتحل ـ من ثمّ ـ عن ذلك المنزل، ولذلك فإنها ستترنّم فيما بينها بمقولة: ما دام جبل «عسيب» قائماً فإنّنا سنواجه سيل المشاكل المستمرّ بصبرٍ وتحمّل. ⇐

. . . .

⇦

الخروج من منازل عالم العقل: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ... ٤٠

الخروج من منازل عالم الشهوة: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ... ٤٠

إنسان

الخروج من منازل عالم الغضب: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ... ٤٠

الخروج من منازل الوهم: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ... ٤٠

مخطط لخروج الإنسان من مراحل الملكات النفسانيّة إلى أربعين منزلاً

هذه المراحل عن بعضها بأربعين مرحلة، فإنّها لن تكون قد تخطّت عالَمها خارجاً، وستكون مجاورة لبعضها البعض.

فإن كان هناك مجاورة ومناسبة بين مراحل القوّة العقليّة الملكوتيّة، فإنّها ستصف حالها معاً بهذه المقولة:

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا　　وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

وإذا كان هناك مجاورة بين القوى الشهويّة الشيطانيّة والسَّبُعيّة والبهيميّة، فإنها ستترنّم بهذه الأُنشودة:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ　　وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَشِيبُ [14]

١٤ـ قال في «جامع الشواهد» بأنّ هذا الشعر لامرئ القيس بن حجر الكنديّ خاطَبَ به امرأة ميّتة، وذلك أنّه لمّا احتضر بالنقرة نظر إلى قبرٍ فسأل عنه، فقيل له: هو قبر امرأة غريبة، فقال:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ　　وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ غَرِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا　　وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
فَإِنْ تَصِلِينَا فَالقَرَابَةُ بَيْنَنَا　　وَإِنْ تَهْجُرِينَا فَالغَرِيبُ غَرِيبُ

ثمّ قال: **الخطوب** جمع خطب وهو الأمر العظيم، و**تنوب** بمعنى تنزل، و**مقيمٌ**، **أي: ثابتٌ في تحمّلها**، و**العسيب (بالعين والسين والباء الموحّدة) كحبيب: اسم جبل** ... انتهى.

والظاهر ـ بناء على ما مرّ ـ أنّ «عسيب» هو الصواب، وقد ورد هذا اللفظ الأخير في بعض النسخ. وأمّا عشيب (بالشين المعجمة) فغير صحيح على الظاهر، لأنّ معناه الأرض المُعشبة، واستعماله في هذا المورد يستلزم التكلّف.

وعلى أيّة حال ، فإنّ خاصّيّة الأربعين في ظهور الفعليّة وبروز القابليّة والقوّة وحصول المَلَكة أمرٌ مصرّح به في الآيات والأخبار ، ومجرّب لدى أهل الباطن والأسرار ، وهو ما أُخبر عنه في الحديث الشريف بأنّه حصول آثار الخلوص ، أي نبوع عين المعرفة والحكمة في هذه المرحلة . ولا ريب أنّ أيّ محظوظ طوى هذه المنازل الأربعين بأقدام الهمّة وبلغ بقابليّات الخلوص إلى فعليّتها ، فإنّ نبع المعرفة ستبدأ بالفوران من أرض قلبه .

وتقع هذه المنازل الأربعين في عالم الخلوص والإخلاص ، أمّا منتهاها فعالَمٌ فوق عالَم المُخلَصين ، وهو عالَمُ **أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**[١٥] ، حيث إنّ الطعام والشراب الربّانيّين عبارة

١٥ـ روى الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ، ص ١١١ ، باب الصيام ، عن معاوية بن عمّار قال :

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ صِيَامِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، قَالَ : إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهَا بِمِنَى ، فَأَمَّا بِغَيْرِهَا فَلَا بَأْسَ . وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الوِصَالِ فِي الصِّيَامِ وَكَانَ يُوَاصِلُ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَظِلُّ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي .

وأورد هذه الرواية في «المحجّة البيضاء» ج ٢ ، ص ١٤٢ ، نقلاً عن «من لا يحضره الفقيه» .

وأوردها المرحوم السيّد علي خان في «شرح الصحيفة» (حسب ⇦

. . . .

⇐ نقل «تلخيص الرياض» ج ١، ص ٣٧) بلفظ «أبيتُ» وقال: قال عليه السلام: **أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**.

هذا في روايات الشيعة، وأمّا في روايات العامّة فلم يرد لفظ «عِند ربّي»، وجاء في بعضها لفظ «أبيتُ» وفي بعضها الآخر لفظ «أظلُّ».

القسم الأوّل: روى البخاريّ في صحيحه ج ٤، ص ٢٥١، كتاب التمنّي، بإسناده عن أبي هريرة قال: **نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الوِصَالِ. قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: أَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**. وروى مسلم في صحيحه ج ٣، ص ١٣٣، كتاب الصيام روايتَين بإسناده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، وأُخرى عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة، عن رسول الله بنفس لفظ البخاريّ الذي نقلناه.

وروى مالك في «الموطّأ»، كتاب الصيام، ص ٢٨٠، بإسناده عن الأعرج، عن أبي هريرة قال:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ، إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ. قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي.

القسم الثاني: روى البخاريّ في صحيحه، ج ٤، ص ٢٥١، كتاب التمنّي، بإسناده عن أنس قال:

وَاصَلَ النَّبِيُّ آخِرَ الشَّهْرِ وَوَاصَلَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَوْ مُدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالاً يَدَعُ المُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَظِلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي.

وروى أُخرى في ج ١، ص ٣٢٩، كتاب الصوم، بإسناده عن ⇐

عن المعارف والعلوم الحقيقيّة غير المتناهية .

وقد عُبِّر في حديث المعراج عن ضيافة خاتم الأنبياء وإطعامه اللَّبَن والرزّ[١٦] ، حيث إنّ اللبن في عالمنا هذا بمثابة العلوم الحقّة في عالَم المجرّدات ، ولذا يُعبّر عن اللبن في الرؤيا بالعِلم .

ويصل المسافر في هذه المنازل إلى غايته حين يغدو سيره في عالَم الخلوص ، وليس حين يكتسب الإخلاص في هذه المنازل ، فقد ورد : **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً** ، وينبغي ـ إذاً ـ أن يكون الخلوص قد اكتُسِب خلال سير هذه المنازل .

فيكون عالَم الخلوص بداية هذه المنازل ، لا أن تُفتح باب

⇦ عبد الله ابن عمر قال :

إنَّ النَّبِيَّ وَاصَلَ فَوَاصَلَ النَّاسُ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَنَهَاهُمْ ، قَالُوا : إنَّكَ تُوَاصِلُ ! قَالَ : لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إنِّي أَظِلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى .

وجاء في «صحيح مسلم» ، ص ٣٢٩ ، كتاب الصيام بلفظ : **إنِّي أَظِلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي .**

وورد أيضاً في نفس الصفحة من الكتاب المذكور وفي «الموطّأ» ، كتاب الصوم ، ص ٢٨٠ أنّ رسول الله قال : **إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى .**

١٦ـ ورد في الأخبار لفظ اللبن ، إلّا أنّي لم أرَ في خبرٍ ما لفظ «اللبن والرزّ» ، وسألتُ الأُستاذ الطباطبائيّ عن ذلك فقال : لقد بحثتُ ـ بدَوري ـ عن مثل هذا الخبر ، إلّا أنّي لم أعثر على شيء .

المعرفة في وجه كلّ مسافر في هذه المنازل الأربعين، أو مَن يريد تحصيل الخلوص في المراحل الأربعين.

ولابدّ ـ إذاً ـ لمسافر عالَم هذا الحديث من جُملة أُمور:[17]

الأوّل: المعرفة الإجماليّة بالمقصد، وهو عالَم ظهور ينابيع الحكمة. ذلك أنّ المرء ما لَم يتصوّر المقصد إجمالاً، فإنّه لن يسعى إليه.

الثاني: الدخول في عالَم الإخلاص ومعرفته.

الثالث: السير في المنازل الأربعين لهذا العالَم.

الرابع: طيّ العوالم العديدة (وهي المنازل التي تسبق عالَم الخلوص) من أجل الدخول ـ بعد طيّها ـ في عالم الخلوص.

---

١٧ ـ عوالم ما قبل الخلوص، عالم الخلوص، السير في المنازل الأربعين لعالم الخلوص، وعالم ظهور ينابيع الحكمة.

الفصل الثاني

المعرفة الإجمالية للمقصد



أمّا معرفة المقصد التي أُشير إليها في قوله : **ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ** ، فنقول : إنّ المقصد هو عالَم الحياة الأبديّة الذي عُبِّر عنه بـ«البقاء بالمعبود» . وظهور عيون الحِكمة (وهي العلوم الحقيقيّة) إشارة إلى ذلك ، لأنّ العلوم الحقيقيّة والمعارف الحقّة هي رزق النفوس القدسيّة الذي يصلها من ربّها ، والرزق الإلهيّ إنّما هو للحياة الأبديّة .

بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، والوصول إلى هذا العالَم الجامع للمراتب الكماليّة التي لا حَصر لها ، ومن جُملتها حصول التجرّد الكامل على قدر القابليّة الإمكانيّة[١٨] ، إذ المادّيّة لا تنسجم

١٨ـ التعليل اللاحق (إذ المادّيّة لا تنسجم ... إلى آخره) ليس عائداً إلى الجملة السابقة ، أي إلى جملة (على قدر القابليّة الإمكانيّة) ، بل يعود إلى المطلب السابق ، وهو أنّ الرزق الإلهيّ إنّما هو للنفوس القدسيّة والإحياء الأبديّ . وحاصل المطلب أنّ البدن سوف يفسد ، إلّا أنّ وجهه (أي مظهره) سيبقى . فإن بلغت النفس الإنسانيّة في سيرها المظاهرَ والصفات الإلهيّة فأضحت مظهراً للأنوار الإلهيّة ، غدت في عداد «أحياءٌ عند ربّهم» ، وكان رزقها تلك العلوم والمعارف الحقيقيّة . وينبغي العلم ⇦

مع الحياة الجامعة الأبديّة ، والمادّة والجسميّة من عـالَم الكـون ،

⇐ بأنّ حصول التجرّد إنّما يكون عـلى قـدر القـابليّة الإمكـانيّة ، أي أنّ السالك إذا دخل في عالَم اللاهوت ، وإذا حصل على الفناء في جـميع الأسماء الإلهيّة ومن جملتها الفناء في اسم «الواحد» ، وإذا بلغ مـرحـلة البقاء بعد الفناء (وهو البقاء بالمعبود) ، فـإنّه لن يـحصل عـلى التـجرّد الكامل من جميع الجهات ومن ضمنها التجرّد من القـابليّة الإمكـانيّة . وعلى الرغم من أنّ علم السالك في هذه الحال سيكون علماً إلهيّاً ، وأنّه سـيكون له المعـيّة مع كـلّ مـوجـود ، وأنّـه سـيطّـلع عـلى المـاضـي والمستقبل ، إلّا أنّ تلك العـلاقة الإجـماليّة بـتدبير البـدن سـتمنع مـن حصول التجرّد التامّ فيما وراء أفق الإمكان . بَيدَ أنّه قد شوهد أنّ نسـبة عُلقة الروح ببدنها وبسائر الموجودات ستكون متفاوتة . ثمّ إنّـها تـترك البدن كلّيّاً بعد الموت وتتفرّغ من الاشتغال بتدبيره بتمام معنى الكلمة ، فتحصل على التجرّد اللاهوتيّ .

يقول الشيخ وليّ الله الدِّهلويّ في «الهمعات» : لقد قيل لهذا الفقير بأنّ قطع علاقة الروح بالبدن سيحصل بعد الموت بخمسمائة سنة .

وقال محيي الدين بن عربي في موارد عديدة : إنّ العين الثابتة ستبقى للسالك بعد البقاء بالمعبود أيضاً .

وليس في هذا منافاة مع كون الإنسان اسماً إلهيّاً أعظماً ، لأنّ الإنسان ـ من بين جميع الموجودات ومن ضمنها الملائكة ـ هو الاسم الأعظم . غاية الأمر أنّه يكتسب بالبدن جميع المراتب ، عدا مرحلة واحـدة مـن حصول التجرّد التامّ الكامل (حتّى التجرّد من العين الثـابتة والشـوائب الإمكانيّة) ، فإنّها تحصل له بعد الموت .

وكلُّ كونٍ يتبعه الفساد: **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**، ووجه كلّ شيء هو الجهة التي يواجه بها الآخرين ويظهر بها ويتجلّى، فوجهُ كلّ أحد هو مظهره. ومن جملة ما يلزم كلّ شيء ـ عدا مظاهر الصفات والأسماء الإلهيّة ـ هلاكه وبواره. وقد تيسّر لكثير من النفوس الكاملة أمر الوصول إلى شمّة من العلوم والمعارف، بَيدَ أنّه لم يرشح لهم من عين الحِكمة رشحة ولا قطرة. وينبوع الحكمة إشارة إلى مبدأ جميع الفيوضات ومنبع الكمالات.

فمن جملة المراتب العليّة لهذا العالَم، مظهريّة الأنوار الإلهيّة التي لا يطرأ عليها الهلاك والبوار بنصّ القرآن الكريم.[١٩]

ومن جملة المراتب: الإحاطة الكلّيّة بالعوالم الإلهيّة على

١٩ـ سواء عددنا الضمير في «وجهه» في الآية الكريمة: **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** عائداً إلى الله تعالى أو إلى الشيء، فإنّ المعنى سيكون واحداً في كِلا الحالَين، وهو أنّ جميع الموجودات ستفنى إلّا وجه الله، وهو الأسماء الإلهيّة التي تظهر بها الموجودات وتتجلّى، أو وجه الأشياء، الذي يعني أيضاً بقاء جانب مظهريّة الله تعالى فيها.

ويُلاحَظ في الآية الكريمة: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** أنّ صفة «ذو الجلال والإكرام» هي ـ باعتبار رفعها ـ صفة إلى «وجه» وليست صفة إلى «ربّك». وبناء على ذلك فلا هلاك ولا بوار لوجه الله تعالى الذي هو أسماؤه وصفاته، والمتّصف بالجلال والإكرام. **وَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**.

قدر القابليّات الإمكانيّة، لأنّ الحكمة علمٌ حقيقيّ عارٍ من الشوائب والشكّ، وهو ممّا يتعذّر حصوله بدون الإحاطة الكلّيّة، تلك الإحاطة التي من شأنها الاطّلاع على الماضي والمستقبل والتصرّف في موادّ الكائنات، إذ المحيط يحصل على التسلّط الكامل على المُحاط ويحضر في كل مكان ويصاحب كلّ موجود، إلّا أن يمنعه الاشتغال بأُمور البدن.

وحصول جميع هذه المراتب منوط بترك تدبير البدن. وسائر درجات هذا العالَم وفيوضاته ممّا لا حدّ له ولا نهاية، وبيان ذلك غير ميسور. وأمّا عالَم الخلوص والإخلاص:[20]

٢٠ـ اعلم بأنّ عالَم الخلوص والإخلاص يعني عالم الطهارة والنزاهة، وأنّه عالَم المخلَصين (بالفتح)، وهم فوق المخلِصين (بالكسر)، إذ على العبد أن يُخلِص أوّلاً كي يصبح خالصاً. ولذا فإنّ عالَم إخلاص العبد وعالَم خلوصه عالَمان مختلفان. أمّا وقد عدّ المصنّف رحمة الله عليه الإخلاص والخلوص عالَماً واحداً واعتبر هاتَين الكلمتَين بمثابة عطف تفسير على بعضهما، فإنّ مراده إخلاص الربّ وليس إخلاص العبد الذي هو فِعل العبد، بل أراد به إخلاص الربّ الذي هو فِعل الله تعالى، ونتيجته وحاصله إخلاص العبد. وبناءً على ذلك فإنّ العبد إذا ما أخلص، فإنّ الله تعالى سيخلصه في المرحلة التالية، وهذا الإخلاص هو الخلوص الذي عنوانه فِعل الله، وهما متلازمان ومتقارنان، ولذا فقد قال المصنّف: عالَم الخلوص والإخلاص.

الفصل الثالث

الدُّخُولُ فِي عَالَمِ الخُلُوصِ والمَعْرِفَةِ

فاعلمْ أنّ الخلوص والإخلاص على نوعَين :

الأوّل : خلوص الدِّين والطاعة للّه تعالى .

الثاني : خلوصه للّه تعالى .

ويشير إلى الأوّل الآية الكريمة : **لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** ، وهذا النوع يحصل في بدايات درجات الإيمان ، وهو ممّا يلزم على كلّ أحد تحصيله ، إذ العبادة فاسدةٌ بدونه ، وهو أحد مقدّمات الوصول إلى النوع الثاني .

ويُشير إلى الثاني قوله تعالى : **إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ** ، فقد جعل الخلوص لذات العبد ، بينما جعلته الآية الأُولى للدِّين ، وعدّت العبد مُخلصاً له .

كما يُشير إلى النوع الثاني حديث : **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ** ، أي أخلص نفسَه . وأوّلهما بصيغة الفاعل وثانيهما بصيغة المفعول .

وهذا النوع من الخلوص مرتبة وراء مرتبتَي الإسلام والإيمان ، ومرتبة لا تُدرَك إلّا يَنظُر الله إلى صاحبها بعين عنايته ، وليس الموحِّد الحقيقيّ إلّا صاحب هذه المرتبة . وما لم يدخل

السالك في هذا العالَم ، فإنّ أذياله لن تنقى من أشواك الشِّرك ، **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** [الآية ١٠٦ ، من السورة ١٢ : يوسف] ، والمناصب الثلاثة ثابتة معاً لصاحب هذه المرتبة بنصّ كتاب الله تعالى :[٢١]

الأُولى : أنّه يُعفى من حساب الحشر الآفاقيّ[٢٢] ، ومن الحضور في تلك العرصة : **فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ** [الآيتان ١٢٧ و١٢٨ ، من السورة ٣٧ : الصافّات] ، لأنّ هذه الطائفة ـ بعبورها من القيامة العظمى الأنفسيّة ـ قد أدّت حسابها ، فلا حاجةَ لمحاسبتها من جديد .

---

٢١ ـ اعلم أنّ القرآن الكريم نصّ على منصب آخر غير هذه المناصب الثلاثة ، وهو خروجهم من سلطة الشيطان ، وأنّه لا يطمع في إغوائهم ، فقد ورد في سورة الحِجر ، الآيتين ٣٩ و٤٠ : **وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ** ، وجاء في سورة ص ، الآيتين ٨٢ و٨٣ : **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ** .

ولكن لمّا كان المنصب الأوّل الذي ذكره المصنّف (وهو إعفاؤه من حساب الحشر) يستلزم عدم تسلّط الشيطان ، فإنّه لم يعُدّ هذا المنصب على حِدة .

٢٢ ـ ويُعفى كذلك من حساب الحشر الأنفسيّ ، فقد أعقبه بقوله : لأنّ هذه الطائفة قد أدّت حسابها بعبورها من القيامة العظمى الأنفسيّة .

الثانية : أنّ كلّ فردٍ إنّما ينال ما ينال من الثواب والسعادة على قدر عمله ، إلّا هذا الصنف من العباد الذين ينالون من الإكرام واللطف ما لا يُدركه العقل ، وفوق جزاء أعمالهم : **وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ** [الآيتان ٣٩ و٤٠ ، من السورة ٣٧ : الصافّات].

الثالثة : أنّ هذه مرتبة عظيمة ومقام كريم ، وفيه إشارة إلى مقامات رفيعة ومناصب منيعة ، وهي أنّه سيُثني على الله بما هو أهلُه من الثناء : **سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ** [الآيتان ١٥٩ و١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافّات] ، أي أنّه يتمكّن من الثناء على الله تعالى بما يليق بساحته ويعرف صفات كبريائه ، وهذه هي غاية مرتبة المخلوق ، ونهاية منصب الممكن[٢٣] . وما لم تظهر ينابيع الحكمة بأمر الله الكريم في

٢٣ـ اعلم أنّ المصنّف رحمه الله اعتبر أنّ الغاية هي عالَم ظهور ينابيع الحِكمة ، أي البقاء بالله تعالى ، وعيّن سير الأربعين لبلوغ هذا الهدف في عالَم الخلوص . وعلى السالك أن يدخل عالَم الخلوص (وهو مقام المُخلَصين) ، وينال ثلاثة مناصب رفيعة عيّنها له ، ثمّ يسير مدّة أربعين كاملة في هذا العالَم ليبلغ مقام ظهور الينابيع والبقاء بالله تعالى . ولمّا كان الدخول في عالَم الإخلاص يعني الدخول في عالم الوجوب واللاهوت ، فقد عبّر عن ورود هذا العالَم بأنّه غاية مرتبة المخلوق ⇦

القلب ، فإنّ العبد لن يتمكّن من تناول هذه الجرعة ، وما لم يطوِ مراتب عالَم الممكنات ويتطلّع ببصره إلى مملكة الوجوب واللاهوت ، فإنّه لن يتمكّن من بلوغ هذه المرتبة .

بلى ، ما لم يطوِ مملكة الإمكان فإنّه لن يتمكّن من أن يطأ بأقدامه بساط «عِندَ ربِّهم» ، ولا أن يرتدي لباس الحياة الأبديّة ، أمّا العباد المُخلَصين فإنّهم نالوا عطاء الحياة الأبديّة ، وهم حاضرون عند ربّهم : **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** [الآية ١٦٩ ، من السورة ٣ : آل عمران] ، ورزقهم هو الرزق المعلوم الذي ذكره تعالى في حقّ المُخلَصين : **أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ**[٢٤] [الآية ٤١ ، من السورة ٣٧ : الصافّات] ، والقتل في

⇦ ونهاية منصب الممكن ، على الرغم من أنّ الفاصلة بين هذا المنصب وبين درجة الكمال (وهو عالَم البقاء والظهور) تعادل أربعين منزلاً ، ولذا فإنّه لم يُعبّر عن ورود عالَم الخلوص بعالَم ظهور ينابيع الحِكمة على اللسان ، حيث إنّ ظهور ينابيع الحكمة في عالَم الخلوص إنّما يحصل في أرض القلب ، وبعد طيّ الأربعين والبلوغ بجميع مراتب القابليّات إلى فعليّتها ، فإنّ الخلوص سيجري من القلب على اللسان .

٢٤ـ صفة «معلوم» التي جِيء بها كصفةٍ للرزق ليس لها معنى مشخّص ومقدّر في مقابل غير المقدّر والخارج عن الحدّ والحصر ، بل استُعملت من أجل بيان أهمّيّة هذا الرزق والتأكيد على أهمّيّته ، في مقابل غير المعلوم الذي يعني التافه وغير المهمّ .

سبيل الله إشارة إلى هذه المرتبة من الخلوص ، وهذان الرزقان متّحدان[٢٥] ومقارنان للكون عند الربّ ، وهو تعبير آخر عن القُرب الذي هو حقيقة الولاية ، وهي مصدر وأصل شجرة النبوّة : **أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ**[٢٦] ، والنبوّة متفرّعة منها ومولودة منها . بل تلك نورٌ وهذه شُعاع ، وتلك وَجهٌ وهذه صورة ، وتلك عَيْنٌ وهذه أَثَر ، إذ الوليّ مُخاطَب بخطاب : **أَقْبِلْ** ، والنبيّ مخاطب بخطاب : **أَدْبِرْ بَعْدَ أَقْبِلْ** . فالنبوّة لا تتحقّق بدون الولاية ، أمّا الولاية فتتحقّق بدون النبوّة .[٢٧]

٢٥ـ يعني «رزق معلوم» ورزق «أحياء عند ربّهم» .

٢٦ـ وردت هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٣٣٤ ، نقلاً عن «كشف الغمّة» ، وجاء في «أمالي الطوسيّ» ص ٣٣٨ :

يَا عَلِيُّ خَلَقَ اللهُ النَّاسَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى ، وَخَلَقَنِي وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَنَا أَصْلُهَا وَأَنْتَ فَرْعُهَا ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَمَسَّكَ بِأَصْلِهَا وَأَكَلَ مِنْ فَرْعِهَا .

وأورد (القندوزيّ) في «ينابيع المودّة» ص ٢٣٥ و٢٥٦ ، روايات في هذا الشأن .

٢٧ـ لأنّ النبوّة تستلزم الوحي ، وهو أعلى درجات المخاطبة بين الله تعالى والعبد بدون حجاب ولا واسطة ، حيث قال :

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا .

وهذا النوع من التكلّم يحصل فقط في حال فناء العبد خلال ⇦

وجاء في حقّ المُخلَصين : **لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ.** [28]

وفي كلام خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله :

رَأَيْتُ رَبِّي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حِجَابٌ إِلَّا حِجَابٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ

⇐ تجلّيات الله ، وهو ما يُدعى بالولاية . فكلّ نبوّة إذاً متفرّعة عن الولاية . بلى لا يلزم النبيّ أن يمتلك الولاية العامّة المطلقة ، بل تكفي الولاية في الجملة في حصول مقام النبوّة .

٢٨ـ المراد برداء الكبرياء : هو المقام الرفيع للذات وعظمتها وتجرّدها ، وهو ما يفوق كلَّ اسم ورسم ، لأنّ نهاية سير الإنسان هو الفَناء في اسم «أَحَد» . ومن الجليّ أنّ «أَحَد» اسم . وهذه هي نهاية التجرّد الإمكانيّ الذي سبقت الإشارة إليه . وأمّا المقام الذي يعلو هذا المقام ، فهو التجرّد المحض المطلق ، حتّى خارج أُفق الإمكان ، بل خارج تقيّده وتعلّقه بالعين الثابتة . وهو أعلى من اسم «أحد» الذي سيحصل بعد الموت .

والمراد بالياقوتة البيضاء مقام الأحديّة الذي يفوق كلّ ظهورٍ وتجلٍّ ، والذي يفوق في النورانيّة كلّ اسم ، والأقرب إلى الإطلاق . والمراد بالروضة الخضراء مقام ذات الأحد بملاحظة شؤون الوحدة في روضة الكثرة ومرج عالم الواحديّة . والمراد بالياقوتة البيضاء في الروضة الخضراء هو نقطة الوحدة بين قوسَي الأحديّة والواحديّة ، وهو ذروة المقامات ، إذ هو في عين الفَناء في الأحديّة حائزٌ لمقام الواحديّة . وقد جاء في كلام محيي الدين بن عربي في الصلاة على رسول الله: **نُقْطَةُ الوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسَيِ الأَحَدِيَّةِ وَالوَاحِدِيَّةِ.**

بَيْضَاءَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ. وفي كليهما حجابٌ واحد لا غير، على الرغم من أنّ الحُجب تختلف فيما بينها.

وفي هذا بشارةٌ عظيمة للمُخلَصين، فقد تشرّفوا بشرف جوار سيّد المُرسَلين، وهذا عالَمٌ يفوق عالَم الملائكة المقرّبين، فقد سأل الرسول صلّى الله عليه وآله جبرئيل: **هَلْ رَأَيْتَ الرَّبَّ؟ قَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعُونَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ وَاحِداً لَاحْتَرَقْتُ**.[٢٩]

ولا يمكن أن يقال في حقّ المخلَصين أزيد من هذا، إذ تقصر العبارات عنه، وتعجز أفهام الخلق عن تحمّله.[٣٠]

قَالَ رَبُّ العِزَّةِ: أَوْلِيَائِي تَحْتَ قُبَابِي لَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرِي.[٣١]

يعني: **لَا يَعْرِفُ عَوَالِمَهُمْ وَدَرَجَاتِهِمْ غَيْرِي**.

٢٩ـ جاء كلام جبرئيل في «مرصاد العِباد» ص ٦٥ و١٨٩ و١٩١، وفي رسالة «عشق وعقل» ص ٦٤ و٨٤ و٩٣، وفي «عوارف المعارف» هامش ص ٢٢٨، عن «إحياء العلوم» ج ٤، بلفظ: **لَوْ دَنَوْتُ أُنْمُلَةً لَاحْتَرَقْتُ**.

٣٠ ـ جاء في النسخة الفارسيّة: (محتمل، نسخه بدل) أي: احتماله بدل تحمّله.

٣١ـ ورد هذا الحديث في «مرصاد العباد»، الباب ٣، الفصل ٩، ص ١١٦، وفي الباب ٣، الفصل ١٠، ص ١٢٣، وفي الباب الرابع، الفصل ٣، ص ١٩٠، وفي الباب ٥، الفصل ٨، ص ٢٦٨؛ وفي «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٢٥٦؛ وفي «كشف المحجوب» للهويجريّ ص ٧٠، طبعة لينينغراد.

وكما عرفتَ فإنّ الوصول إلى هذا العالَم موقوفٌ على القَتْل في سَبيل الله تعالى.[32]

وما دام العبدُ لم يُقتَل في هذا السبيل، فإنّه لن يدخل في عالم الخلوص للّه؛ والقتل عبارة عن قطع علاقة الروح بالبدن[33]، ثمّ

٣٢ـ ما ذكره المصنّف رحمة الله عليه من هذه الفقرة إلى قوله: «وأمّا المنازل الأربعون لعالَم الخلوص» ـ الذي سيرد في الصفحات التالية ـ لا يتعلّق بعالَم الخلوص، بل بخصائص العوالم المتقدّمة على عالَم الخلوص، وسيأتي الحديث عنها مفصّلاً. أمّا وقد ذكر في هذا المجال أنّ الوصول إلى عالم الخلوص يتوقّف على القتل في سبيل الله تعالى، فإنّه أراد بيان شمّة من خصائص تلك العوالم، ومن جملتها أحوال المنافقين التي تحدّث عنها مستطرداً.

أمّا تفصيل القتل في سبيل الله بتمام مراتبه ومقدّماته من الجهاد والهجرة والإسلام والإيمان بجميع درجاتها (وهي المقدّمة للورود إلى عالَم الخلوص)، فسيذكرها فيما بعد في قوله «وأمّا تفصيل العوالم المتقدّمة على الخلوص».

٣٣ـ اعلم أنّ المراد بالقلب في اصطلاح العُرفاء هو عالَم المثال والملكوت، وأنّ المراد بالروح هو عالَم العقل والجبروت، قال حافظ رحمة الله عليه:

دردم از يار ودرمان نيز هم　　　دل فداى او شد وجان نيز هم

يقول: «إنّ سقمي وشفائي كلاهما بِيَدِ الحبيب، وقد فديت له القلب والروح معاً».

حيث إنّ المراد بالقلب والروح: المثال والعقل. ⇦

قطع علاقة روح الروح بالروح ، حيث إنّ الموت عبارة عن انقطاع تلك العلاقة .

وقطع العلاقة على نوعين : الأوّل بالسيف الظاهر ، والآخر بالسيف الباطن . والمقتول واحد في كلا الحالَين ، أمّا القاتل فهو

⇦ وقال أيضاً في «ساقى نامه» (= رسالة الساقي):

در خـــاكـــروبانِ مـيخانه كـوب
رهِ مـــــيفروشان مـــيخانه روب
مگـــر آب وآتش خـواصت دهــند
ز هستى بـه مسـتى خـلاصت دهـند
كه حافظ چـه بـر عـالَم جـان رسـيد
چه از خود برون شد ، به جانان رسيد

يقول : «اقرع أبواب كنّاسي الحانة ، واكنس طريق بائعي الخمرة . فعسى يسقيك الخواصّ ماءً وناراً ، ويـخلّصونك مـن الوجـود إلى السُّكر.

ولقد بلغ حافظ عالم الروح والخلود ، فقد خرج من وجوده فوصل إلى المحبوب» .

حـيث إنّ المـراد بـ «عـالَمِ جـانْ» (= عـالم الروح) : عـالم العـقل والجبروت ، والمراد بـ «جانان» (= الحبيب) : عالَم اللاهوت .

ولذ فإنّ مراد المصنّف رحمة الله عليه بقطع علاقة الروح بالبدن هو قطع علاقة الجبروت والعقل بالبدن . ومـراده بـقطع عـلاقة روح الروح بالروح هو قطع علاقة اللاهوت بالعقل والجبروت ، ويعني الوصول إلى روح الروح .

في النوع الأوّل جيش الكُفر والشيطان ، وفي النوع الثاني جُند الرحمن والإيمان . ومورد السيف في كلا القتلَين واحد (وهو أركان عالَم الطبيعة) ، لكن أحد الضاربَين بالسيف مَلوم ومستحقّ للعقاب ، والآخر مرحوم ومُثاب : **إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** .[٣٤]

ولمّا كان القتل في سبيل الله بالسيف الظاهر مثالاً متنزّلاً من القتل بسيف باطن الباطن ـ كما سيأتي ذِكره ـ فيكون ظاهر المراد بالقتل في سبيل الله حيثما ورد في القرآن الكريم هو القتل بالسيف الظاهر ، وباطنه القتل بسيف الباطن ، وباطن باطنه القتل بسيف باطن الباطن ، وتلك مرحلة أُخرى أُشير إليها : **إنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْراً وَبَطْناً ، وَلِبَطْنِهِ بَطْناً إلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ** .[٣٥]

٣٤ـ روي هذا الحديث في «مصباح الشريعة» ص ٦ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وفي «مُنية المريد» ص ٢٧ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ ونقله المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥ ، القسم الثاني ، الإيمان والكُفر ، ص ٧٧ ، عن «مصباح الشريعة» و«غوالي اللئالي» ، وفي ص ٧٨ ، عن «مُنية المريد» .

٣٥ـ نقل هذا الحديث العامّة كما هو مصرّح به في المقدّمة الرابعة من «تفسير الصافي» ج ١ ، ص ١٨ .

أمّا الخاصّة ، فقد وردت في هذا الباب روايات عديدة ، منها ما ورد في «بحار الأنوار» ج ١٩ ، ص ٥ ، عن «تفسير العيّاشيّ» عن الإمام الصادق عليه السلام وعن «نوادر الراونديّ» عن الإمام الكاظم عليه السلام ، ⇦

ولهذا عُبِّر في القرآن الكريم عن كِلا القتلَين بالجهاد والمجاهدة، قال تعالى:

ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ [الآية ٤١، من السورة ٩: التوبة]، وقال تعالى: **وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** [الآية ٦٩، من السورة ٢٩: العنكبوت]؛ وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ**[٣٦]. والأصغر هو مِثال وأُنموذج للأكبر، وجميع

⇦ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ هُدْنَةٍ... إلى أن قال: وَلَهُ (أي للقرآن) ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حِكْمَةٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ. ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ.

وروى في ص ٢٤ عن «المحاسن»، وفي ص ٢٥ عن «العيّاشيّ» عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

يَا جَابِرُ! إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً، وَلِلْبَطْنِ بَطْنٌ؛ وَلَهُ ظَهْرٌ، وَلِلظَّهْرِ ظَهْرٌ... .

وفي ص ٢٦ عن «بصائر الدرجات» عن فضيل بن يسار قال:

سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: مَا مِنَ القُرْآنِ إِلَّا وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ... .

فَقَالَ: ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ، وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ... .

٣٦ـ نقل المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٤٢، أنّ لفظ «رجعنا» قد ورد في «جامع الأخبار».

هذا، ونُقلت هذه الرواية عن ثلاثة من الأئمّة: فقد نقلت أوّلاً عن ⇦

. . . .

⇐ الإمام الصادق عليه السلام ، حيث جاءت في «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٤٤٣ ، نقلاً عن «الكافي» بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام :

إنَّ النَّبِيَّ بَعَثَ بِسَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ : مَرْحَباً بِقَوْمٍ قَضَوُا الجِهَادَ الأَصْغَرَ وَبَقِيَ الجِهَادُ الأَكْبَرُ. قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ ؟ قَالَ : جِهَادُ النَّفْسِ.

ثمّ قال في البحار : «نوادر الراونديّ» بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام مثله.

ونُقلت ثانياً عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، حيث وردت في «البحار» ج ١٥ ، القسم الثاني ، ص ٤٠ ، نقلاً عن «معاني الأخبار» و«الأمالي» للشيخ الصدوق ، الذي روى بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين ، عن رسول الله عليهما الصلاة والسلام ... ثمّ نقل الروايات المذكورة ، وزاد بعد لفظة «بقي» لفظة «عليهم» ، وزاد في آخر الرواية هذه الجملة : **ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَفْضَلُ الجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ**. ثمّ قال في «البحار» : وفي «الاختصاص» عنه عليه السلام مثله. وفي «نوادر الراونديّ» بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مثله إلى قوله «جِهاد النفس». يعني أنّ عبارة الراونديّ لا تحتوي على تلك الإضافة.

هذا ، وعند الرجوع إلى «معاني الأخبار» ص ١٦٠ ، طبع المطبعة الحيدريّة ، سنة ١٣٧٩ هـ ، فقد لاحظنا أنّه ـ بعد نقله الرواية بنفس اللفظ الذي ذكره المجلسيّ ـ قد ذيّلها بلفظ «عليه السلام» بدلاً من حرف «ص» المستعمل كاختصار لعبارة «صلّى الله عليه وآله وسلّم» ، ممّا يُدلّل ⇐

الأحكام المذكورة في الجهاد المُشار إليه لا تختصّ بأحد هذين الجهادَين ، بل تشملهما كلاهما .

يُضاف إلى ذلك أنّ القتل الظاهر يتوقّف على الجهاد الأصغر ، وهو الهجرة إلى الرسول ، ثمّ معه ؛ والهجرة متوقّفة على الإيمان ، والإيمان على الإسلام ، وتحقّقه بدون هذا الترتيب متعذّر . وكذلك الأمر بالنسبة إلى القتل بالسيف الباطن ، الذي يتوقّف على الجهاد الأكبر ، وهذا متوقّف على الهجرة إلى الرسول ، ثمّ معه ، وهذا على الإيمان ، والإيمان على الإسلام .

⇐ على أنّه اعتبر الرواية للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وهو أقرب إلى الحقيقة ، لأنّ الرواية التي نُقلت سابقاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لا تضمّ هذه الإضافة ، ويُمكن أن يكون الإمام الكاظم عليه السلام قد فاه بهذه الجملة ليوضِّح للراوي كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

ونُقلت ثالثاً عن الإمام الرضا عليه السلام ، نقلاً عن «فِقه الرضا» . قال المجلسيّ في ص ٤١ من القسم الثاني المذكور :

يُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى بَعْضَ أَصْحَابِهِ مُنْصَرِفاً مِنْ بَعْثٍ كَانَ بَعَثَهُ ، وَقَدِ انْصَرَفَ بِشُعْثِهِ وَغُبَارِ سَفَرِهِ وَسِلَاحُهُ عَلَيْهِ ، يُرِيدُ مَنْزِلَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : انْصَرَفْتَ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ . فَقِيلَ لَهُ : أَوَ جِهَادٌ فَوْقَ الجِهَادِ بِالسَّيْفِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، جِهَادُ المَرْءِ نَفْسَهُ .

وقد وردت هذه الرواية بهذا اللفظ في «إحياء العلوم» ج ٣ ، ص ٦ .

فالفوز بالدرجات المنيعة، وبلوغ المراتب الرفيعة لا يمكن تصوّره بغير طيّ هذه المراحل العظيمة، قال تعالى في كتابه الكريم:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّـهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الآيات ٢٠ إلى ٢٢، من السورة ٩: التوبة].

مراحل الجهاد الأصغر:

المرحلة الأُولى: الإسلام، وهو عبارة عن التفوّه بالشهادتَين، وهي الفاصل بين الكافر والمسلم.

المرحلة الثانية: الإيمان[٣٧]، وهو عبارة عن العِلم بمؤدّى الشهادتَين، الفاصل بين المؤمن والمنافق، إذ المنافق هو الذي تختلف سريرته عن علانيته.

٣٧ـ يروي الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٥٢، بإسناده عن حمران بن أعين قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: **إنَّ اللهَ فَضَّلَ الإيمَانَ عَلَى الإسْلَامِ بِدَرَجَةٍ، كَمَا فَضَّلَ الكَعْبَةَ عَلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ**.

فمادام القلب غير مستضيء بمشاهدة معنى ما يلفظه اللسان (أي فاقداً للإيمان)، كان المرء منافقاً. وأمّا تشخيص المنافقين من قِبل الآخرين، فيحصل بالآثار والعلامات الدالّة على عدم الاعتقاد **بِمَا يَتَلَفَّظُونَ بِهِ**، لأنّ مقتضى الشهادتين هو العِلم بوحدانيّة المعبود وصِدق **كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ**، وأثر ذلك في الظاهر هو ترك عبادة غير الواحد وإطاعة كلّ ما جاء به الرسول. فمَن عبد سوى الله كان منافقاً. وقد يكون المعبود الهوى: **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** [الآية ٢٣، من السورة ٤٥: الجاثية]، وقد يكون إبليس: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَـٰنَ** [الآية ٦٠، من السورة ٣٦: يس]. وجليٌّ أنّ هذا الاستنكار ليس موجّهاً لمَن يعبد الشيطان، إذ لم يُعهَد مثل هذا المذهب لدى البشر، بل لمن يتبع الشيطان. فمَن تبع الشيطان، فإنّه سيكون قد عبده.

وقد يكون المعبود شخصاً آخر، يعبده طمعاً في ماله أو جاهه، وقد يكون الدرهم والدينار وغير ذلك[٣٨]. فمَن تبعها في

٣٨ـ المؤمن هو الذي يعتقد بحصر الأُلوهيّة في الله تعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً وسرّاً وعلانيةً، إذ لا إله إلّا الله: **هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** (الآية ٦٥، من السورة ٤٠: غافر)، ولذا نهت ⇦

غير رضا الله تعالى ، فقد عبدها .

ومن ترك ما جاء به الرسول ـ بغير سهوٍ أو خطأ أو نسيان ـ فقد انتمى إلى زمرة المنافقين ، حيث جاء في الحديث الذي رفعه محمّد بن خالد إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال : **فَاعْتَبِرُوا إنْكَارَ**

⇦ الشريعة عن اتّخاذ أيّ نوع من الآلهة : **وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ** (الآية ٨٨، من السورة ٢٨ : القصص) ، سواء كان الإله صنماً غير شاعر ولا مُدرك ، كما فعل قومُ موسى حين طلبوا مثل هـذا الإله : **قَالُوا يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ** (الآية ١٣٨ ، من السورة ٧: الأعراف) ؛ أو كان إبليساً ، أو هوى النفس (وهو من جُند إبليس وآلته المسيّرة) أو إنساناً آخراً طمعاً في ماله أو جاهه ، أو خوفاً منه ، كما كان فِرعون يعتبر نفسَه إلهاً ويدعو موسى إلى العبوديّة له : **قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ** (الآية ٢٩ ، من السورة ٢٦ : الشعراء) ؛ أو طمعاً في الجنّة وبلوغ المقامات أو الغفران ، كما فعل النصارى : **ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** (الآية ٣١، من السورة ٩: التوبة) ؛ أو الأموال والأولاد ، حيث يقول : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** (الآية ٩ ، من السورة ٦٣: المنافقون) ، لأنّ كلّ ما يُلهي الإنسانَ عن الله تعالى سيكون إلهاً له ، سواء ألهاه زوجته أو بطنه . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في وصاياه لابن مسعود في صفة قوم آخر الزمان : **مَحَارِيبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، وَآلِهَتُهُمْ بُطُونُهُمْ** . («مكارم الأخلاق» للطبرسيّ ، ص ٢٤٩) .

الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الخَبِيثَةِ. [٣٩]

ولو هاجر مثل هذا الشخص وجاهد، فإنّ هجرته لن تكون هجرة إلى الرسول، وجهاده لن يكون جهاداً في سبيل الله، فقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى امْرَأَةٍ مُصِيبُهَا أَوْ غَنِيمَةٍ يَأْخُذُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَيْهَا.** [٤٠]

٣٩ـ جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذيل حديث حول معنى الإسلام، وسنذكر تمام الحديث لاحقاً في حاشية الصفحة التي تكلّم فيها المصنّف عن الإسلام الأكبر.

٤٠ـ جاء هذا الحديث في «منية المريد» ص ٢٧، طبعة النجف، وورد في «بحار الأنوار» ج ١٥، القسم الثاني (في الأخلاق)، ص ٨٧، نقلاً عن «منية المريد». قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللّهِ وَرَسُوْلِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.

ثمّ قال المرحوم الشهيد الثاني ناقل هذا الحديث:

وَهذَا الخَبَرُ مِنْ أُصُولِ الإسْلَامِ وَأَحَدُ قَوَاعِدِهِ وَأَوَّلُ دَعَائِمِهِ. قِيلَ: وَهُوَ ثُلْثُ العِلْمِ. وَوَجَّهَهُ بَعْضُ الفُضَلَاءِ بِأَنَّ كَسْبَ العَبْدِ يَكُونُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ، فَالنِّيَّةُ أَحَدُ أَقْسَامِ كَسْبِهِ الثَّلَاثِ، وَهِيَ أَرْجَحُهَا، لِأَنَّهَا تَكُونُ عِبَادَةً بِمُفْرَدِهَا (بانفرادها)**، بِخِلَافِ القِسْمَيْنِ الآخَرَيْنِ. وَكَانَ السَّلَفُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ تَابِعِيهِمْ يَسْتَحِبُّونَ اسْتِفْتَاحَ المُصَنَّفَاتِ بِهَذَا** ⇦

وحيث علمتَ أنّ الجهاد الأصغر مثال للجهاد الأكبر ، علِمتَ

⇐ **الحَدِيثِ تَنْبِيهاً لِلْمُطَّلِعِ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ وَتَصْحِيحِهَا وَاهْتِمَامِهِ بِذَلِكَ وَاعْتِنَائِهِ بِهِ** ـ انتهى كلامُه رحمه الله .

كما وردت هذه الرواية في «البحار» ج ١٥ ، الجزء ٢ ، ص ٧٧ ، نقلاً عن «غوالي اللئالي» . بَيدَ أنّ هذا الحديث ليس موجوداً في كتب أُصول أحاديث الشيعة ، ومعلوم أنّ المرحوم الشهيد الثاني وابن أبي جمهور الأحسائيّ ـ وكان من دأبهما الاستفادة من الروايات الأخلاقيّة الواردة في كتب العامّة ـ قد نقلاها من كتب العامّة .

وقد وردت هذه الرواية في أُصول العامّة ، حيث وردت في «صحيح البخاريّ» كتاب الإيمان ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ وفي كتاب العتق ص ٨٠ ؛ وفي ج ٢ ، كتاب مناقب الأنصار ، ص ٣٣٠ ؛ وفي ج ٣ ، كتاب النكاح ، ص ٢٣٨ ؛ وفي ج ٤ ، كتاب الأيمان والنذور ، ص ١٥٨ ؛ وأوردها كذلك : مسلم في «الصحيح» ج ٦ ، كتاب الإمارة ، ص ٤٨ ؛ والنسائيّ في «السنن» ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ٥٩ ؛ وفي ج ٥ ، كتاب الطلاق ، ص ١٥٩ ؛ وفي ج ٧ ، كتاب الإيمان ، ص ١٢ ، كلاهما بإسنادهما عن يحيى بن سعيد ، عن علقمة بن الوقّاص ، عن عمر بن الخطّاب (بأدنى اختلاف في اللفظ) .

وروى أيضاً الترمذيّ في باب «فضائل الجهاد» ؛ وابن ماجة في كتاب الزهد ؛ وأحمد بن حنبل في «المسند» ج ١ (حسب نقل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ) ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَإنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إلَى اللَهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ .

أنّ هذا الفصل والانفصال موجودان في الجهاد الأكبر أيضاً ، وأنّ المنافقين موجودون في هذه المراحل أيضاً .

وباعتبار اشتراك كلا الجهادَين في المرحلتَين الأُولتَين : الإسلام والإيمان ، عدا بعض المراتب والدرجات التي سيُشار إليها فيما بعد ، فإنّ الفاصل بين المؤمن والمنافق من هؤلاء المجاهدين هو الإيمان أيضاً .

وباعتبار أنّ الإيمان الواقع في مراحل الجهاد الأكبر أشدّ من الإيمان الواقع في الجهاد الأصغر ـ كما سيُعلَم فيما بعد ـ فإنّ الملازمة بين مقتضى الشهادتَين لدى المجاهدين في هذا الطريق ستكون أكثر ضرورة وعمليّة ، وأنّ الشخص لو تخلّف أدنى تخلّف عن مقتضى أحدهما ، فإنّه سيدخل في مسلك المنافقين .

ولهذا السبب فإنّ سالكي طريق الله تعالى إذا شاهدوا لدى أحد تخطّياً لظاهر الشريعة ولو قَيْد شعرة ، لم يعدّوه سالكاً ، بل كاذباً مُنافقاً .

وإلى هذا يُشير ما رواه ثقة الإسلام بسنده المتّصل عن مِسمَع ابن عبد الملك ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا زَادَ خُشُوعُ الجَسَدِ عَلَى خُشُوعِ القَلْبِ ،**

فَهُوَ عِنْدَنَا نِفَاقٌ. [41]

وكما أنّ منافقي الجهاد الأصغر هم الذين هاجروا مع الرسول خوفاً من بأسه، أو طمعاً في غنيمة، أو رجاء الظفر بما يحبّون، ولم تكن هجرتهم للّه وفي الله، ولا لمحاربة أعداء الله واستئصالهم. وأمثال هؤلاء ظواهرهم في ميدان الجهاد، أمّا بواطنهم ففي تحصيل المشتهيات أو دفع العقوبة والنقمة؛ فإنّ منافقي الجهاد الأكبر هم الذين ليست مجاهدتهم من أجل كسر سَورة القوى الطبيعيّة، وتسليط القوّة العاقلة عليها، ومن أجل تخليص أنفسهم للّه تعالى في سبيله. [42]

٤١ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٣٩٦، بلفظ «على ما في القلب».

٤٢ـ اعلم أنّ كثيراً من كلمات العرفاء وعلماء الأخلاق ذكرت بأنّ التسلّط على عالَم المِثال والعقل، والورود في عالَم التوحيد متوقّفان على كسر صولة القوى الطبيعيّة والقضاء عليها. وكثيراً ما يفسّر هذا التعبير تفسيراً خاطئاً، فقد يمكن أن يُخال إلى البعض بأنّ بلوغ المراتب العالية والدرجات الرفيعة أمر متعذّر مادامت القوى الطبيعيّة والنفس والطبع والمادّة موجودة، ومادام المرء يعيش في عالَم الأكل والمشي في الأسواق؛ مع أنّ الأمر ليس كما يتصوّر، لأنّ نيل جميع المراحل العالية، وبلوغ عوالم ما وراء المادّة، والوصول إلى مقام القلب والعقل والتوحيد المطلق، وتحقّق الموت الناسوتيّ والملكوتيّ ⇦

. . . .

⇐ والجبروتيّ، والتحقّق والعبور من القيامة الأنفسيّة الصغرى والوسطى والكبرى أمر ممكن في هذه النشأة. وعلى الرغم من مباشرة المرء لأمور الزراعة والتجارة والنكاح، فإنّ بإمكانه ـ من خلال مجاهدة النفس الأمّارة ـ أن يجتاز جميع المراحل السالفة الذّكر، وأن يطوي في هذا العالَم مراحلَ البرزخ والقيامة وسؤال مُنكَر ونكير وعوالم الحشر والنشر والسؤال والعَرض والميزان والصراط والحساب وتطاير الكتب والأعراف والجنّة والشفاعة والنار، وأن يرد الجنّة من دون حساب: **فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ** (الآية ٤٠، من السورة ٤٠: غافر)، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحثّ عليه: **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا** (ورد هذا الحديث في «مرصاد العباد» الباب ٤، الفصل ٢، ص ١٧٩ و١٨٢؛ وفي الباب ٤، الفصل ٢، ص ١٩٣)؛ ويشير إليه أيضاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»: **وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ**. وأكثر منها صراحة: الخطابات المعراجيّة المصدّرة بخطاب «يا أحمد! يا أحمد!»، التي خاطب بها الله تعالى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة المعراج، وقد وردت مفصّلة في «بحار الأنوار» ج ١٧، ص ٦ فما بعد؛ ومن جملتها خطابه في شأن محبّي الله وأوليائه:

قَدْ صَارَتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَهُمْ وَاحِدَةً، يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةٍ مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَمُخَالَفَةِ هَوَاهُمْ... (إلى أن قال): **فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأُحْيِيَنَّهُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً إذَا فَارَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ جَسَدِهِمْ؛ لَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مَلَكَ المَوْتِ، وَلَا يَلِي قَبْضَ رُوحِهِمْ غَيْرِي، وَلَأَفْتَحَنَّ لِرُوحِهِمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّهَا، وَلَأَرْفَعَنَّ** ⇐

وكما أنّ منافقي الصنف الأوّل في الظاهر ممّن يتفوّهون بالشهادتَين ، وممّن يسافرون بأبدانهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ويقاتلون الكفّار ، وأنّ نفاقهم يُعرف بالآثار والعلامات والإتيان بالأعمال المنافية لحقيقة الإيمان ، وأنّهم لو أظهروا كلم الكفر دخلوا في زمرة الكفّار .

فإنّ منافقي الصنف الثاني الذين يتلبّسون في الظاهر بلباس سالكي سبيل الله تعالى ، ويتشبّثون بإطراق الرأس وتنفّس الصعداء ، ويرتدون اللباس الخشن أحياناً ، والصوف أحياناً ، ويزاولون ختم الأربعينات ، ويتركون أكل اللحم الحيوانيّ ، ويمارسون الرياضات ، ويلتزمون بالأوراد والأذكار الجليّة والخفيّة ، ويتحدّثون حديث السالكين ، وينسجون معسول الكلام : **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ** [الآية ٤ ، من السورة ٦٣ : المنافقون] ، أمّا آثارهم وعلاماتهم وأفعالهم وأعمالهم ، فلا توافق

⇐ **الحُجُبَ كُلَّهَا دُونِي** ... (إلى أن قال) : **وَلَا يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَ رُوحِهِ سِتْرٌ** ... (إلى أن قال) : **وَأَفْتَحُ عَيْنَ قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ حَتَّى يَسْمَعَ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرَ بِقَلْبِهِ إِلَى جَلَالِي وَعَظَمَتِي** ... (إلى أن قال) : **وَأُسْمِعُهُ كَلَامِي وَكَلَامَ مَلَائِكَتِي ، وَأُعَرِّفُهُ السِّرَّ الَّذِي سَتَرْتُهُ عَلَى خَلْقِي** ... .

ولو عبّر العلماء عن هذا العبور ـ والأمر على هذه الكيفيّة ـ بالعبور من عالَم الهوى والنفس الأمّارة ، كان أفضل .

المخلصين ، ولا تنطبق على المؤمنين . وعلامتهم عدم ملازمة أحكام الإيمان ، فهم في ذلك أكثر من نظرائهم من الصنف الأوّل .

فإن رأيتَ أحداً يدّعي السلوك ، ثمّ لم تجده ملازماً للتقوى والورع ، متّبعاً لجميع أحكام الإيمان ، ووجدته منحرفاً عن الصراط المستقيم للشريعة الحقّة ولو قيد شعرة ، فاعلم أنّه منافق ؛ إلّا أن يكون قد بدر منه ذلك بعذر أو خطأ أو نسيان .

وكما أنّ الجهاد الثاني هو الجهاد الأكبر بالنسبة إلى الجهاد الأوّل ، فإنّ منافق هذا الصنف أشدّ نفاقاً من نظيره في الصنف الأوّل . وأنّ ما ورد في حقّ المنافقين في كتاب الله ، فإنّ حقيقته ستكون لهؤلاء المنافقين بوجهٍ أشدّ .

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ [الآية ١٦٧ ، من السورة ٣: آل عمران] ؛ **فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** [الآية ٤ ، من السورة ٦٣ : المنافقون] ؛ **إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** [الآية ١٤٥ ، من السورة ٤ : النساء] .

ومن منافقي هذا الصنف فرقةٌ يسمّون أنفسهم مُجاهدين ، وينظرون إلى أحكام الشريعة نظر احتقار ، ويعدّون الالتزام بها من شأن العوام ، بل يعدّون علماء الشريعة أدنى منهم ، ويخترعون من

عند أنفسهم أُموراً، فيفضّلونها على ما سواها بوصفها سبيلاً إلى الله تعالى، ويظنّون أنّ الطريق إلى الله طريق وراء طريق الشريعة. وقد ورد في حقّهم:

وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا [الآيتان ١٥٠ و١٥١، من السورة ٤: النساء].

وفي حقّهم:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا [الآية ٦١، من السورة ٤: النساء].

وورد فيهم:

فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا [الآية ٦، من السورة ٦٤: التغابن].

وهم يصلّون ويصومون، لكن عن غير رغبة أو شوق؛ ويعبدون، ولكن عن غير خلوص نيّة؛ ويذكرون الله، ولكن لا على الدوام والاستمرار. وقد أخبر الله تعالى عنهم:

إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا *

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ [الآيتان ١٤٢ و١٤٣، من السورة ٤: النساء].

فاحذر لا يغرّنّك العبادة والذّكر القاصر.



الفصل الرابع

السَّيْرُ في المنازل الأربعين لعالم الخلوص



وأمّا المنازل الأربعون لعالَم الخُلوص :

فالمراد بها طيّ منازل القابليّة والقوّة ؛ وحصول هذه المرحلة إنّما يتمّ بحصول ملَكة الفعليّة التامّة ، لأنّ مثل ظهور القوّة وبلوغها مرحلة الفعليّة كمثل الحطب والفحم اللذان فيهما القوّة النـاريّة ، فإن قُرِّبا إلى النار زاد تأثير الحرارة فيهما ، ثمّ يزداد التأثير آناً فآناً ، حتّى تتحقّق الفعليّة فجأةً فيسودّ الحـطب والفـحم ، ثـمّ يـحمرّان فتلتهب فيهما النار . بَيدَ أنّ هذه هي بداية ظهور الفعليّة ، حيث إنّها لم تتحقّق بعدُ بتمامها ، بل لا تزال كامنة في باطن الفحم والحطب . لذا فإنّ تلك الفعليّة الظاهرة قد تنتفي وتخمد بمجرّد هبوب ريح خفيفة ، أو بالابتعاد عن النار ، فتنطفئ تلك الناريّة العَرَضيّة مُنكفئة إلى حالتها الأُولى .

فإن قربت النار من الفحم ، واستمرّ قربها ، زالت معه جميع آثار الفحميّة والحطبيّة ، وظهرت معه جميع القوّة الناريّة ، وتبدّلت القابليّة إلى الظهور والفعليّة ، وأضحى جميع باطن الحطب والفحم ناراً ، فـإنّ الرجـوع إلى الحـطب والفـحم الأُوليّـين سيكون أمـراً

ممتنعاً ، وإنّ ناريّتها سوف لن تخمد بهبوب أيّة ريح ، إلّا إذا فنيت النار واستحالت رماداً .

ولذا فلا يكفي المجاهد السائر في طريق الدين ، والسالك مراحل المخلَصين ، أن يدخل في عالمٍ ما وتظهر فعليّته فيه ، إذ لا تزال بقايا العالَم السافل كامنة في زوايا ذاته ، ممّا يجعله غير متجانس مع مطهّري العالَم الأعلى ، ويجعل وصوله إلى فيوضاتهم ودرجاتهم أمراً متعذّراً ، بل يعرّضه ـ في زمن قليل ـ إلى العودة إلى العالَم السافل على إثر عقبة تعترضه أو زلّة بسيطة أو تكاهل يسير في الجهاد والسلوك :

وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ [الآية ٧١ ، من السورة ٦ : الأنعام] .

ولقد كان أكثر صحابة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله إذا حصل منهم مجاورة ظاهريّة وقُرب ظاهريّ منه صلّى الله عليه وآله ، بدا في ظواهرهم نور الإيمان ، لكنّ آثار الكفر والجاهليّة كانت كامنة في بواطنهم ، لم تُستأصَل بعدُ فيهم ، فكانوا بمحض ابتعادهم عنه صلّى الله عليه وآله غلبت عليهم آثارهم الذاتيّة ، وانطفأ في ظواهرهم نور الإيمان برياح حبّ الجاه والمال والحسد والحقد التي تعصف بهم :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ [الآية ١٤٤، من السورة ٣: آل عمران].

ولهذا فإنّ الترك الظاهريّ للمعصية لا ينفع شيئاً في النجاة، بل ينبغي أن يترك ظاهره وباطنه:

وَذَرُوا ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ [الآية ١٢٠، من السورة ٦: الأنعام].

كما أنّ العوالم الواقعة في طريقَي الصعود والنزول أشبه بالليل والنهار وساعات كلٍّ منهما، فما لم ينتهِ المتقدّم تماماً[٤٣] وتبلغ

٤٣ـ إنّ ممّا لا يعتريه الشكّ أنّه ما لم تُطوَ جميع مراتب العالم الأسفل، فإنّ الصعود إلى العالَم الأعلى سيكون متعذّراً. بَيدَ أنّ هناك نكتتَين تستحقّان التأمّل:

النكتة الأُولى: أنّ الإقامة في العالَم الأعلى متوقّفة على الإقامة في العالَم الأسفل؛ أمّا محض الاطّلاع المؤقّت وحصول مجرّد حالٍ ما، وإدراك بعض خصائصه، متوقّف على الإقامة في العالَم الأسفل. فإذا أراد أحد أن يُقيم في عالَم العقل ـ مثلاً ـ فينبغي حتماً أن يكون قد تخطّى جميع مراحل عالَم المِثال. إلّا أنّه قد يمكن لمن لم يتخطّ عالَم المثال بعد أن تظهر لديه بعض خصائص وآثار عالَم العقل في هيئة حالٍ يكون عليها؛ والأمر كذلك بالنسبة إلى عالم العقل مع عالم اللاهوت.

النكتة الثانية: أنّ عبور عالَم معيَّن لا يستلزم الاطّلاع على جميع آثار وخصائص ذلك العالَم؛ فكثيراً ما يحصل أن يتخطّى أفراد معيّنون عالَم المِثال دون أن تظهر لديهم المكاشَفات الصوريّة تفصيلاً، بل يُدركون ـ بواسطة الرؤيا في المنام ـ بعض الصور المثاليّة، أو تنكشف لديهم ⇐

قابليّته مرحلة الفعليّة، فإنّ الوصول إلى العالَم المتأخّر سيتعذّر؛ ومادامت ذرّة واحدة من المتقدّم موجودة، فإنّ الخطو في العالَم المتأخّر سيمتنع *. ٤٤

⇐ في المنام بعض الأُمور المثاليّة عن الماضي أو المستقبل؛ حيث نُقل عن المرحوم آية الحقّ الحاجّ الميرزا علي القاضي رضوان الله عليه أنّه كان يقول:

«إنّ المرحوم الشيخ زين العابدين السلماسيّ ـ وكان من خواصّ المرحوم آية الله السيّد مهدي بحر العلوم ومقرّبيه ـ كانت جميع مكاشفاته تحصل في المنام».

وعلى أيّة حال، فإنّ عبور عالَم معيّن يستلزم ـ حتماً ـ الاطّلاع على آثار ذلك العالَم، والكشف الإجماليّ لِخصائصه.

* ـ اعتبر سماحة الشيخ رضا الأُستاديّ ـ وفق ذوقه الخاصّ ـ أنّ الكتاب الذي ألّفه المرحوم بحر العلوم ينتهي إلى هذا الحدّ؛ فقام بحذف باقي الكتاب. وعلى الرغم من أنّه نوّه في مقدّمة الكتاب بأنّه ليس من أهل السير والسلوك، إلّا أنّه ليس من الواضح أيّ سبب جعله يقوم بما قام به، ودفعه ليوقع بالكتاب هذه المُثلة. قال: لقد فعلت ذلك من باب الاحتياط. ولكن هل التصرّف في عبارات الأعلام والحذف والتنكيل ينسجم مع الاحتياط؟ أم أنّ طبع رسالة على هذه الأهمّيّة بمثل هذه الكيفيّة يوافق الاحتياط؟

ولمّا كانت الرسالة المطبوعة بإشرافه قد نُشرت بعد الطبعة الأُولى لهذه الرسالة، التي صدرت مع حواش وتعليقات للحقير، فقد ارتأيت كتابة هذه السطور ـ لإطلاع الباحثين على حقيقة الأمر ـ لتضاف إلى ⇐

....

⇦ التعليقات في الطبعة الثانية.

٤٤ـ على الرغم من أنّ المصنّف رحمه الله قد ذكر ترتّب العوالم في الصعود والنزول ضمن بيانه مراتب عالَم الخلوص، إلّا أنّه ذكر هذا القانون ـ كما هو الملاحَظ ـ بصورة عامّة لجميع العوالم، سواء عوالم قبل الخلوص، أو مراتب العوالم بعد الخلوص.

ومن جملة ذلك: العوالم التي تسبق الخلوص، وهي عوالم المثال والعقل، والعبور من عوالم الطبيعة والمثال والعقل الذي ذكره المصنّف رحمة الله عليه ضمن العوالم الاثني عشر. أمّا بلحاظ ترتيبها فقد أقام المرحوم صدر المتألّهين البرهان عليه مفصّلاً، وقد بحث في شأنه المرحوم العارف الكامل الحاجّ الميرزا جواد المَلِكيّ التبريزيّ رحمة الله عليه في نهاية رسالة «لقاء الله» وبرهن عليها. وجاء في الرسالة التي أرسلها إلى المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد حسين الكمبانيّ الأصفهانيّ قوله:

وأمّا عن الفِكر للمبتدئ، فإنّه (يعني أُستاذه المرحوم الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ رضوان الله عليه) كان يقول: «فكِّر في الموت». إلى أن يفهم من حاله أنّه قد أصابه ما يشبه الدوار إثر المداومة على هذه المراتب، وأنّه قد حدثت لديه قابليّة على العموم، فيُلفِته آنذاك ـ أو يلتفت بنفسه ـ إلى عالم خياله. ثمّ إنّه يستمرّ في هذا الفِكر ليلَ نهار، ليفهم أنّ كلّ ما يتخيّله ويراه إنّما هو نفسه لا يتعدّاها؛ فإن صار له ذلك ملَكةً، فإنّه كان يأمره بتغيير الفِكر وبمحو جميع الصور والموهومات والتفكير في العدم.

فإن صار ذلك ملَكة للإنسان، فلابدّ أن يحصل له تجلٍّ لسلطان ⇦

ويتّضح ممّا ذكرنا أنّ مجرّد الورود في عالَم الخلوص ليس كافياً في حصول الخلوص، بل ينبغي أن تصل جميع مراتبه إلى فعليّتها وظهورها التامَّين، وصولاً إلى تخلّص صاحبها من شوائب العالَم الأسفل، وإلى إشراق نور الخلوص في زوايا قلبه، وحذف آثار **الإِنِّيَّة بِالمَرَّة**، ليمكنه في هذا الصعود أن يخطو على بساط قُرب **أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي**، الذي هو بداية منزل ينابيع الحكمة. وهو ممّا لا يحصل إلّا بحصول ملَكَة الخلوص وظهور فعليّتها التامّة. ولمّا كان أقلّ ما يوصِل إلى تمام الفعليّة الملَكة في عالَم معيّن هو

⇐ المعرفة ... أي أنّه سيفوز بتجلّي حقيقته بنورانيّتها وانعدام صورتها وحدّها وكمال بهائها. فإن هو رآها في حال من الجَذْبة بعد طيّه طريق ترقّيات العوالم العلويّة كان أفضل ... فإنّه مهما سار وَجَدَ أثره حاضراً. ونظراً لترتّب هذه العوالم التي يتوجّب على الإنسان طيّها، فإنّ عليه أوّلاً أن يرقى من عوالم الطبيعة إلى عالَم المِثال، ثمّ إلى عالَم الروح والأنوار الحقيقيّة. وبطبيعة الحال، فإنّكم تستحضرون ـ أفضل منّي ـ البراهين العلميّة على الأمر ... ويا للعجب ... فقد صُرِّح بهذه المراتب في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان (وهو أوان وصول الرسالة) في قوله: **سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَبَيَاضِي**.

وأساس المعرفة إنّما يتحقّق حين يفنى الثلاثة، إذ حقيقة السجدة هي الفناء **عِنْدَ الفَنَاءِ عَنِ النَّفْسِ بِمَرَاتِبِهَا يَحْصُلُ البَقَاءُ بِاللهِ ... رَزَقَنَا اللهُ وَجَمِيعَ إِخْوَانِنَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ** ـ انتهى موضع الحاجة.

الكون في ذلك العالَم مدّة أربعين يوماً ، وهو ما سبقت الإشارة إليه ، فإنّ السالك ـ لهذا السبب ـ ما لم يسير في عالَم الخلوص أربعين يوماً فيُتمّ منازله الأربعين (التي هي مراتب فعليّته التامّة) ، فإنّه لن يتمكّن أن يخطو أبعد من ذلك .

وأمّا تفصيل العوالم المتقدّمة على عالَم الخلوص ، فقد أُشير إليها على نحوٍ مُجمل في كتاب الله ، وهي ـ بعد عالَم الإسلام ـ ثلاثة عوالم[٤٥] :

٤٥ـ اعلم أنّ المصنِّف رحمه الله قسّم العوالم التي تسبق عالم الخلوص إلى أربعة عوالم : الإسلام ، الإيمان ، الهجرة ، والجهاد ؛ ثمّ قسّم كلّ واحد من هذه العوالم إلى ثلاث مراتب : أصغر ، أكبر ، وأعظم ؛ وسيكون ـ لذلك ـ قد عدّ العوالم التي تسبق الخلوص اثني عشر عالماً . ثمّ يليها عالَم الخلوص الذي يتوجّب على السالك أن يسير فيه أربعيناً كاملة لتصل جميع قابليّات الخلوص لديه إلى فعليّتها .

وقد فسّر حديث **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ** بالسير في عوالم الخلوص ، واعتبر عالَم ظهور ينابيع الحكمة عالَمَ البقاء بعد الفناء (وهو البقاء بالمعبود) ؛ وذكر ـ لإثبات هذا الأمر ـ شواهد وأدلّة شيّقة جديرة بالتأمّل ، بحيث يمكن القول بأنّ هذا الكتاب لم يسبق له مثيل في أُسلوبه وتبويبه وفي تعيين المنازل والعوالم . ولذلك علينا أن نذكّر بجملة أُمور :

الأمر الأوّل : أنّ المصنّف رحمه الله لمّا قسّم العوالم إلى اثني عشر عالَماً ، وعدّ منها عالمَي الهجرة الصغرى والجهاد الأصغر ، فإنّه ـ في مقام التفصيل ـ أخرج هذين العالَمين وعدّهما ضمن عالم الإيمان الأكبر ؛ ⇦

. . . .

⇦ ثمّ أضاف ـ تلافياً للنقص الحادث في العوالم ـ عالمَين آخرَين هما: عالم الفتح والظفر بعد الجهاد الأكبر، وعالم الفتح والظفر بعد الجهاد الأعظم.

ولم يتّضح للحقير سرّ هذا الأمر، على الرغم من أنّه إن قصد بذلك أنّ السالك لا يمكنه طيّ هذين العالمَين في زمن الغَيبة، وأنّ العوالم ينبغي أن تُنظّم لتنسجم مع مقتضيات هذا العصر، ولذا ينبغي ـ إجمالاً ـ أن يُعتبر عبور هذين العالمَين من لوازم عالم الإيمان؛ فإنّ كلامه هذا يبقى موضع تأمّل، ولذا:

١) فقد صرّح المصنّف رحمه الله بنفسه بأنّه مع عدم التمكّن من طيّ ذينك العالمَين، فإنّ الهجرة (في الباطن والظاهر) من أرباب المعاصي وأبناء الدنيا ستكون بديلاً عن الهجرة الصغرى، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون بديلاً عن الجهاد الأصغر.

٢) وقد صرّح بأنّ العوالم شأنها شأن الليل والنهار في تعاقبهما؛ فما دام المتقدّم لم يتمّ طيّه تماماً، فإنّ السالك لن يمكنه أن يخطو في العالَم الأعلى.

٣) فلأصل الهجرة الصغرى والجهاد الأصغر المدخليّة التامّة في حصول الكمال، وأنّ السالك في عصر الغَيبة إذا لم يُنهِ السير في هذَين العالمَين، فإنّه لن يتمتّع بجميع درجات الكمال. ذلك أنّ الله تعالى قد خلق النفس الإنسانيّة بحيث إنّ جميع مراتب السلوك ـ ومن ضمنها خصوص الهجرة الصغرى والجهاد الأصغر ـ ضروريّة لإيصال جميع قابليّات الإنسان إلى مرحلة الفعليّة. أمّا إذا طوى الإنسان العوالمَ الأخرى متخطّياً سير العالمَين المذكورَين، كان كماله ناقصاً. ⇦

....

⇦ وقد ورد في «سنن أبي داود» باب الجهاد، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

مَنْ لَمْ يَغْزُو وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ.

ونظير هذا المعنى الأمر بالنكاح؛ ذلك أنّ السالكين الذين منعتهم مشاكل النكاح وموانعه وصوارفه من العمل بتلك السنّة، قد حُرموا من عالم سيرٍ تكامليّ يحصل عليه الإنسان من خلال العمل بهذه السُّنَّة، ولذلك نرى أن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم قد عدّ النكاح سُنّته وطريقته.

وفي المثل، فإنّ من حُرم من حسّ الإبصار، إذا طوى في سلوكه المراتب والعوالم، فإنّه ـ مع ذلك ـ سيبقى محروماً من التجلّيات الإلهيّة في مظاهر المُبصَرات، وإنّ بلوغ الفناء في الذات والوصول إلى الحَرَم لن يكون بديلاً عن هذا الحرمان.

ولذا فإنّ هؤلاء سيكونون محرومين ـ وإلى الأبد ـ من مشاهدة أنوار الله تعالى في السير الآفاقيّ وفي مرائي البصر ومجاليه. والأمر كذلك بالنسبة إلى الحرمان في حاسّة السمع وغيرها من الحواسّ. إذ إنّ كلّ حسّ يفقده الإنسان يُغلق في وجهه عالماً كبيراً.

٤) إنّ عالم الفتح والظفر ليس عالماً خاصّاً، ليمكن وضعه ـ من ثَمَّ ـ في مقابل تلك العوالم، لأنّ الفتح والظفر من لوازم الجهاد والورود في العالَم الذي يليه. وبغير ذلك فإنّ من الممكن في الاعتبار أن نعدّ عالم الفتح والظفر عالمَين: أحدهما الفتح، والآخر الظفر؛ لأنّ السالك يفتح الأوّل بواسطة الجهاد، ثمّ يظفر بالخصم بعد ذلك.

الأمر الثاني: جاء في الحديث: **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ**، وظاهره أنّ على ⇦

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا [الآية ٢٠ ، من السورة ٩: التوبة]... إلى آخره .

شرح إجماليّ للعوالم المتقدّمة على عالَم الخلوص :

الأوّل : الإسلام ، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام : **الإسْلَامُ قَبْلَ الإيمَانِ** ... ، وهو ما يميّز المسلم عن الكافر ، وممّا يشترك فيه المسلم والمنافق .

الثاني : الإيمان ، وهو ما يميّز المؤمن عن المنافق ، وما يشترك فيه جميع أصحاب الإيمان ، وهو مجتمع الشريعة

⇐ السالك أن يتمّ أربعين الإخلاص (الذي هو فِعله) . بَيدَ أنّ كلام المصنّف رحمه الله يوحي بأنّ على السالك أن يسير الأربعين بعد عالم الخلوص والورود في صفّ المُخلَصين . ومن الجليّ أنّ السالك إذا ورد عالَم الخلوص ، لم يبقَ له ثمّة اختيار أو إرادة ليختار بهما سير الأربعين ، إذ سيكون اختياره في تلك الحال بِيَدِ الله تعالى ، وسيكون مُسيَّراً له تعالى . اللهمّ إلّا أن نقول بأنّه ليست هناك عبارة أُخرى ـ غير عبارة **مَنْ أَخْلَصَ** ـ ليمكن بها تفهيم هذا السير الأربعينيّ .

الأمر الثالث : يستفاد من بيان المصنّف رحمه الله أنّ الاختيار سيبقى في مقام (البقاء بالله) بعد بلوغ الفناء . وأنّ الحديث الشريف وعد بالوصول إلى هذا المقام بواسطة طيّ الأربعين ، والله العالِم .

والطريقة .

الثالث : الهجرة مع الرسول ، وهي ما يمتاز بها السالك عن العابد ، والمجاهد عن القاعد ، والطريقة عن الشريعة .[٤٦]

الرابع : الجهاد في سبيل الله ، فكلّ مجاهد هو مهاجر ومؤمن ومسلم ، وكلّ مهاجر مؤمن ومسلم ، وكلّ مؤمن مسلم ، ولا عكس .

ولذا فقد ورد في الروايات المتعدّدة : **الإسْلامُ لَا يُشَارِكُ الإيمَانَ ، وَالإيمَانُ يُشَارِكُ الإسْلامَ .**

وجاء في حديث سَماعة بن مِهران :[٤٧]

٤٦ـ قيل : الشريعة : هي مراعاة ظاهر الأحكام ، والطريقة : هي مراعاة باطن الأحكام . فإن كان مراد المصنّف رحمه الله من هذه العوالم مرتبة الظاهر فقط ، فإنّ الهجرة هي من الشريعة ، وهي لن تفرّق بين الشريعة والطريقة . وإن كان مراده أعمّ من العوالم الظاهريّة والباطنيّة ، فإنّ تلك المرتبة من الإيمان ستكون طريقة ، وإنّ الإيمان الأعمّ لن يكون ـ من ثَمَّ ـ مجتمع الطريقة والشريعة .

إلّا أنّ المصنّف رحمه الله كان على الظاهر في مقام الإجمال وليس التفصيل والتدقيق .

٤٧ـ الروايات الدالّة على عدم مشاركة الإسلام للإيمان ، ومشاركة الإيمان للإسلام كثيرة وجمّة ، وقد أورد طائفة منها المرحوم الكُلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٢٥ إلى ٢٧ ، والبرقيّ في «المحاسن» ج ١ ، ص ٤٢٤ و٤٢٥ .

وأمّا حديث سَماعة بن مِهران ، فهو أيضاً في بيان مجرّد اشتراك ⇦

....

⇐ الإيمان مع الإسلام، وفيه مثال الكعبة والحرم. وقد ذكر هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٨.

هذا، وقد وردت ثلاثة أحاديث سواه ذكرت مثال الكعبة والحرم:

الأوّل في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٦؛ وفي «محاسن البرقيّ» ج ١، ص ٢٨٥، ح ٤٢٥، عن أبي الصباح الكنانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام جاء فيه:

مَا تَقُولُ فِيمَنْ أَحْدَثَ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ مُتَعَمِّداً؟ قَالَ، قُلْتُ: يُضْرَبُ ضَرْباً شَدِيداً. قَالَ: أَصَبْتَ. قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ أَحْدَثَ فِي الكَعْبَةِ مُتَعَمِّداً؟ قُلْتُ: يُقْتَلُ. قَالَ: أَصَبْتَ. أَلَا تَرَى أَنَّ الكَعْبَةَ أَفْضَلُ مِنَ المَسْجِدِ، وَأَنَّ الكَعْبَةَ تُشَارِكُ المَسْجِدَ، وَالمَسْجِدُ لَا يُشَارِكُ الكَعْبَةَ؟ وَكَذَلِكَ الإيمَانُ يَشْرَكُ الإسْلَامَ، وَالإسْلَامُ لَا يَشْرَكُ الإيمَانَ.

الثاني في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٦، عن حمران بن أعيَن، عن أبي جعفر عليه السلام، جاء فيه أنّه عليه السلام قال: **كَمَا صَارَتِ الكَعْبَةُ فِي المَسْجِدِ، وَالمَسْجِدُ لَيْسَ فِي الكَعْبَةِ، وَكَذَلِكَ الإيمَانُ يَشْرَكُ الإسْلَامَ، وَالإسْلَامُ لَا يَشْرَكُ الإيمَانَ.**

ثمّ يذكر حدود الإسلام والإيمان مفصّلاً، ثمّ يقول:

أَرَأَيْتَ لَوْ بَصُرْتَ رَجُلاً فِي المَسْجِدِ، أَكُنْتَ تَشْهَدُ أَنَّكَ رَأَيْتَهُ فِي الكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: لَا يَجُوزُ لِي ذَلِكَ. قَالَ: فَلَوْ بَصُرْتَ رَجُلاً فِي الكَعْبَةِ، أَكُنْتَ شَاهِداً أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ المَسْجِدَ الحَرَامِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: إنَّهُ لَا يَصِلُ إلَى الكَعْبَةِ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ. فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ. ثُمَّ قَالَ: كَذَلِكَ الإيمَانُ وَالإسْلَامُ.

الثالث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٧ و٢٨، عن عبد الرحيم ⇐

الإِيمَانُ مِنَ الإِسْلامِ مِثْلُ الكَعْبَةِ الحَرَامِ مِنَ الحَرَمِ، قَدْ يَكُونُ فِي الحَرَمِ وَلَا يَكُونُ فِي الكَعْبَةِ، وَلَا يَكُونُ فِي الكَعْبَةِ حَتَّى يَكُونَ فِي الحَرَمِ.

ولهذا قال تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ» [الآية ١٠٦، من السورة ١٢: يوسف].

والمراد بالهجرة مع الرسول والجهاد في سبيل الله في هذه العوالم: الهجرة الباطنيّة والجهاد الباطنيّ، وهما الهجرة الكبرى والجهاد الأكبر.

أمّا الهجرة الصغرى والجهاد الأصغر، فداخلان في وظائف العالَم الثاني (وهو عالم الإيمان)، وخليفتهما والقائم مقامهما في زمن عدم التمكّن من الهجرة الصغرى والجهاد الأصغر هو الهجرة بالظاهر والباطن من أرباب المعاصي وأبناء الدنيا، والأمر

⇐ القصير، قال: كتبتُ مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسألُه عن الإيمان ما هو، فكتبَ إليّ مع عبد الملك بن أعين يقول:

سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ الإِيمَانِ... إلى أن يقول:

وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ دَخَلَ فِي الحَرَمِ، ثُمَّ دَخَلَ الكَعْبَةَ وَأَحْدَثَ فِي الكَعْبَةِ حَدَثاً، فَأُخْرِجَ عَنِ الكَعْبَةِ وَعَنِ الحَرَمِ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَصَارَ إِلَى النَّارِ.

بالمعروف والنهي عن المنكر.[48]

وكما أنّ الهجرة في هذا السفر هي الهجرة الكبرى، وأنّ جهاد هذا المسافر هو الجهاد الأكبر؛ فإنّ شرط هذا السفر (وهو إسلام المجاهد وإيمانه) هو الإسلام والإيمان الأكبرين. فما لم يدخل في الإسلام الأكبر والإيمان الأكبر ويطوي عالميهما، فإنّه لن يتمكّن من **الجهاد في سبيل اللهِ كما هو حقّه** الذي أُمِر به في آية: **جَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** [الآية ٧٨، من السورة ٢٢: الحجّ].

وبعد طيّ الإسلام الأكبر والإيمان الأكبر، يصل الطالب إلى حيث يتفرّغ للطلب، فيُهاجر مع الرسول الباطنيّ بمعونة الرسول الظاهريّ ـ أو خليفته ـ ويضع أقدامه في ميدان المجاهدة، فيطوي هذين العالمين ليفوز بفوز «القتل في سبيل الله».

ولكن ـ أيّها الرفيق ـ إذا كنتَ قد واجهتَ ـ حتّى الآن ـ أخطاراً كثيرة وعقبات جمّة لا تُحصى، واعترضك قطّاع طرق

٤٨ـ ورد في «محاسن البرقيّ» ج ١، ص ٢٨٥، ح ٤٢٦، عن أبي النعمان، عن الباقر عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالمُؤْمِنِ؟ المُؤْمِنُ مَنِ ائْتَمَنَهُ المُؤْمِنُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ. وَالمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ وَتَرَكَ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ولصوص بلا حصر ، فنجوتَ منها وتخلّصتَ من براثنها وتخطّيتَ صعابها ، فإنّ بعد عبور هذه العوالم ، وبعد القتل في سبيل الله بداية الخطر الأكبر والداهية العظمى . لأنّ وادي الكفر الأعظم والنفاق الأعظم يقعان وراء هذا العالَم ، والشيطان الأعظم (وهو رئيس الأبالسة) يقطن في هذا الوادي ، أمّا سائر شياطين العالم فجنوده وأعوانه وأذنابه .

فلا تظنّنَّ أنّك ـ وقد عبرتَ هذه العوالم ـ قد نجوتَ من الخطر ، وحظيتَ بمرادك . وحَذارِ حذارِ من الغرور والأوهام .

وبعد هذه العوالم عوالم أُخرى لا يمكن ـ بدون طيّها وعبورها ـ بلوغ المنزل المقصود .

الأوّل : الإسلام الأعظم .

الثاني : الإيمان الأعظم .

الثالث : الهجرة العظمى .

الرابع : الجهاد الأعظم .

وبعد طيّ هذه العوالم يأتي عالم الخلوص **رزقنا الله وإيّاكم .**

شرح تفصيليّ للعوالم الاثني عشر المتقدّمة على عالم الخلوص :

تبيّن ممّا قيل أنّ على المسافر أن يمرّ في سيره باثنى عشر عالَماً بعدد بروج الفَلَك وشُهور السنة وساعات الليل والنهار ونقباء بني إسرائيل وخلفاء آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وسرّ هذا العدد واضح لأصحاب البصيرة . والعوالم الاثنى عشر بهذا التفصيل :

الأوّل : الإسلام الأصغر :

وهو إظهار الشهادتين والتصديق بهما باللسان ، والإتيان بالدعائم الخمس بالجوارح والأعضاء .[49]

49ـ يُطلق اصطلاح «الدعائم الخمس» على الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والولاية ؛ حيث روي في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ١٨ عن الفضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : عَلَى الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ وَالوَلاَيَةِ ، وَمَا نُودِيَ بِشَيْءٍ (وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ) كَمَا نُودِيَ بِالوَلاَيَةِ .

ووردت أيضاً في «أصول الكافي» ج ٢ ، ص ١٨ و١٩ و٢١ ؛ وفي «المحاسن» ج ١ ، ص ٢٨٦ عدّة روايات بهذا المضمون بسلسلة أُخرى للرواة ، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام ، حصرا فيها الدعائم الخمس في هذه الأمور ، وأهمّها الولاية ، وورد في معظمها لفظ «دعائم خمس» . ⇦

. . . .

⇐ بَيدَ أنّ الظاهر هو أنّ مراد المصنّف رحمه الله من الدعائم الخمس التي ذكرها في هذا المجال لم يكن أمر الولاية، وذلك لعدّة أُمور:

١) أنّه عدّ الدعائم الخمس من آثار الإسلام الأصغر، مع أنّ أمر الولاية عائد إلى الإيمان الأصغر أو إلى الإسلام والإيمان الأكبرَين.

٢) أنّه ذكر تعبير الإتيان بالدعائم الخمس بالجوارح والأعضاء. ومن المسلّم أنّ الولاية ليست ممّا يؤتى بالأعضاء والجوارح.

٣) أنّه أورد ذيل حديث سفيان بن سَمط شاهداً على أنّ الشهادتَين ـ وليس الولاية ـ هما جزء الإسلام، مضافاً إلى الصلاة والصوم والحجّ والزكاة. فيكون مسلّماً أنّ مراد المصنّف رحمه الله من الدعائم الخمس هو: الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحجّ.

أمّا حديث سفيان بن سَمط، فقد روي في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٤، قال:

سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الإسْلَامِ وَالإيمَانِ مَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ التَقَيَا فِي الطَّرِيقِ وَقَدْ أَزِفَ مِنَ الرَّجُلِ الرَّحِيلُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَأَنَّكَ قَدْ أَزِفَ مِنْكَ رَحِيلٌ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: فَالْقَنِي فِي البَيْتِ. فَلَقِيَهُ فَسَأَلَهُ عَنِ الإسْلَامِ وَالإيمَانِ مَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ فَقَالَ: الإسْلَامُ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ.

وذكر تمام الحديث، ثمّ قال:

فَهَذَا الإسْلَامُ. وَقَالَ: الإيمَانُ مَعْرِفَةُ هَذَا الأَمْرِ مَعَ هَذَا، فَإنْ أَقَرَّ بِهَا وَلَمْ يَعْرِفْ هَذَا الأَمْرَ كَانَ مُسْلِماً وَكَانَ ضَالّاً.

وبناءً على صريح هذه الرواية، فإنّ الإقرار بالولاية من شرائط ⇐

....

⇐ الإيمان ـ لا الإسلام ـ وأنّ الشرط الوحيد في الإسلام هو الإقرار بالشهادتَين.

ومن ملاحظة ومقارنة طائفة من الروايات الواردة لدى أهل السنّة في دعائم الإسلام الخمس، مع طائفة أخرى من الروايات سابقة الذكر التي وردت عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في دعائم الإسلام الخمس، يتّضح سرّ هذا الاختلاف في التعبير.

وبيان ذلك أنّه ورد في «صحيح مسلم» ج ١، كتاب الإيمان، ص ٣٤ و٣٥ أربعة أحاديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

١) روى بإسناده عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **بُنِيَ الإسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإقَامِ الصَّلَاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ.**

٢) بإسناده عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

بُنِيَ الإسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإقَامِ الصَّلَاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.

٣) بإسناده عن سبط ابن عمر، عن جدّه، قال عبد الله: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

بُنِيَ الإسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإقَامِ الصَّلَاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.

٤) بإسناده عن حنظلة، قال: **سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ بْنَ خَالِدٍ يُحَدِّثُ طَاوُوساً أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَلَا تَغْزُو؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:** ⇐

⇐ إنَّ الإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحِجِّ البَيْتِ.

وهذه الروايات تبيّن أنّ رسول الله ذكر أنّ الإسلام يقوم على هذه الأُسس الخمس. بيد أنّ العامّة لمّا كانوا يكتفون بظاهر الشهادتَين، ويعدّون مجرّد الإقرار بالنبوّة من دعائم الإسلام، ولو اقترن بمعصية أمر رسول الله في شأن الولاية. أمّا أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، فقد فسّروا الرواية الواردة عن رسول الله بهذا التفسير: أنّ الإقرار بالتوحيد والنبوّة بدون الإقرار بالولاية لا يتعدّى كونه ظاهراً، وأنّ حقيقة الاعتراف به تتمثّل بالإقرار بالولاية، وأنّ ذينك الاثنين لا ينفكّان عن بعضهما. فحقيقة الإسلام مرتبطة بالولاية التي هي مفتاح التوحيد في مظاهر الأسماء والصفات والأفعال، وهي أيضاً باطن النبوّة وجوهرها.

ولذلك فإنّ هذه الطائفة من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام تمثّل تفسيراً وتأويلاً للروايات التي ذُكرت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حول دعائم الإسلام الخمس، كما أنّ نظير هذا الاختلاف في التعبير يُشاهَد في حديث السلسلة الذهبيّة، وقد ذكر هذا الحديث بعدّة مضامين:

الأوّل: رواه الصدوق في «عيون أخبار الرضا» عليه السلام ص ٣١٤، بإسناده قال: **يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.**

كما يروي في نفس الصفحة بإسناده قال: **قَالَ اللهُ سَيِّدُ السَّادَاتِ جَلَّ وَعَزَّ: إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ أَقَرَّ لِي بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِي،** ⇐

....

⇐ وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.

وقد نُقلت هذه الرواية في «الجواهر السنيّة» ص ١٤٧، نقلاً عن «العيون».

الثاني: أنّه عدّ الإخلاصَ شرطَ التوحيد: حيث يروي في «العيون» بإسناده قال:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي، مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِالإِخْلَاصِ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.

الثالث: أنّه فسّر الإخلاصَ بالولاية. فقد روى الطوسيّ في «الأمالي» ج ٢، ص ٢٠١، بإسناده:

عَنِ اللَّهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَجَلَّ وَجْهُهُ قَالَ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، عِبَادِي فَاعْبُدُونِي، وَلْيَعْلَمْ مَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً بِهَا أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي. قَالُوا: يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَا إِخْلَاصُ الشَّهَادَةِ لِلَّهِ؟ قَالَ: طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوِلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ونقل في «معاني الأخبار» ص ٣٧٠؛ و«ثواب الأعمال» ص ٧؛ و«توحيد الصدوق» ص ٢٥؛ و«الجواهر السنيّة» ص ٢٢٢، عن «أمالي الصدوق» ذيل رواية **كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي** عن الرضا عليه السلام قال: **فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا: بِشُرُوطِهَا، وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا.**

الرابع: أنّهم عدّوا الولاية حِصناً. فقد روى الصدوق في «معاني الأخبار» ص ٣٧١ بإسناده: **يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وِلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ نَارِي.** وورد هذا الحديث ⇐

وتُشير إليه الآية : **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا**. [50] [الآية ١٤، من السورة ٤٩: الحجرات.].

وهذا الإسلام هو الذي أُشير إليه في حديث قاسم الصيرفيّ،

⇐ بسند آخر في «الجواهر السنيّة» ص ٢٢٥، نقلاً عن «أمالي الصدوق».

وروي في «الجواهر السنيّة» عن أبي عليّ الحسن بن محمّد الطوسيّ في أماليه، عن أبيه المرحوم الشيخ الطوسيّ بإسناده المتّصل قال:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وِلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي، مَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ نَارِي.

أجل، يستفاد من مجموع هذه الروايات أنّها ـ بأجمعها ـ تريد بيان حقيقة واحدة، وهي التسليم المطلَق أمام إرادة الله تعالى والاعتراف بربوبيّته المطلقة في جميع مظاهر الإمكان، لذلك فإنّ الطائفة من الروايات التي عدّت مطلق «لا إله إلّا الله» حِصناً قد أرادت حقيقة هذه الكلمة، وهي ـ بطبيعة الحال ـ غير معقولة بدون الإخلاص والولاية. كما أنّ الروايات التي جعلت الولاية هي الحصن، أو جعلت التوحيد المشروط بالولاية حِصناً، إنّما هي تفسير وتأويل للطائفة الأُولى من الروايات، ولم تذكر أمراً جديداً زائداً. فتأمّل وافهم.

وينبغي إعمال نظير ما فعلنا في شأن الكثير من الروايات وجمعها بهذا الطريق، وهو ـ في حقيقة الأمر ـ جمعٌ بين المُجمَل والمُبيَّن، أو بين المُطلَق والمقيَّد، ولذلك فقد فصّلنا الأمر بعض التفصيل.

٥٠ـ ورد في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٥، في تفسير هذه الآية عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: **فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُم آمَنُوا فَقَدْ كَذَبَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسْلِمُوا فَقَدْ كَذَبَ.**

حيث قال الإمام الصادق عليه السلام : **الإسْلامُ يُـحْقَنُ بِـهِ الدَّمُ ، وَيُؤَدَّى بِهِ الأَمَانَةُ ، وَيُسْتَحَلُّ بِهِ الفُرُوجُ ، وَالثَّوَابُ عَلَى الإيمَانِ.** [٥١]

وفي حديث سفيان بن سمط ، عن الصادق عليه السلام ، قال :

الإسْلامُ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّـلاةِ ، وَإِيـتَاءِ الزَّكَـاةِ ، وَحِـجِّ البَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ .

الثاني : الإيمان الأصغر :

وهو عبارة عن التصديق القلبيّ والإذعـان البـاطنيّ بـالأُمور المذكورة . [٥٢]

ولازمها الاعتقاد بجميع ما جـاء بـه الرسـول مـن الصـفات والأعمال ومصالح الأفـعال ومـفاسدها ونـصب الخـلفاء وإرسـال

٥١ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٤ .

٥٢ـ روى الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ١٤ ، الطبعة الثانية ، بسنده المتّصل عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عـليه السـلام ؛ وبسند متّصل آخر عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما (واللفظ للثاني) في قول الله عزّ وجلّ **«صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً». قَالَ : الصِّبْغَةُ هِيَ الإسْلَامُ.**

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُـؤْمِن بِٱللَّـهِ فَـقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ» قَالَ : هِيَ الإيمَانُ.

النُّقباء. لأنّ الإذعان برسالة الرسول تستلزم أيضاً الإذعان بحقّيّة جميع ما جاء به الرسول. ويشير إلى هذا الإيمان قول الصادق المُصدّق عليه السلام في حديث سماعة بعد أن سأله عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ قال:

الإِسْلامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالتَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ. بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ، وَعَلَيْهِ جَرَتِ المَنَاكِحُ وَالمَوَارِيثُ، وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ، وَالإِيمَانُ الهُدَى وَمَا يَثْبُتُ فِي القُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الإِسْلامِ.[٥٣]

الثالث: الإسلام الأكبر:

ومرتبته بعد الإيمان الأصغر. وهو المراد في قول الحقّ عزّ اسمه: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً** [الآية ٢٠٨، من السورة ٢: البقرة]، لأنّه أمر المؤمنين بالإسلام. وهذا الإسلام عبارة عن التسليم والانقياد والطاعة وترك الاعتراض على الله تعالى والإطاعة في جميع لوازم الإسلام الأصغر والإيمان الأصغر، والإذعان بكلّ ما جاء به نفياً أو إثباتاً.

ويشير إلى هذا الإسلام قول أمير المؤمنين عليه السلام في

٥٣ـ وهو بعض كلام الإمام الصادق عليه السلام الذي ورد في رواية «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٥، عن سماعة.

الحديث الذي رفعه البرقيّ : **إنَّ الإسْلامَ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ اليَقِينُ .** [54]

٥٤ـ ورد هذا الحديث في «أمالي الصدوق» ، ص ٢١١ ، مسنداً عن الصادق عليه السلام ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ؛ وفي «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٥ ، عن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابنا مرفوعاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

لَأَنسِبَنَّ الإسْلامَ نِسْبَةً لَا يَنْسِبُهُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسِبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي إلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ . إنَّ الإسْلامَ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ اليَقِينُ ، وَاليَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الإقْرَارُ ، وَالإقْرَارُ هُوَ العَمَلُ ، وَالعَمَلُ هُوَ الأَدَاءُ . إنَّ المُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ . إنَّ المُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ فِي عَمَلِهِ ، وَالكَافِرَ يُرَى إنْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ . فَاعْتَبِرُوا إنْكَارَ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الخَبِيثَةِ .

وقال في «سفينة البحار» ج ١ ، ص ٦٤٤ بعد نقل هذا الحديث : وقد تصدّى لشرح هذا الحديث ابن أبي الحديد ، وابن ميثم ، والشهيد الثاني ، والمجلسيّ ، فراجع .

وأورده البرقيّ في «المحاسن» ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ح ١٣٥ . وقد ورد هذا الحديث مختصراً في «نهج البلاغة» ، أمّا في «شرح نهج البلاغة» للمولى فتح الله ، ج ٢ ، ص ٥٤٢ ؛ و«شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ١٦٥ ، فقد ورد بهذا اللفظ :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَأَنسِبَنَّ الإسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسِبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي . الإسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ اليَقِينُ ، وَاليَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ ، ⇐

وكما أنّ الإسلام الأصغر هو التصديق بالرسول ، فإنّ الإسلام الأكبر هو التصديق بالمُرسِل .

وكما أنّ مقابلة الإسلام الأصغر ـ في حدّ ذاتها ـ كُفر أصغر ، إذ هي كُفرٌ بالرسول ، وتقديمٌ لعقل الإنسان ـ أو لسائر الرسل ـ على الرسول ، وهو لا يتنافى مع الإسلام بالله ، كما هو أمر اليهود والنصارى ؛ فإنّ مقابلة الإسلام الأكبر كفرٌ أكبر ، لأنّ العاري من هذا الإسلام إذا كان معتقداً برسالة الرسول وبصدقه ، إلّا أنّه يعترض على الله تعالى ويناقش في أحكامه ، ويقدّم رأيه على رأيه تعالى . وإلى هذا الكفر يشير الإمام الصادق عليه السلام في حديث الكاهليّ قال :

لَوْ أَنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَحَجُّوا الْبَيْتَ الحَرَامَ وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ قَالُوا لِشَيْءٍ صَنَعَهُ اللهُ أَوْ صَنَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَلَا صَنَعَ بِخِلَافِ الَّذِي صَنَعَ ؟ أَوْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ ، لَكَانُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ ... إلى أن قال : **فَعَلَيْكُمْ بِالتَّسْلِيمِ .**[٥٥]

⇦ **وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الإقْرَارُ ، وَالإقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ ، وَالأَدَاءُ هُوَ العَمَلُ الصَّالِحُ .**

٥٥ـ ورد هذا الحديث في «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٩٠ ، الطبعة الثانية ، وفيه بدل لفظ «إلى أن قال» الذي أورده المصنّف على سبيل ⇦

فإذا ترك المرء الاعتراض، وجعل عقلَه ورأيه وهواه مطيعة للشرع، أضحى مسلماً بالإسلام الأكبر، ودخل آنذاك في مرتبة العبوديّة. وهذه هي أدنى مراتب العبوديّة[56]، أمّا ما سبق له فعله،

⇐ الاختصار: ثُمَّ تَلَا هَـذِهِ الآيَةَ «فَلَا وَرَبِّـكَ لَا يُؤْمِنُـونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَيْكُمْ بِالتَّسْلِيمِ.

٥٦ـ حيث ورد في حديث «عنوان البصريّ» أن العبوديّة تستلزم التسليم المحض والطاعة الخالصة، ومادام الإنسان لم يبلغ ـ بتمام معنى الكلمة ـ مرحلة التسليم، ومادام لم يجعل إرادته واختياره وفق إرادة الله تعالى واختياره، فإنّه لن يرد مرحلة العبوديّة.

وقد أورد المجلسيّ هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج ١، باب آداب العلم وأحكامه، عن عنوان البصريّ، عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو حديث مفصّل ... يصل فيه إلى حيث يقول عنوان مخاطباً الصادقَ عليه السلام:

يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَا حَقِيقَةُ العُبُودِيَّةِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: أَنْ لَا يَرَى العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً. لِأَنَّ العَبِيدَ لَا يَكُونُ لَهُمْ مِلْكٌ، يَرَونَ المَالَ مَالَ اللهِ يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ. وَلَا يُدَبِّرُ العَبْدُ لِنَفْسِهِ تَدْبِيراً. وَجُمْلَةُ اشْتِغَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ. فَإِذَا لَمْ يَرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً، هَانَ عَلَيْهِ الإنْفَاقُ فِيمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ. وَإِذَا فَوَّضَ العَبْدُ تَدْبِيرَ نَفْسِهِ عَلَى مُدَبِّرِهِ هَانَ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا؛ وَإِذَا اشْتَغَلَ العَبْدُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ، لَا يَتَفَرَّغُ مِنْهُمَا إِلَى المِرَاءِ وَالمُبَاهَاةِ مَعَ النَّاسِ. فَإِذَا أَكْرَمَ اللهُ العَبْدَ بِهَـذِهِ الثَّلَاثَةِ، هَانَ عَلَيْهِ ⇐

فهو العبادة.

ويشير إلى هذه المرتبة قوله تعالى: **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ** [الآية ١٩، من السورة ٣: آل عمران].

ومن هذه المرتبة من الإسلام يتحقّق قولُه: **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ** [الآية ٢٢، من السورة ٣٩: الزمر]. ويظهر في هذه المرتبة ما أشار إليه في قوله: **فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** [الآية ١٤، من السورة ٧٢: الجنّ]. لأنّ من الجليّ أنّ الإسلام الأصغر الذي يشترك فيه المنافقون بعيد عن هذه المرحلة بعدّة مراحل.

وهي المرتبة التي عناها الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: **فَمَنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنِّي**. لأنّ المنافقين ـ على الرغم

⇐ **الدُّنْـيَا وَإِبْلِيسُ وَالخَلْقُ، وَلَا يَطْـلُبُ الدُّنْـيَا تَكَاثُـراً وَلَا تَـفَاخُـراً، وَلَا يَطْلُبُ مَا عِنْدَ النَّاسِ عِزّاً وَعُلُوّاً وَلَا يَدَعُ أَيَّامَهُ بَاطِلاً. فَهَذَا أَوَّلُ دَرَجَةِ التُّقَى ....**

وعلى أيّة حال، وكما يُلاحَظ في هذا الحديث الشريف، الذي يقول بعض الأساطين بأنّ آثار صدوره عن المعصوم مشهودة من نفس مضامينه؛ فإنّ العبوديّة الحقّة قد اعتُبرت عين التسليم والطاعة في الأفعال والإرادة والاختيار وسائر الأمور. ثمّ يرد السالك بعد حصول هذه الدرجات في أوّل درجات التقوى، والتي عدّها المصنّف رحمه الله مرتبة الإيمان الأكبر.

من امتلاكهم للإسلام الأصغر ـ في الدرك الأسفل من النار، وليسوا في جوار الرسول المختار.

الرابع: الإيمان الأكبر:

ويشير إليه قوله تعالى: **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ**.[57]

الذي أمر المؤمنين بإيمانٍ آخر.

وكما أنّ الإيمان الأصغر هو روح الإسلام الأصغر ومعناه، وأنّ الإسلام قالبه ولفظه، وأنّ حصوله مشروط بتخطّي الإسلام الأصغر اللسانَ والجوارح إلى القلب.

فكذلك الإيمان الأكبر هو روح الإسلام الأكبر ومعناه، وهو عبارة عن تجاوز الإسلام الأكبر لمرتبة التسليم والانقياد والطاعة إلى مرتبة الشوق والرضا والرغبة، وتعدّي الإسلامِ العقلَ إلى الروح. والآية الكريمة: **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ**، هي مصداق هذه الحال.[58]

٥٧ـ الآية ١٣٦، من السورة ٤: النساء، وتكملتها: **وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ**.... .

٥٨ـ لأنّ شرح الصدر في هذه الآية، المتحقّق بواسطة الإسلام قد عُزي إلى الله تعالى، وذُكر أثره ـ فوق ذلك ـ بأنّه **نُورٌ مِنْ رَبِّهِ**، فيتبيّن أنّ المراد من الإسلام في هذه الآية هو الإسلام الأكبر وليس الأصغر ⇦

وكما أنّ في مقابل الإيمان الأصغر النفاق الأصغر المشتمل على التسليم والانقياد والإطاعة للرسول في الظاهر، والتكاسل والتثاقل في القلب، فإنّ في مقابل الإيمان الأكبر النفاق الأكبر، وهو التسليم والانقياد والطاعة القلبيّة المولودة عن العقل، والمسبّبة عن الخوف، والخالية من الشوق والرغبة واللذّة واليُسر على الروح والنفس.

وما جاء في وصف المنافقين في قوله تعالى: **وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ**، إنّما جاء في حقّ هذه الفرقة.[59]

⇦ ولا الأعمّ من الأصغر والأكبر.

ولمّا كانت مرتبة الإيمان الأكبر مرتبة التفضيل وتجاوز الإسلام الأكبر لمرتبة التسليم والطاعة إلى مرتبة الشوق والرضا والرغبة، فقد عُبّر في القرآن الكريم عن هذه المرتبة بشرح الصدر للإسلام، لأنّ تعبير **فَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ** يستعمل حيث يوجد الإسلام ثمّ إنّ الله تعالى يشرح الصدر للإسلام. وهذا هو معنى الإيمان الأكبر. وباعتبار أنّ الإسلام الأكبر هو أدنى مرتبة من الإيمان الأكبر، فإنّ المصنّف رحمه الله لمّا كان في مقام بيان الإسلام الأكبر في الصفحة السابقة، فإنّه استعمل كلمة «من» الابتدائيّة في بيانه؛ فقد قال: «ومِن هذه المرتبة من الإسلام يتحقّق قولُه: **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ**.

٥٩ـ حصر مفاد هذه الآية في منافقي النفاق الأكبر ممّا لا دليل عليه، إذ لو اكتفينا بظاهر الآية وسياقها، لكانت منحصرة في منافقي النفاق الأصغر. فقد جاء في الآية التي سبقتها: ⇦

فإذا سرى التسليم والانقياد إلى الروح ، وقويت معرفةُ الأفعال والأوامر الإلهيّة ، انتفى هذا النفاق لدى المرء .

وهذه المرتبة من الإيمان تستلزم السريان إلى جميع الأعضاء والجوارح ، لأنّ الروح إذا غدت منشأ الإيمان ـ وهي سلطان البدن والمتسلّط على جميع الأعضاء والجوارح ـ سخّرت الجميع لها ، ويسّرت الأمر للجميع ، وجعلت الجميع مطيعين مُنقادين ، ولم تقصّر في دقيقة من دقائق الطاعة والعبوديّة .

وقد ورد في حقّ أصحاب هذه المرتبة :

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ [الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون] .

لأنّ الإعراض عن اللغو لا يتحقّق إلّا باستعمال كلّ عضو من

⇐ **ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ... إلى قوله : **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا** (الآيات ١٤١ إلى ١٤٣ ، من السورة ٤ : النساء) .

الأعضاء فيما هو مخلوق له .

وقد ذكر أبو عبد الله عليه السلام في حديث الزبيريّ وحمّاد هذه المرتبة من الإيمان ، وخلاصة الحديث هي :

الإيمَانُ فَرْضٌ مَقْسُومٌ عَلَى الجَوَارِحِ كُلِّهَا ، فَمِنْهَا قَلْبُهُ وَهُوَ أَمِيرُ بَدَنِهِ ، وَعَيْنَاهُ وَأُذُنَاهُ وَلِسَانُهُ وَرَأْسُهُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاهُ وَفَرْجُهُ . ثمّ إنّه ذكر عمل كلّ واحد منها .[٦٠]

وكذلك أشار إلى هذه المرتبة حديثُ ابن رئاب :

إنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ لِجَمِيعِ أَمْرِنَا مُتَّبِعاً مُرِيداً . أَلَا وَإِنَّ مِنِ اتِّبَاعِ أَمْرِنَا وَإِرَادَتِهِ الوَرَعَ .[٦١]

وما ورد في كتاب الله : **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ** [الآية ١٦ ، من السورة ٥٧ : الحديد] ، هو أمر بالسفر

٦٠ـ ورد حديث الزبيريّ عن الصادق عليه السلام في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٣٣ ، وهو حديث مفصّل يستغرق أربع صفحات . أمّا حديث حمّاد، فقد رواه عن «العالِم» عليه السلام في ص ٣٨ من نفس الكتاب ، وهو حديث مفصّل أيضاً يستغرق صفحة كاملة ، (فمَن أراد تمامهما ، فليراجع مصدرهما) .

٦١ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٧٨ ، بإسناده المتّصل عن ابن رئاب ، عن الصادق عليه السلام ، وفي خاتمته : **فَتَزَيَّنُوا بِهِ يَرْحَمْكُمُ اللَّهُ وَكَبِّدُوا أَعْدَاءَنَا (بِهِ) يَنْعَشْكُمُ اللَّهُ .**

من الإيمان الأصغر إلى الإيمان الأكبر.

وينبغي ألّا نتصوّر أنّ ما قيل من تفاوت مراتب الإسلام والإيمان يتنافى مع ما ورد في طائفة من الروايات وصرّح به طائفة من المحدِّثين من أنّ الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان؛ لأنّ ما قيل هو تفاوت المراتب في الشدّة والضعف (في الآثار)، وليس تفاوتها في الزيادة والنقصان (في أصل الإيمان). بلى، من لوازم الشدّة والضعف الزيادة والنقصان في الآثار ولوازمها.[٦٢]

فما جاء -إذاً- في نفي الزيادة والنقصان، ففي أصل الإيمان؛ وما جاء في إثباتها، فإمّا مراده الشدّة والضعف، أو الزيادة والنقصان في الآثار واللوازم، مثل قوله تعالى:

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

٦٢- يمكن حمل الروايتين الشريفتين الواردتَين في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ١٥، الطبعة الثانية، على الاختلاف في مراتب الإيمان. وقد أورد الأُولى بسنده المتّصل عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، والثانية بسنده المتّصل عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام (واللفظ للثاني):

سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...»، قَالَ: هُوَ الإيمَانُ. قَالَ: «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ»، قَالَ: هُوَ الإيمَانُ. وَعَنْ قَوْلِهِ: «وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ»، قَالَ: هُوَ الإيمَانُ.

عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا [الآية ٢ ، من السورة ٨: الأنفال] .

يعني أنّهم إذا سمعوا في الآيات أمراً أو نهياً ، شمّروا هممهم وظهر فيهم أثر من الإيمان يزيد على ما كان عليهم من قبل . وإذا تُلي عليهم ـ بلسان الحال ـ من الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة ، اشتدّت (آثار) إيمانهم .

وهذا هو المراد ممّا ورد في الأحاديث التي عدّت مراتب كثيرة للإيمان ، حيث ورد :

إنَّ الإيمَانَ لَهُ سَبْعَةُ أَسْهُمٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ ، وَلَا يُحْمَلُ السَّهْمَانِ عَلَى صَاحِبِ السَّهْمِ . [٦٣]

٦٣ـ نقل الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٢ و٤٣ و٤٥ ثلاثة أحاديث :

الأوّل : عن عمّار بن الأحوص ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

الثاني : عن يعقوب بن الضحّاك ، عن رجلٍ من أصحابنا ـ وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام ـ عن أبي عبد الله عليه السلام .

الثالث : عن سَدير ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وقد قُسّم الإيمان في هذه الروايات الثلاث إلى سبعة أسهُم .

وروى في ص ٤٤ من نفس الكتاب عن شهاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام حديثاً إجماله ما يأتي : أنّ الله تعالى خلق الإيمان في تسعة وأربعين جزءاً ، ثمّ جعل الأجزاء أعشاراً ، فجعل الجزء عشرة أعشار ، فجعل في رجلٍ عُشر جُزء ، وفي آخر عُشري جُزء ، وهكذا حتّى بلغ ⇐

أي أنّ آثار وأعمال السهمَين يجب ألّا تُحمَل على صاحب السهم الواحد من المعرفة ، إذ سيشقّ ذلك عليه . وما لم تشتدّ المعرفة وتقوى ، فإنّ العمل سيشقّ على الجوارح .

وروى عبد العزيز القراطيسيّ قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام :

يَا عَبْدَ العَزِيزِ ! إنَّ الإيمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاةٍ ... إلى أن قال : **وَإذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ ، فَارْفَعْهُ إلَيْكَ بِرِفْقٍ ، وَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ .** [٦٤]

⇐ به جُزءاً تامّاً ، ثمّ جعل في رجل جزءاً وعُشر الجُزء ، وفي آخر جُزءاً وعُشري جُزء ، وهكذا... (إلى أن بلغ إلى قوله) حتّى بلغ بأرفعهم تسعةً وأربعين جُزءاً . (ثمّ قال في خاتمة الجديث :) **لَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ هَذَا الخَلْقَ عَلَى هَذَا ، لَمْ يَلُمْ أَحَدٌ أَحَداً .**

٦٤ـ وردت رواية عبد العزيز القراطيسيّ بتمامها في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٥ ، حيث جاء فيها قوله عليه السلام (الذي اختُصر بلفظ «إلى أن قال») :

فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الاثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الوَاحِدِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ ، حَتَّى يَنْتَهِي إلَى العَاشِرِ . فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَكَ ، فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ .

كما جاء في آخر الحديث بعد لفظة «فتكسره» قوله عليه السلام :

فَإنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ .

ودرجات الإيمان في المعرفة والعمل كليهما . ومن الظاهر أن الأعمال الواجبة ممّا يلزم كلّ شخص العمل بها . فتفاوت الدرجات في الآثار (المستفاد من الأخبار) إنّما يحصل باتّباع جميع الأوامر والسنن والأفعال والأخلاق .

الخامس : الهجرة الكبرى :

وكما أنّ الهجرة الصغرى هي الهجرة بالبدن من دار الكفر إلى دار الإسلام ؛ فإنّ الهجرة الكبرى هي الهجرة بالبدن عن مخالطة أهل العصيان ومجالسة أهل البغي والطغيان وأبناء الزمان الخوّان .[٦٥]

وقد ورد في حديث مِهزَم الأسديّ في صفة الشيعة : **وَإِنْ لَقِيَ جَاهِلاً هَجَرَهُ .**[٦٦]

٦٥ـ نقل المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥ ، ص ١٧٧ ، قسم الأخلاق ، عن كتاب «الغارات» خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها :

وَيَقُولُ الرَّجُلُ : هَاجَرْتُ ، وَلَمْ يُهَاجِرْ . إِنَّمَا المُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يَهْجُرُونَ السَّيِّئَاتِ وَلَمْ يَأْتُوا بِهَا . وَيَقُولُ الرَّجُلُ : جَاهَدْتُ ، وَلَمْ يُجَاهِدْ . إِنَّمَا الجِهَادُ اجْتِنَابُ المَحَارِمِ وَمُجَاهَدَةُ العَدُوِّ . وَقَدْ يُقَاتِلُ أَقْوَامٌ فَيُحِبُّونَ القِتَالَ ، لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الذِّكْرَ وَالأَجْرَ ... .

٦٦ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، بإسناده المتّصل عن مِهزم الأسديّ قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

يَا مِهْزَمُ ! شِيعَتُنَا مَنْ لَا يَعْدُو صَوْتُهُ سَمْعَهُ ، وَلَا شَحْنَاؤُهُ بَدَنَهُ ، ⇦

والهجرة بالقلب من مودّتهم والميل إليهم، فقد قال سيّد الأولياء عليه السلام: **وَالجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ**، حيث عدّ إحدى الشعب شنئان الفاسقين.[67]

والهجرة بكليهما (بالبدن والقلب) من العادات والآداب، إذ العادات والآداب من مهمّات بلاد الكفر.

فقد روي في جامع الكلينيّ، في رواية السكونيّ عن الصادق عليه السلام، عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **أَرْكَانُ الكُفْرِ أَرْبَعَةٌ: الرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالسَّخَطُ، وَالغَضَبُ**.[68]

⇐ **وَلَا يَمْتَدِحُ بِنَا مُعْلِناً، وَلَا يُجَالِسُ لَنَا عَائِباً، وَلَا يُخَاصِمُ لَنَا قَالِياً. إِنْ لَقِيَ مُؤْمِناً أَكْرَمَهُ، وَإِنْ لَقِيَ جَاهِلاً هَجَرَهُ.**

٦٧ـ وردت هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٥٠ بإسناده المتّصل عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام:

سُئِلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الإِيمَانِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ وَاليَقِينِ وَالعَدْلِ وَالجِهَادِ.

ثمّ بيّن كلّ واحدة منها، حتّى بلغ إلى الجهاد فقال: **وَالجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي المَوَاطِنِ، وَشَنَئَانِ الفَاسِقِينَ**. ثمّ ذكر كلّ واحدة من هذه الشعب، ثمّ قال عن شنئان الفاسقين: **وَمَنْ شَنَأَ الفَاسِقِينَ غَضِبَ لِلَّهِ، وَمَنْ غَضِبَ لِلَّهِ، غَضِبَ اللَهُ لَهُ**. ثمّ قال: **فَذَلِكَ هُوَ الإِيمَانُ وَدَعَائِمُهُ وَشُعَبُهُ.**

٦٨ـ وردت هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٨٩.

وفُسّرت «الرَّهبة» بالرهبة من الناس في مخالطتهم في عاداتهم ونواميسهم.

وبعد هذه الهجرة، الالتحاق بالرسول وقصد طاعته في جميع الأُمور، وخدمته بالمجادلة مع جنود الشيطان وقهرها.

السادس: الجهاد الأكبر:

وهو عبارة عن محاربة جنود الشيطان بمعونة حزب الرحمن (وهم جُند العقل). حيث ورد في حديث سماعة بن مهران عن الصادق عليه السلام:

ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ جُنْداً، فَلَمَّا رَأَى الجَهْلُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ العَقْلَ وَمَا أَعْطَاهُ، أَضْمَرَ لَهُ العَدَاوَةَ، فَقَالَ الجَهْلُ: يَا رَبِّ! هَذَا خَلْقٌ مِثْلِي خَلَقْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَقَوَّيْتَهُ، وَأَنَا ضِدُّهُ وَلَا قُوَّةَ لِي بِهِ فَأَعْطِنِي مِنَ الجُنْدِ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ. فَقَالَ: نَعَمْ (إلى أن قال:) **فَأَعْطَاهُ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ جُنْداً** ... (إلى أن قال:) **فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الجُنُودِ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ وَيُنْقَى مِنْ جُنُودِ الجَهْلِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الدَّرَجَةِ العُلْيَا مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْصِيَاءِ.**[69]

٦٩ـ أورد الكلينيّ هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٢٠، وهو حديث مفصّل، حيث ذكر الإمام الصادق عليه السلام للعقل ⇦

السابع : الفتح والظفر بجنود الشيطان :

والنجاة من تسلّطهم ، والخروج من عالَم الجهل والطبيعة .

ويشير إلى أصحاب هذه المرحلة (العرصة) الإمام الصادق عليه السلام في حديث اليمانيّ :

شِيعَتُنَا أَهْلُ الهُدَى ، وَأَهْلُ التَّقْوَى ، وَأَهْلُ الخَيْرِ ، وَأَهْلُ الإيمَانِ ، وَأَهْلُ الفَتْحِ وَالظَّفَرِ. [٧٠]

⇦ خمسة وسبعين جُنداً ، وبيّنها واحداً فواحداً ، ثمّ ذكر للجهل خمسة وسبعين جُنداً ، يقابل كلّ واحد منها واحداً من جنود العقل ، فذكرها بأسمائها ، وذكر بإزائها ما يقابلها من جنود العقل ، ثمّ قال في خاتمة الحديث :

فَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الخِصَالُ كُلُّهَا مِنْ أَجْنَادِ العَقْلِ إلَّا فِي نَبِيٍّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيٍّ أَوْ مُؤْمِنٍ قَدِ امْتَحَنَ اللَهُ قَلْبَهُ لِلإيمَانِ ، وَأَمَّا سَائِرُ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِينَا ، فَإنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الجُنُودِ ، حَتَّى يَسْتَكْمِلَ وَيُنْقَى مِنْ جُنُودِ الجَهْلِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الدَّرَجَةِ العُلْيَا مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْصِيَاءِ. وَإنَّمَا يُدْرَكُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ العَقْلِ وَجُنُودِهِ ، وَبِمُجَانَبَةِ الجَهْلِ وَجُنُودِهِ. وَفَّقَنَا اللَهُ وَإيَّاكُمْ لِطَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ ـ انتهى .

وأنا أقول (آمين) ثلاث مرّات .

٧٠ـ ورد حديث الفتح والظفر في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٢٣٣ ، بإسناده المتّصل عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **شَيعَتُنَا أَهْلُ الهُدَى ، وَأَهْلُ التُّقَى ، وَأَهْلُ الخَيْرِ ، وَأَهْلُ الإيمَانِ ، وَأَهْلُ الفَتْحِ وَالظَّفَرِ.** ⇦

الثامن : الإسلامُ الأعظم :

وبيان هذه المرحلة أنّ الإنسان ـ قبل دخوله في عالَم الفتح والظفر والغلبة على جُند إبليس والطبيعة ـ مبتلى في عالَم الطبيعة ، وأسير جنود الوَهم والغضب والشهوة ، ومغلوبٌ للأهواء المتضادّة في لجّة الطبيعة . تحيط به الآمال والأماني ، وتستولي عليه الهموم والغموم ، يتناهبه تزاحم العادات والآداب المتناقضة ، وتؤلمه منافيات الطبع ومنافرات الخواطر ، يترقّب الأُمور المخوفة العديدة ، ويتهيّأ للأحداث المهولة الجمّة ، في كلّ زاوية من خاطره تشويش ، وفي كلّ ركن في صدره نارٌ متأجّجة ، أنواع الفقر

⇦ واعلم بأنّ المجلسيّ رحمه الله أورد هذه الرواية في «البحار» في المجلّد الخامس عشر ، في الجزء الأوّل منه ، ص ١٥٢ ، وبعد بيان له في شأن الفتح والظفر قال :

فَالمُرَادُ بِهِ إمَّا الفَتْحُ وَالظَّفَرُ عَلَى المُخَالِفِينَ بِالحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ ، أَوْ عَلَى الأَعَادِي الظَّاهِرَةِ ـ إنْ أُمِرُوا بِالجِهَادِ ـ فَإنَّهُمْ أَهْلُ اليَقِينِ وَالشَّجَاعَةِ . أَوْ عَلَى الأَعَادِي البَاطِنِيَّةِ ، بِغَلَبَةِ جُنُودِ العَقْلِ عَلَى عَسَاكِرِ الجَهْلِ وَالجُنُودِ الشَّيْطَانِيَّةِ بِالمُجَاهَدَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ، كَمَا مَرَّ فِي كِتَابِ العَقْلِ . أَوِ المُرَادُ أَنَّهُمْ أَهْلٌ لِفَتْحِ أَبْوَابِ العِنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالإفَاضَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، وَأَهْلُ الظَّفَرِ بِالمَقْصُودِ ، كَمَا قِيلَ : إنَّ الأَوَّلَ إشَارَةٌ إلَى كَمَالِهِمْ فِي القُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ ، وَالثَّانِي إلَى كَمَالِهِمْ فِي القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ حَتَّى بَلَغُوا إلَى غَايَتِهِمَا ، وَهُوَ فَتْحُ أَبْوَابِ الأَسْرَارِ وَالفَوْزُ بِقُرْبِ الحَقِّ .

والاحتياج أمام ناظرَيه، وأصناف الآلام والأسقام تمسك بتلابيبه، فهو تارةً مُبتلى بالأهل والعيال، وتارةً في الخوف من تلف التجارة والأموال. يسعى إلى الجاه حيناً فلا يناله، وإلى المنصب حيناً فلا يُعطاه. قد أحاطت به أشواك الحسد والغضب والكبر والأمل، وغدا في براثن حيّات وعقارب وسِباع عالم الجسمانيّة والمادّيّة ذليلاً حقيراً. قد ادلهمّ قلبُه بظلمات الوَهْم، وأوثقته في أسرها آلاف مؤلّفة من الهموم المتضادّة. أينما ولّى وجهه، صفعتْهُ يدُ الدهر، وحيثما وضع رِجلَهُ غرس فيها الدهر أشواكه.

ولمّا نال ـ بتوفيقٍ غير مشروط ـ الظفر والانتصار في حربه وقتاله مع جنود الوهم والغضب والشهوة، وتخلّص من براثن العلائق والعوائق، وودّع عالَم الطبيعة والمادّيّة، ووضع أقدامه خارج بحر الوهم والأمل، فإنّه سيرى نفسه جوهرة فريدةً لا مثيل لها، ويضحى محيطاً بعالَم الطبيعة، مصوناً من الموت والفناء، فارغاً من منازعة المتضادّات، مطمئنّاً من أذى المتناقضات، وسيرى في نفسه صفاءً وبهاء ونوراً وضياء فوق إدراك عالَم الطبيعة؛ لأنّ الطالب ـ في تلك الحال ـ سيكون قد مات بمقتضى **مُتْ عَنِ الطَّبِيعَةِ**[71]، ووجد حياةً جديدة، ولأنّه سيكون ـ بسبب

٧١ـ نُسبت هذه العبارة إلى أفلاطون الحكيم، حيث قال: **مُتْ** ⇦

تخطّيه للقيامة الأنفسيّة الصغرى (وهي موت النفس الأمّارة) ـ قد حظي بالمشاهدات المعنويّة الملكوتيّة. وما أكثر ما سينكشف له من أُمور مخفيّة وما سيحصل له من أحوال عجيبة، وسيكون قد بلغ القيامة الوسطى.[72]

⇦ عَنِ الطَّبِيعَةِ، تَحْيَى بِالحَقِيقَةِ.

٧٢ـ اعلم أن العوالم التي بين الإنسان وبين الله تعالى، التي يتوجّب على السالك عبورها قد عُبّر عنها بأربعة عوالم:

الأوّل: **عالم الطبع**: ويدعى أيضاً بعالَم النفس، وعالم الحسّ، وعالم الشهادة، وعالم المادّة، وعالم المُلك، وعالَم الناسوت.

الثاني: **عالم المثال**: ويدعى أيضاً بعالَم البرزخ، وعالم الخيال، وعالم القلب، وعالم الملكوت. ويُعبَّر عنه بالفارسيّة بـ «عالَمِ دِلْ».

الثالث: **عالَم العقل**: ويدعى أيضاً بعالَم الروح، وعالم التجرّد عن المادّة والصورة، وعالم الجبروت. ويُعبَّر عنه بالفارسيّة بـ «عالَمِ جانْ».

الرابع: **العالم الربوبيّ**: ويدعى أيضاً بعالَم اللاهوت. ويُعبَّر عنه بالفارسيّة بـ «جانِ جانْ» أو «عالَمِ جانانْ».

وحين يريد الإنسان عبور عالم الناسوت والطبع، سواء بالموت الإراديّ وهو موت النفس الأمّارة، أم بالموت القهريّ، أي الموت الطبيعيّ، فإنّه سيكون قد عبر عالَم القيامة الصغرى. ذلك أنّ منازعة النفس الأمّارة ومحاربتها في ميدان المجاهدة هو عبارة عن تحقّق القيامة الصغرى، وأنّ عبور تلك المرحلة يعني العبور من القيامة الصغرى. ثمّ إنّ المرء يرى نفسه حينذاك في عالم المثال، وينبغي عليه المجاهدة أيضاً للعبور من ذلك العالم، حيث يدعى جهاده ذلك: قيام القيامة ⇦

فإن لم تدركه العناية الأزليّة في ذلك الوقت ، اكتنفه العُجب والغرور لما يشاهده في نفسه ، فتتملّكه **الأنانيّة** ، ويتصدّى لقطع الطريق عليه رئيس الأبالسة والعدوّ الكامن في نفسه بين جنبيه ، بعد أن تصدّى له حتّى الآن الأعداء الخارجيّون وأذناب الشيطان . وقد ورد : **أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ** .[73]

وهذا العُجب وهذه الأنانيّة هما اللذان صيّراه مبتلى بعالَم الطبيعة . وقد ورد أنّ الله تعالى لمّا خلق الروح المجرّد خاطبه فقال : **مَنْ أَنَا** ؟ ، فلم تخطُ الروح خارج البهاء الذي اكتنفها وأحاط بها ، فقالت : **مَنْ أَنَا** ؟ فأخرجها الله تعالى من عالم النور والابتهاج ، وأرسلها إلى عالم الفقر والفاقة لتعرف نفسها .[74]

⇐ الوسطى وتحقّقها . وهذا القيام والتحقّق يحصل في عالم المثال والملكوت . أمّا العبور من عالم المثال إلى عالم العقل والجبروت ، فيدعى بالعبور من القيامة الوسطى . فإن ورد المرء في عالم العقل والجبروت ، توجّب عليه المجاهدة أيضاً من أجل طيّ مراحل هذا العالم ، ولذلك تقوم قيامته الكبرى الأنفسيّة وتتحقّق . ومن ثمّ فإنّ القيامة الكبرى واقعة في عالم العقل والجبروت ، ويدعى عبور عالم العقل والجبروت إلى عالم اللاهوت بالعبور من القيامة الكبرى الأنفسيّة.

٧٣ـ ورد هذا الحديث في بحار الأنوار» ج ١٥ ، الجزء الثاني ، ص ٤٠ ، في الأخلاق ، نقلاً عن «عدّة الداعي» .

٧٤ـ ظاهر عبارة المصنّف رحمه الله في قوله «وقد ورد» ، أنّ ⇐

فإذا خرجت من عالم الطبيعة وعادت إلى حالتها الأُولى، اكتنفها ذلك الكِبر والأنانيّة، حيث حملت طائفة حديث **مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ** على هذا. يعني أنّهم يصلون موضعاً إذا لم يرتدوا فيه رداء الكبرياء، ولا تملّكهم العُجب، لنظروا إلى أنوار عالم اللاهوت.

فإن لم تنقذ السالك في هذه الحال العناية الإلهيّة، ابتُلي بالكفر الأعظم، إذ الكفر في المراحل السالفة إمّا كفر بالرسول، وإمّا شرك سبّبته الأُمور الخارجيّة (كالشيطان والهوى). أمّا كفر هذه المرحلة، فعبارة عن متابعة الشيطان والهوى، وقد قال تعالى:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [الآية ٦٠، من السورة ٣٦: يٰس].

وقال: **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** [الآية ٢٣، من السورة ٤٥: الجاثية].

⇐ مخاطبة الله القهّار للروح وجواب الروح قد وردا في حديث للمعصوم، وقد صرّح البعض أيضاً بكونه حديثاً، إلّا أنّي لم أعثر عليه في كتب الحديث. وقد نُقل ما يشبه هذا الخطاب والعتاب من الله تعالى للروح في كلام لأفلاطون في كتاب «تيماؤوس». وقد أورده المرحوم السيّد علي خان الكبير في «شرح الصحيفة السجّاديّة» حسب نقل «تلخيص الرياض» ج ١، ص ٢٨٢.

وقال الرسول صلّى الله عـليه وآله وسـلّم : **الهَـوَى أَنْـقَصُ (أَبْغَضُ ظ) إِلَهٍ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي الأَرْضِ.** [75]

وتخصيص «في الأرض» عائد إلى أنّه ـ بعد الخروج من أرض الطبيعة ـ ليس من إله أنقص من النفس، لأنّها تُتّخذ إلهاً بعد الفراغ من عالم الطبيعة والبدن والصعود إلى مدارج النفس والذات.

وإلى هذا الكفر يشير قول : **النَّفْسُ هِيَ الصَّنَمُ الأَكْبَرُ.**

وعبادة هذه الأصنام هي التي عناها إبراهيم عليه السلام حين دعا ربّه أن يجنّبه إيّاها : **وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ** [76]. لأنّ

٧٥ـ روي في «إحياء العلوم» ج ١، ص ٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : **أَبْغَضُ إِلَهٍ عُبِدَ فِي الأَرْضِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الهَوَى**. وقال في التعليقة : رواه الطبرانيّ من حديث أُمامة.

وفي «المحجّة البيضاء» ج ١، ص ٨٥، عن «إحياء العلوم»، وقال في تعليقته : أخرجه الطبرانيّ من حديث أُمامة كما في «المغني».

٧٦ـ حصر دعاء إبراهيم عليه السلام في هذه الآية في صنم النفس ممّا لا وجه له. ذلك أنّنا إذا نظرنا إلى مراتب بطون القرآن الكريم وحقائقه، فإنّ الآية ستشمل جميع أنواع الأصنام، المصنوعة وغير المصنوعة، من النفس الأمّارة والجنّ والملك والشيطان وأفراد الإنسان. وإذا نـظرنا إلى ظاهر الآية ـ دون باطنها ـ فإنّها ستكون عائدة إلى الأصـنام المـصنوعة فقط، لأنّ إبراهيم عليه السلام قال في الآية التي تليها في مقام التعليل : **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ**. ومـن الجـليّ أنّ إبراهيم عليه السلام قد قام في ذلك العصـر في وجه عبادة الأصنام المصـنوعة التي كان ⇦

من أوضح الواضحات أنّ عبادة الأصنام المصنوعة من قِبل الخليل عليه السلام وأبنائه (الذين كانوا من الأنبياء) ممّا لا يمكن تصوّره.

وهذا الشرك هو الذي كان خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم يستعيذ بالله تعالى منه، في قوله: **أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ**، وهو المُخاطَب بخطاب: [وَ]**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** [الآية ٦٥، من السورة ٣٩: الزمر].

وهذا الكفر هو الذي أشار إليه بعض أكابر أهل الله في قوله: إذا ارتحل العبد عن الكون والمكان، فإنّ أوّل مقام سيُعرَض عليه مقامٌ إذا بلغه تصوّر أنّه هو الصانع. وأيّ كفر أعلى من هذا!

إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً

وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ[٧٧]

⇦ الناس يعبدونها، وكان أكبر همّه عليه السلام تخليصهم من ذلك.

أمّا الدعاء من الأنبياء فهو ممدوح دائماً وفي أيّ مجال كان، سواء كان لاجتناب الأصنام المصنوعة أم حذراً من عبادة النفس الأمّارة، لأنّ المنجي هو الله تعالى على أيّة حال، سواء في بداية الطريق أم بعد بلوغ المقامات والكمالات؛ وهذه هي وجهة النظر الواقعيّة وحقيقة الأمر.

وأمّا بلحاظ الظاهر، فكما أنّ عبادة الأصنام الظاهريّة غير متصوّرة في حقّ إبراهيم وباقي الأنبياء عليهم السلام، فإنّ عبادة النفس (الأمّارة) غير متصوّرة كذلك في حقّهم.

٧٧ـ جاء هذا الشعر في «ريحانة الأدب» ج ١، ص ٤٣٣، ضمن ⇦

ويقابل هذا الكفر الإسلام الأعظم ، وهو الإسلام الذي أمر الحقّ جلّ شأنه به إبراهيم عليه السلام : **إِذْ قَالَ لَـهُۥ رَبُّـهُۥٓ أَسْـلِمْ** . وحقيقته عبارة عن التصديق بفناء النفس والإذعان بالعجز والذلّة والعبوديّة والرقّ ، بعد كشف الحقيقة والاعتقاد بأنّ ما يشاهده في نفسه من إحاطة ونور هو عين الفقر وسواد الظلمة ، بل بقطع النظر عنها وفنائه واضمحلاله في جنب الوجود المطلق والنور المحض .

التاسع : الإيمان الأعظم :

وهو عبارة عن مشاهدة ومعاينة فنائه ، بعد التصديق والإذعان

⇐ ترجمة الجُنيد ، وهو شعر أنشدته جارية في زمن الجنيد . قال :

وكلمات الجنيد في العرفان وأُصول الطريقة مشهورة ومدوّنة في الكتب المختصّة . ومن جملتها قوله : ما انتفعتُ بشيء كما انتفعتُ بهذه الأبيات التي «تغنّت» بها جارية في أحد البيوت :

إذَا قُلْتُ أَهْدَى الهَجْرُ لِي حُلَلَ البِلَى
تَقُولِينَ لَوْلَا الهَجْرُ لَمْ يَطِبِ الحُبُّ
وَإنْ قُلْتُ هَذَا القَلْبُ أَحْرَقَهُ الهَوَى
تَقُولِي بِنِيرَانِ الهَوَى شَرُفَ القَلْبُ
وَإنْ قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ ؟ قَالَتْ مُجِيبَةً
وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

فلمّا سمعتها صحتُ صيحةً وسقطتُ مغشيّاً عَلَيّ ، فجاءني صاحب الدار وسألني عن حالي ، فقلت : إنّ أبيات هذه الجارية فعلتْ بي هذا . فوهب لي صاحب الدار تلك الجارية ، فأعتقتُها .

بالإسلام الأعظم. وحقيقته شدّة ظهور ووضوح الإسلام الأعظم، وتجاوزه حدود العلم والإذعان إلى مرتبة المشاهدة والعيان. ولذلك قال تعالى لخليله: **أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**[78] [الآية ١٣١، من السورة ٢: البقرة]. ويشير إلى الدخول في هذا العالم قوله سبحانه وتعالى: **فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى** [الآيتان ٢٩ و٣٠، من السورة ٨٩: الفجر]، لأنّ حقيقة العبوديّة قد تحقّقت حينذاك، ولأنّ الدخول في هذا العالم كناية عن المشاهدة والعيان.

ويكون السالك في هذه الحال قد ارتحل عن عالم الملكوت، وقامت قيامته الكبرى الأنفسيّة، وورد في عالم الجبروت، وفاز بالمشاهدات الملكوتيّة والمعاينات الجبروتيّة، وورد من عالم

٧٨ـ يُلاحَظ أنّ المصنّف رحمه الله قد عدّ خطاب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بلفظ «أسلِم» على أنّه الإسلام الأعظم، وعدّ استجابة إبراهيم عليه السلام بلفظ «أسلمتُ لربِّ العالَمين» على أنّها مرتبة أعلى من سابقتها، أي مرتبة الإيمان الأعظم. ولعلّه استفاد هذا المعنى من إضافة كلمة «ربّ العالَمين»، لأنّ التسليم بعد التصديق بفناء النفس مقابل مشاهدة آثار عظمة الله تعالى بالنسبة الى جميع الموجودات، ومشاهدة فناء النفس مقابل ربّ العالمين (الذي له جانب الربوبيّة لجميع الموجودات)، والاعتراف بهذا المعنى ومشاهدته، هو الإيمان الأعظم.

النفوس المعلّقة بالأفلاك إلى العالم المنزّه عن الأجسام . وفي طلب هذه المنزلة قيل :

بَيْنِي وَبَيْنَكَ إنّيٌّ يُنَازِعُنِي فَارْفَعْ بِلُطْفِكَ إنّيَّ مِنَ البَيْنِ [79]

العاشر : الهجرة العظمى :

وهي عبارة عن هجرة السالك من وجوده ورفضه له ، وسفره إلى عالم الوجود المطلق ، والتفاته التامّ لذلك العالم . وقد أُمِر بهذه الهجرة فقيل : **دَعْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ** . [80]

ويشير إليه قوله تعالى : **وَٱدْخُلِى جَنَّتِى** بعد قوله : **فَٱدْخُلِى**

٧٩ـ هذا البيت للحسين بن منصور الحلّاج ، وقد أورده المرحوم صدر المتألّهين في «الأسفار» ج ١ ، ص ١١٦ .

٨٠ـ جاء في «تذكرة الأولياء» ج ١ ، ص ١٤٩ ، نقلاً عن بايزيد البسطاميّ أنّه قال : لمّا بلغتُ مقام القُرب قيل لي : أَرِدْ . قلتُ : لا إرادة لي ، فأَرِد أَنتَ لي . قيل : أَرِد ! قلتُ : أُريدُك أنت فحسب !... قيل : ذاك محال مادام هناك ذرّة من وجود بايزيد ، **دَعْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ** .

ونقل في ص ١٥٠ عن بايزيد أنّه قال : ناجيتُ مرّة فقلتُ : **كَيْفَ الوُصُولُ إلَيْكَ** ؟ فسمعتُ منادياً يقول : يا بايزيد ! **طَلِّقْ نَفْسَكَ ثَلَاثاً ثُمَّ قُلِ اللهُ** .

أمّا في «طبقات الأخيار» للشعرانيّ ، ج ١ ، ص ٧٧ ، فقد نقل كلام بايزيد بهذا اللفظ : **وَكَانَ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَبَّ العِزَّةِ فِي النَّوْمِ ـ المَنَامِ ـ فَقُلْتُ يَا رَبِّ ! كَيْفَ أَجِدُكَ ؟ فَقَالَ : فَارِقْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ إلَيَّ** .

فِى عِبَـٰدِى ، لأنّ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ خطابٌ إلى النفس التي فرغت من الجهاد الأكبر ووردت عالَم الفتح والظفر ، وهو مقرّ الاطمئنان .

ولمّا كان هذا القدْر من الوصول إلى المقصد غير كافٍ ، فقد أُمِر بالرجوع إلى ربّه . وقد ذكرنا تفصيل كيفيّة الرجوع .[٨١]

٨١ـ يمكن القول بأنّ خطاب يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ هو خطاب للنفس التي فرغت من الجهاد الأكبر ووردت في عالم الظفر والفتح ، وسلّمت نفسها للحقّ تعالى ، وأدركت الإسلام الأعظم ، وبواسطة مشاهدة فنائها في قبال وجود ذات الحقّ واعترافها وإذعانها القلبيّ بهذا الأمر ، فقد بلغت مرتبة الإيمان الأعظم (الذي هو مقرّ الاطمئنان ومحلّ السكينة والطمأنينة) وحطّت رحالها في هذا الموضع ، وبعد ذلك جاءها خطاب ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ يأمرها بالهجرة من وجودها إلى وجود الحقّ (الربّ) ، إذ الرجوع بالهجرة أنسب .

ومعلوم أنّ السالك بعد هذه الهجرة (وهي الهجرة العظمى التي ارتحل فيها من عالم النفس وحطّ رحاله في عالم الحقّ) سيكون راضياً بقضاء وقدر الله التشريعيّ والتكوينيّ ، وأنّ أيّ مخالفة أو معصية لن تبدر منه ، وهو معنى رضا العبد عن الله تعالى . كما أنّ من المعلوم أنّ الله تعالى سيكون راضياً عن مثل هذا العبد الذي طوى طريق العبوديّة بكامله ، ولذلك ستتّصف نفس العبد بصفة «راضيةً مرضيّةً» .

بَيدَ أنّه لمّا كانت الآثار الوجوديّة للعبد غير منتفية تماماً ، فينبغي عليه الشروع بالجهاد الأعظم للقضاء على آثارها ، ولو كانت بقايا ⇐

فقد أُمِر ـ إذاً ـ بالدخول ابتداءً في العِباد، وهو الإيمان الأعظم، ثمّ أُمر بالترقّي والدخول في جنّة الله بترك وجوده وبالدخول في عالم الخلوص والرجوع إلى ربّه. أمّا ما عُبّر عنه بتعبير **مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**، فليس إلّا هذه المرحلة: مرحلة الإيمان الأعظم. لأنّ صدق الأمر الذي هو فناؤه، ومحلّ السكون الصادق الذي هو الوجود المحض إنّما يحصلان في هذه المرحلة.

وبالنظر إلى أنّ المجاهدة العظمى لم تتحقّق بعدُ، وأنّ آثار

⇐ خفيّة. وحينذاك يتحقّق له معنى العبوديّة الذاتيّة، وجملة «فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى» دالّة على هذا الجهاد الأعظم الذي هو الغاية القصوى لدرجة العبوديّة. وبعد ذلك يجب أن يزال هذا المَيْز في العبوديّة، الذي أوجد لديه شائبة الاثنينيّة، فيرد ـ بواسطة الفناء المطلق في الذات الإلهيّة ـ في عالم اللاهوت (وهو عالم المُخلَصين) الذي يُدعى جنّة الذات. ويدلّ على ذلك جملة «وَٱدْخُلِى جَنَّتِى» الواردة بعد جملة «فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى».

وبعد الدخول في جنّة الذات ينتهي السير في العوالم الاثني عشر، الذي هو «السير إلى الله تعالى».

واعلمْ أنّ الله تعالى لم ينسب في قرآنه الكريم الجنّة إلى نفسه إلّا في هذا الموضع، فعبّر عنها بلفظ «جنّتى». وأعلى هذه الأقسام من الجنّات الثمانية يُدعى «جنّة الذات».

وجود السالك لا تزال باقية حتّى الآن ، وأنّ اضمحلال تلك الآثار في نظر السالك موقوف على المجاهدة ، فإنّه لم يأمن تماماً من سطوات سياط القهر ، وهو ـ لذلك ـ يقف في مضمار هذين الاسمَين الجليلَين .[٨٢]

الحادي عشر : عالم الجهاد الأعظم :

وهو عبارة عن توسّله ـ بعد هجرته من وجوده ـ بالمليك المقتدر ، ليجاهد آثار وجوده الضعيفة ، من أجل أن ينفيها بالمرّة ليخطو ـ وهو ممحيّ ـ على بساط التوحيد المطلق .

الثاني عشر : عالم الخلوص :

وقد سمعتَ شيئاً من تفصيله ، وهو عالم الفتح والظفر بعد الجهاد الأعظم . وإليه أُشير في قوله تعالى : **أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ** .

٨٢ـ يعني أنّ السالك لمّا وصل إلى عالم الإيمان الأعظم (وهو موضع الصدق) ، فإنّه ـ باعتبار عدم مجاهدته بالجهاد الأعظم ، وباعتبار عدم نفيه آثار وجوده نفياً كاملاً ـ سيكون في مضمار الاسمَين الكبيرَين ، يعني اسم **المليك** واسم **المقتدر**.

وبعبارة أُخرى ، فإنّه سيجد نفسه تحت سيطرة وقهر الملك المقتدر ، وعليه أن يجاهد متوسّلاً بهذا المليك المقتدر ليخرج كلّيّاً من بقايا آثار وجوده . وحينذاك سيخرج من مضمار هذين الاسمَين ويدخل تحت اسم **أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ** .

أمّا وقد أمن الآن من سطوة القهر، وترعرع في حِجر تربية مربّي الأزل، فسيدخل في مضمار هذا الاسم الذي أُشير إليه في **يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ**، وفي: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** [الآية ١٥٦، من السورة ٢: البقرة].

بِـدَمِ المُـحِبِّ يُـبَاعُ وَصْـلُهُمُ

فَاسْمَحْ بِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وِصَالاً

وحينذاك تقوم قيامته العظمى الأنفسيّة، ويكون قد تخطّى الأجسام والأرواح والتعيّنات والأعيان بأسرها، وفَني منها بأجمعها، وخطى في عالَم اللاهوت، وفاز بالحياة الحقيقيّة الأبديّة، وانتقل من المعاينات الجبروتيّة إلى التجلّيات اللاهوتيّة، وفاز **وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**[83]، **لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ** [الآية ٦١، من السورة ٣٧: الصافّات]، فيخرج آنذاك من تحت **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** [الآية ١٨٥، من السورة ٣: آل عمران؛ والآية ٣٥، من السورة ٢١: الأنبياء؛ والآية ٥٧، من السورة ٢٩: العنكبوت]، إذ ليس عندئذ مِن نفس، ويصبح مصداق **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ**

٨٣ـ وردت هذه الآية بهذه الكيفيّة في موضعين من القرآن الكريم، الأوّل: سورة التوبة، الآية ١١١؛ والثاني: سورة غافر، الآية ٩؛ كما وردت بدون الواو في أربعة مواضع أُخرى.

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ [الآية ١٢٢ ، من السورة ٦: الأنعام] ، ومصداق **إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ** في الآية الكريمة **وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ** [الآية ٦٨ ، من السورة ٣٩: الزمر] . وهو آنذاك الميّت الحيّ . فهو ميّت بالموت الإراديّ من عالم الطبيعة والنفس ، وحيٌّ بالحياة الحقيقيّة في عالَم اللاهوت والخلوص . ومن هنا قيل : **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِي ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ** .[٨٤]

٨٤ـ لم يعثر هذا الحقير على سند لهذا الحديث على الرغم من تفحّصي الزائد ، مع أنّ من الممكن أنّ المصنّف رحمه الله لم يقصد في قوله «ومن هنا قيل» أنّ هذا القول حديث ، بل لعلّه كلام لبعض الأعلام والعرفاء . بَيدَ أنّ هذا الاحتمال من سياق عبارات المصنّف رحمه الله بعيد ، لأنّه حيثما أورد نظير هذا التعبير ، فقد نقل كلمات لرسول الله والأئمّة المعصومين .

أجل ، أورد صدر المتألّهين في تفسير سورة السجدة ، ص ١١٧ ، الطبعة الحروفيّة ، أنّه جاء في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِي ، فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ** .

القسم الثاني

أمّا وقد علمت تفصيل هذه العوالم الاثني عشر، فسأُبيِّن لك طريق السلوك والسفر فيها على سبيل الإجمال أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وسأذكره لك في بيانين زيادة في البصيرة.

الفصل الأوّل

بيانٌ إجماليٌّ في طريقِ السُّلوكِ إلى الله

فأقول في البيان الأوّل :

أوجّه كلامي إلى مَن فكّر بالطلب ولم يكن غافلاً ولا ذاهلاً بالمرّة . ومثل هذا الشخص عليه ـ أوّلاً ـ أن يسعى في الطلب ، فيجتهد في تفحّص الأديان والمذاهب على قدر قابليّته ، وينظر في الشواهد والآيات والبيّنات والقرائن والأمارات الحسّيّة والذوقيّة والعقليّة والحدسيّة ، ويبذل في ذلك قصارى جهده من أجل أن يُدرك توحيد الله وحقيقة هدايته ولو بأدنى مرتبة علم اليقين . بل ينفعه في هذا المقام مجرّد الظنّ والرجحان . وبعد تحصيل هذا التصديق العِلميّ أو الرجحانيّ يخرج من عالم الكفر ويدخل مرحلتَي الإسلام والإيمان الأصغرَين ويطويهما .

والإجماع واقع في هاتين المرحلتَين على أنّ تحصيل الدليل واجب على كلّ مكلّف . فإن لم يحصل له أيّ رجحان بعد تفحّصه وجهده وتعقّله ونظره ، فعليه أن يتعلّق بأذيال التضرّع والبكاء والتوسّل والابتهال والتذلّل ، وأن يصرّ في ذلك ، فسيُفتح له حتماً ،

كما هو المأثور عن النبيّ إدريس عليه السلام وأتباعه.[85]

٨٥ـ روى المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٥، ص ٧٥، طبعة أمين الضرب، عن «علل الشرايع»؛ والصدوق في «علل الشرايع» ص ٢٧، طبعة النجف، بإسناده عن وهب بن منبّه قال:

إنَّ إدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَجُلاً طَوِيلاً... إلى أن قال: وَإنَّمَا سُمِّيَ إدْرِيسَ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَدْرُسُ مِنْ حِكَمِ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَنِ الإسْلَامِ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِ قَوْمِهِ. ثُمَّ إنَّهُ فَكَّرَ فِي عَظَمَةِ اللَهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَ: إنَّ لِهَذِهِ السَّمَاوَاتِ وَلِهَذِهِ الأرَضِينَ وَلِهَذَا الخَلْقِ العَظِيمِ وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالسَّحَابِ وَالمَطَرِ وَهَذِهِ الأشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ لَرَبّاً يُدَبِّرُهَا وَيُصْلِحُهَا بِقُدْرَتِهِ، فَكَيْفَ لِي بِهَذَا الرَّبِّ؟ فَأَعْبُدُهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ... .

فَخَلَا بِطَائِفَةٍ مِنَ قَوْمِهِ فَجَعَلَ يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إلَى عِبَادَةِ خَالِقِ هَذِهِ الأشْيَاءِ، فَلَا يَزَالُ يُجِيبُهُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، حَتَّى صَارُوا سَبْعَةً، ثُمَّ سَبْعِينَ، إلَى أَنْ صَارُوا سَبْعَمِائَةٍ، ثُمَّ بَلَغُوا أَلْفاً. فَلَمَّا بَلَغُوا أَلْفاً، قَالَ لَهُمْ: تَعَالَوا نَخْتَرْ مِنْ خِيَارِنَا مِائَةَ رَجُلٍ، فَاخْتَارُوا مِنْ خِيَارِهِمْ مِائَةَ رَجُلٍ، وَاخْتَارُوا مِنَ المِائَةِ سَبْعِينَ رَجُلاً، ثُمَّ اخْتَارُوا مِنَ السَّبْعِينَ عَشَرَةً، ثُمَّ اخْتَارُوا مِنْ العَشَرَةِ سَبْعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَعَالَوا فَلْيَدْعُ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةُ فَلْيُؤَمِّنْ بَقِيَّتُنَا فَلَعَلَّ هَذَا الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ يَدُلُّنَا عَلَى عِبَادَتِهِ. فَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الأرْضِ، وَدَعَوا طَوِيلاً، فَلَم يَتَبَيَّنْ لَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إلَى السَّمَاءِ، فَأَوْحَى اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَى إدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبَّأَهُ وَدَلَّهُ عَلَى عِبَادَتِهِ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ. فَلَمْ يَزَالُوا يَعْبُدُونَ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشرِكُونَ بِهِ شَيْئاً حَتَّى رَفَعَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ إدْرِيسَ إلَى السَّمَاءِ وَانْقَرَضَ مَنْ تَابَعَهُ عَلَى دِينِهِ إلَّا قَلِيلاً. ثُمَّ إنَّهُمُ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَأَحْدَثُوا الأحْدَاثَ وَأَبْدَعُوا البِدَعَ حَتَّى كَانَ زَمَانُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن الأفضل في هذه الأوقات أن ينشغل بعدّة أذكار مؤثّرة في حصول اليقين في هذه المرحلة. وسيُشار إلى بعض تلك الأذكار.

فإن هو تخطّى هذه المرحلة، فليسعَ جهده في تحصيل الإسلام والإيمان الأكبرَين. وأوّل ما يلزمه في هذه المرحلة العِلم بأحكام وآداب وفرائض وشرائع الهادي الناجي الذي اعتقد بكونه ناجياً. سواء عن طريق سماعها من ذلك الهادي أم من خليفته أم نائبه، أو عن طريق فهمه لكلامه ـ إن كان أهلاً للفهم ـ أو باتّباع مَن هو أهلٌ للفهم، الذي يدعى في الشريعة بـ«الفقيه».

وبعد العِلم بها وتحصيلها والتسليم والانقياد وترك الاعتراض، عليه أن يواظب على العمل بها والمحافظة على أداء الفرائض والآداب، ليزداد ـ بهذا السبب ـ وضوح المعرفة واليقين بها **درجةً فدرجةً**، وليشتدّ ـ بسبب العمل والآثار ـ الإيمان في الجوارح، أنّ العمل موجب للعلم، والعلم مورث للعمل. وقد صرّح بهذه الطريقة في أخبار كثيرة، حيث ورد في حديث عبد العزيز المذكور: **الإيمَانُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مَرْقَاةً بَعْدَ مَرْقَاةً**. ويشير إلى ذلك ما ورد في حديث الحسن الصيقل، أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: **الإيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ**

بَعْضٍ.[86]

وجاء في حديث إسماعيل بن جابر عنه عليه السلام قال:

العِلْمُ مَقْرُونٌ بِالعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ.[87]

وأصرحُ منها حديث محمّد بن مسلم، أنّه عليه السلام قال:

الإيمَانُ لَا يَكُونُ إلَّا بِالعَمَلِ وَالعَمَلُ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ الإيمَانُ إلَّا

٨٦ـ نُقل هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٤٤، عن الحسن ابن الصيقل.

كما أورد المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٦٤، عن «الأمالي» و«المحاسن» بإسنادهما عن الحسن بن الصيقل قال:

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةَ إلَّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ المَعْرِفَةُ عَلَى العَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ. أَلَا إنَّ الإيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ.

٨٧ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٤٤، عن إسماعيل بن جابر؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١، ص ٨١، عن «منية المريد»، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

العِلْمُ مَقْرُونٌ إلَى العَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ. وَالعِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ، فَإنْ أَجَابَهُ وَإلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.

كما ورد في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٨٠، عن «نهج البلاغة» بهذا اللفظ:

العِلْمُ مَقْرُونٌ بِالعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ. وَالعِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ، فَإنْ أَجَابَهُ وَإلَّا ارتَحَلَ عَنْهُ.

بِعَمَلٍ.[88]

وجاء في حديث جميل بن درّاج[89]، عنه عليه السلام قال:

٨٨ـ روي هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٣٨، بإسناده المتّصل عن محمّد بن مسلم؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥، الجزء الأوّل، ص ٢١٩، في الإيمان، نقلاً عن «الكافي»، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سَأَلْتُهُ عَنِ الإيمَانِ؛ فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَهِ، وَالإقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَهِ، وَمَا اسْتَقَرَّ فِي القُلُوبِ مِنَ التَّصْدِيقِ بِذَلِكَ. قَالَ، قُلْتُ: الشَّهَادَةُ أَلَيْسَتْ عَمَلاً؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: العَمَلُ مِنَ الإيمَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الإيمَانُ لَا يَكُونُ إلَّا بِعَمَلٍ، وَالعَمَلُ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ الإيمَانُ إلَّا بِعَمَلٍ.

٨٩ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٣٨، عن جميل ابن درّاج؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥، ص ٢١٩، الجزء الأوّل، في الإيمان، قال:

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الإيمَانِ، فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَهِ. قَالَ، قُلْتُ: أَلَيْسَ هَذَا عَمَلٌ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَالعَمَلُ مِنَ الإيمَانِ؟ قَالَ: لَا يَثْبُتُ لَهُ الإيمَانُ إلَّا بِالعَمَلِ، وَالعَمَلُ مِنْهُ.

وعلى أيّة حال، فقد وردت روايات جمّة نظير هذه الرواية، مثلما جاء في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٤، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: **الإيمَانُ إقْرَارٌ وَعَمَلٌ.** وكما ورد في ص ٣٣ من نفس الجزء عن سلام الجُعفيّ قال: **سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ** ⇦

وَلَا يَثْبُتُ لَهُ الإيمَانُ إلَّا بِالعَمَلِ وَالعَمَلُ مِنْهُ.

وفي تصريحات وتلويحات سيّد الأوصياء عليه السلام أنّ الإيمان الكامل يولد من العمل. فمن طلب الإيمانَ الأكبر، فعليه أن يطلبه من العمل.

بَيدَ أنّ عليه في هذه المرحلة أن يكون شعاره الرفق والمداراة كما مرّ في حديث عبد العزيز، وأن يداوم على كلّ عمل يبادر إليه، فقد ورد في الأحاديث المتواترة أنّ العمل القليل المستمرّ أفضل عند الله من الكثير غير المستمرّ.

وعليه أن يرتفع درجةً فدرجةً، من أجل أن تحظى جميع أعضائه وجوارحه بنصيبها من الإيمان، ولئلّا يبقى عضوٌ لم ينل نصيبه.

ثمّ يصل به الأمر إلى حيث تنال جميع أعضائه الظاهرة والباطنة حظّها الكامل من الإيمان، من الأوامر والنواهي الحتميّة والتنزيهيّة التي لو أُهمل منها جزء، لنقص من الإيمان بذلك القدر. ومع وجود قصور الإيمان ـ ولو قيدَ شعرة ـ يتعذّر السير في العالم الذي يعلوه، وقد مرّ أنّ عوالم السلوك إلى الله تعالى شأنها شأن الساعات، فما لم ينطو المتقدّم تماماً، تعذّر الحصول على

⇐ **عَنِ الإيمَانِ، فَقَالَ: الإيمَانُ أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ فَلَا يُعْصَى.**

المتأخّر.

وقد نُقل أنّ سالكاً أتى إلى شيخ طمعاً في نيل المراتب، فوجده في المسجد، ورآه وهو يبصق في المسجد، فعاد أدراجه ولم يعدّه مهتدياً.[٩٠]

وآخر سار ثوره مع المحراث في أرض موقوفة ثمّ عاد إلى أرضه، فشاهد أنّ شيئاً من تراب الأرض الموقوفة قد اختلط بأرضه، فلم يأكل من محصولات أرضه.[٩١]

٩٠ـ جاء في «تذكرة الأولياء» ج ١، ص ١٣٠، ضمن ترجمة حال بايزيد البسطاميّ: نُقل أنّه أُخبر بأنّ في المكان الفلانيّ شيخ كبير (في الطريقة)، فقصده من مسافة بعيدة، فلمّا جاءه رآه يبصق تجاه القبلة، فعاد أدراجه وقال: لو كان له شيء من الطريقة، لما عمل خلاف الشريعة.

٩١ـ نُقل الكثير من هذه الاحتياطات والاحترازات عن كثير من الأعلام من أرباب السلوك والعرفان والزهّاد والعبّاد. بَيدَ أنّ هذه الاحتياطات إنّما حصلت على أساس الحال التي كانت تعرض لهم في بعض الأحيان أو في غالبها. لكنّ الشريعة الغرّاء لا تقوم على أساس هذا النوع من الضيق والعسر، إذ إنّ الشرع المقدّس قد أرسى بناءه على أساس الالتفات التامّ إلى الله تعالى والمراقبة الشديدة في الأخلاق والتزكية. أمّا في الأُمور الظاهريّة، فقد أرساه على أساس «أصالة الطهارة والحلّيّة» ونظائر ذلك. أمّا الاحتياطات الزائدة فتصرف السالك عن التفاته إلى الله وتعيقه في سيره التكامليّ نحو عالم الإطلاق والتجرّد؛ والتدقيق ⇦

حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ.[٩٢]

ويكفي في بيان هذا المطلب قول الحقّ سبحانه وتعالى: **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** -إلى قوله- **وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**، لأنّ اللغو لا تخصيص له باللسان، وكلّ عملٍ يصدر من أي عضو بحيث لا يوافق الأمر الإلهيّ، ولا يستوجب الثواب والأجر والنورانيّة، ولا يرضى به الله، فإنّه يعدّ لغواً.

وأهمّ الأعضاء التي يجب أن يوفّى حظّه من الإيمان: القلب، لأنّه أمير البدن، ولأنّ إيمان القلب يتعدّاه إلى سائر الأعضاء والجوارح كما في حديث الزبيريّ وحمّاد السابقَين. فيجب مراقبة القلب في جميع الأحوال. وأمّا إيمانه فبالذّكر والتفكّر، ولذا فقد ورد في أحاديث عديدة أنّ أفضل العبادة هو التفكّر والذّكر. ولذلك جاء في كتاب الله: **وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ** [الآية ٤٥، من السورة ٢٩: العنكبوت]، وبه يحصل الإيمان التامّ **أَلَا بِذِكْرِ**

⇐ الخارج عن ذوق الشرع يجعل الإنسان أسير الأوهام والوساوس، ويوجّه أفكاره على الدوام إلى هذه الموارد، ويحرمه كلّيّاً من التفكّر والالتفات واطمئنان البال (التي هي أدوات السلوك)، ويغلق في وجهه الطريق إلى الله تعالى.

٩٢ـ ليست عبارة **حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ** مضمون رواية، على الرغم من أنّها حكم صحيح ومطلب واقعيّ وحقيقيّ.

ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ [الآية ٢٨، من السورة ١٣ : الرعد]. فإن تخلّف القلب عن آثار إيمانه، تخلّفت معه سائر الأعضاء : **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ** [الآية ٣٦، من السورة ٤٣ : الزخرف].

فإن حَظِيَت جميع الأعضاء والجوارح بنصيبها من الإيمان واعتادت عليه، وكانت مصونة عن الطغيان والتمرّد، شرع السالك في عالم المجاهدة، وهجر مرافقة أبناء الزمان وأولياء الشيطان، وارتحل عن مقتضيات الوهم والشهوة والغضب والعادات والآداب بمقتضى **لَا يَخَافُونَ [فِى ٱللَّهِ] لَوْمَةَ لَآئِمٍ** [الآية ٥٤، من السورة ٥: المائدة]، وانتمى إلى عالم العقل[٩٣]، واستعان بعساكر العقل في محاربة حزب الهوى وجُند الأبالسة.

وينبغي ألّا تؤخّر هذه المرحلة بكاملها عن جميع المراحل السابقة، إذ كثيراً ما تكون آثار الإيمان في الجوارح منوطة بصلاح الباطن، وكثيراً ما تكون لوازم وآثار إيمان النفس متعلّقة بأعمال الجوارح. بل هاتان المرحلتان متلازمتان في الحقيقة، بحيث إنّ النشاط التامّ لكلّ منهما يحصل في آن واحد.

---

٩٣ ـ ليس المراد بعالم العقل هنا عالم الروح والجبروت، لأنّه يأتي بعد الجهاد الأكبر لا بعده، بل المراد هو ترك ما سوى الله تعالى.

وبإجمال ، فإنّ السالك إذا خطى في هذه المرحلة ، فإنّ أوّل ما يلزمه العِلم بأحكام الطبّ الروحانيّ ، من أجل أن يعرف المصالح والمفاسد ، والفضائل والرذائل ، والدقائق والخفايا ، وحِيَل النفس ومكائدها ، ويتعرّف على سائر جنود إبليس ؛ وهذا هو فِقه النفس ، مقابل فروع الأحكام التي هي فقه الجوارح . والعقل هو معلّم فقه النفس ، كما أنّ الفقيه هو معلّم فقه الجوارح . ويدلّ عليه حديث : **العَقْلُ دَلِيلُ المُؤْمِنِ** .[94]

وحديث : **إنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ : حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ . أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ وَالأَئِمَّةُ ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالعُقُولُ** .[95]

٩٤ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٢٥ ، بإسناده المتّصل عن إسماعيل بن مهران ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٩٥ـ وردت هذه الفقرة ضمن وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى هشام بن الحكم ، وهي وصيّة طويلة ذكر فيها الإمام مزايا العقل وخصوصيّاته ... قال فيها :

يَا هِشَامُ ! إنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَين : حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأَنبِيَاءُ وَالأَئِمَّةُ ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالعُقُولُ .

وقد وردت هذه الرواية المباركة في «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٣ ، عن أبي عبد الله الأشعريّ ، عن بعض أصحابنا مرفوعاً ، عن هشام بن ⇦

لكنّ أكثر العقول قد تكدّرت بدخولها في عالم الطبيعة ، ومنازعتها جُنود الوهم والغضب والشهوة ، فأضحت قاصرة عن إدراك دقائق مكائد جند الشيطان وسبيل التغلّب عليهم ، لهذا لا مناص لها من الرجوع إلى الشرع والقواعد المقرّرة فيه ، حيث قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : **بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ .**[٩٦]

⇦ الحكم.

ووردت الوصيّة بتمامها في «تحف العقول» ص ٣٨٣. ونقلها المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٤٣، عن «تحف العقول». ومطلعها : **يَا هِشَامُ ! إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ العَقْلِ وَالفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : «بَشِّرْ عِبادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَـٰبِ»**. (الآيتان ١٧ و١٨، من السورة ٣٩ : الزمر).

٩٦ـ جاء في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ» مادّة «خ ل ق» ومادّة «ب ع ث» عن «الموطّأ» لمالك، باب حُسن الخلق، ص ٨، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.

وجاء في «إحياء العلوم» ج ٣، ص ٤٣؛ وج ٢، ص ١٣٨ و٣١٣، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : **إنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**. وقال في التعليقة : رواه أحمد والحاكم في «المستدرك» والبيهقيّ.

بَيدَ أنّي لم أعثر على هذه الرواية بهذا اللفظ في جوامع وأُصول ⇦

....

⇐ الشيعة. بلى جاء في «مكارم الأخلاق» للطبرسيّ مرسلاً أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.**

وللمرحوم المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٦ (في النبوّة)، ص ١٤٦ و١٤٧، في تفسير قوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** بيان جاء فيه:

سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيماً لِاجْتِمَاعِ مَكَارِم الأَخْلَاقِ فِيهِ، وَيَعْضُدُهُ مَا رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ. وَقَالَ: أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي. كما جاء في «سفينة البحار» ج ١، ص ٤١٠: وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.**

أمّا في «الأمالي» للشيخ الطوسيّ، ج ٢، ص ٢٠٩، فقد روى بإسناده المتّصل عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، عن آبائه الواحد عن الآخر، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: **سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.**

وروي هذا الحديث بعينه في «بحار الأنوار» ج ٦، ص ١٦٣، عن «الأمالي» للشيخ الطوسيّ.

كما روى الطوسيّ في «الأمالي» ج ٢، ص ٩٢، بإسناده المتّصل عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه الواحد عن الآخر، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي بِهَا. وَإِنَّ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ أَنْ يَعْفُوَ الرَّجُلُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُهُ.

وروى المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥، (جزء الأخلاق)، ⇐

. . . .

⇐ ص ٢١٦، هذه الرواية عن «الأمالي» للطوسيّ.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» ص ١٩١، بإسناده المتّصل عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

إنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ وَارْغَبُوا إلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا. فَذَكَرَهَا عَشَرَةً: اليَقِينُ وَالقَنَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالرِّضَا وَحُسْنُ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَالغَيْرَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالمُرُوءَةُ.

وورد نظير هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٥٦، عن الإمام الصادق عليه السلام بأدنى اختلاف في اللفظ، إلّا أنّه أورد لفظ «خَصَّ رُسُلَهُ» بصيغة الجمع بدلاً من «خَصَّ رسولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

كما أورد في نفس الصفحة رواية أُخرى بإسناده المتّصل عن الصادق عليه السلام قال:

إنَّا لَنُحِبُّ مَنْ كَانَ عَاقِلاً فَهِماً فَقِيهاً حَلِيماً مُدَارِياً صَبُوراً صَدُوقاً وَفِيّاً. إنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فَلْيَحْمَدِ اللَهَ عَلَى ذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إلَى اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيَسْأَلْهُ إيَّاهَا. قَالَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: هُنَّ الوَرَعُ وَالقَنَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالحِلْمُ وَالحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ وَالغَيْرَةُ وَالبِرُّ وَصِدْقُ الحَدِيثِ وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ.

وروي في «كنوز الحقائق» للمناويّ (المطبوع في هامش «الجامع الصغير» للسيوطيّ) ج ١، ص ٩٩، عن «ق» و«حم» (يقصد البخاريّ ⇐

فلا مفرّ للطالب في هذه المرحلة أيضاً من الرجوع إلى الهادي، أو إلى خليفته، أو نائبه، أو فهم كلماته.

ونظراً لضرورة الاستنباط في هذه المرحلة واستخراج دقائقه، ومعرفة الأمراض النفسانيّة ومعالجاتها، وتشخيص المصالح والمفاسد، ومعرفة مقدار دواء كلّ شخص وطريقة معالجته الخاصّة، فإنّ القائم بهذا الاستنباط ـ باعتبار دقّته وخفائه ـ يجب أن يكون تامّاً ذا نظر ثاقب وقوّة كبيرة ومَلَكة قدسيّة وعلمٍ غزير وسعي كثير. ولهذا السبب فإنّ حصول هذا العلم قبل العمل به أمرٌ متعسّر، بل متعذّر. ولا مفرّ للطالب ـ والحال هذه ـ من الرجوع إلى الهادي أو من يقوم مقامه، ويُعبَّر عنه بالشيخ أو الأُستاذ.[97]

⇐ ومسلم ومسند أحمد بن حنبل) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**.

٩٧ـ لزوم رجوع الجاهل إلى العالِم في جميع موارد الحاجة في مراحل الأحكام الثلاثة (الفطريّة، العقليّة، والشرعيّة) أمرٌ مسلّم وثابت يتّفق عليه عقلاء العالَم. وتدلّ عليه الآية المباركة: **فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (الآية ٤٣، من السورة ١٦: النحل؛ والآية ٧، من السورة ٢١: الأنبياء). وأصرح منها في أمر التربية والهداية إلى الصراط المستقيم قول إبراهيم عليه السلام لآزر: **يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا** (الآية ٤٣، من السورة ١٩: مريم). لأنّه يصرّح: يا أبتِ لقد جاءني من العِلم ما لم يأتِك، فعليك ⇐

....

⇐ أن تتبعني لأهديك إلى الصراط المستقيم.

وأهل الذِّكر وأساتذة الفنون الإلهيّة والمعارف الحقّة الربّانيّة، الذين يخبرون طرق السلوك ومنجيات النفوس ومهلكاتها ليسوا سوى العلماء بالأحكام الظاهريّة الشرعيّة. وينبغي ـ في سلوك الطريق إلى الله تعالى وكشف الحُجب ـ أن يستشير السالك أُستاذاً متخصّصاً في هـذا الفـنّ، وهو الذي يدعى «العالِم بالله». وهناك في هذا البـاب روايـات تـفوق الحصر. ولعلماء الأخلاق والعرفان الإلهيّ بيانات نفيسة وقيّمة في هذا المجال.

وقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لكميل بن زياد عن هذا الأُستاذ بـ«عالِم ربّانيّ»، وجعل التعلّم على سبيل النجاة منحصراً في متابعته، وعبّر عن هؤلاء بالحُجج الإلهيّة ... فقال:

اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ؛ إمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَأَيْـنَ أُولَـئِكَ؟ أُولَئِكَ ـ وَاللَهِ ـ الأَقَلُّونَ عَدَداً وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتَهُ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُونَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

هَجَمَ بِـهِمُ العِـلْمُ عَـلَى حَـقِيقَةِ البَـصِيرَةِ، وَبَـاشَرُوا رُوحَ اليَـقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى.

أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إلَـى دِيـنِهِ. آهْ آهْ شَـوْقاً إلَـى رُؤْيَتِهِمْ، انْصَرِفْ إذَا شِئْتَ. («نهج البلاغة»، باب الحِكم، ص ١٧١ إلى ١٧٤).

والمراد بالحجّة المشهور أو الخائف المغمور: مطلق أولياء الله ⇐

⇐ تعالى والحُجج الإلهيّة الذين يتكفّلون بتعليم الأُمّة وتربيتها وهدايتها إلى الحضرة الأحديّة جلّ وعزّ. وليس المراد بهم في هذا الحديث خصوص الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

والدليل على ذلك ـ أوّلاً ـ أنّ الإمام بعد أن حصر جميع أفراد البشر في ثلاثة أصناف: عالِم ربّانيّ، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رُعاع، فإنّه تحدّث عن الحُجج الإلهيّة. ومعلوم أنّ العالم الربّانيّ في اللغة لا يختصّ بالأُمّة، على الرغم من أنّه أفضل وأعلى وأشرف هؤلاء الأفراد. وبناء على ذلك فإنّ الحُجج الإلهيّة في هذا الكلام هم ضمن مصاديق العالم الربّانيّ، وليس هناك قرينة لصرف تلك المصاديق إلى الأئمّة الطاهرين، ويجب القول ـ على أساس إطلاق الكلام ـ بأنّ كلّ من يمتلك هذه الصفات والحالات، فإن بإمكانه أن يتصدّى لمقام تربية سالكي طريق الله، وأن يعلّم الأسرار الإلهيّة لمتعطّشي وادي المعرفة ومولّهي عالم لقاء الذات الأحديّة والفناء فيها، كما هو مشهود في طريقة آية الله الكبرى الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ رحمة الله عليه، وفي طريقة تلامذته العرفاء المبرّزين، الذين تلألأ كلٌّ منهم نجماً ساطعاً في سماء التوحيد والمعرفة.

وثانياً أنّ الإمام يقول في كلامه بأنّ الله تعالى يحفظ حُججه وآياته البيّنات بهم، حتّى يودعوا تلك الأسرار الإلهيّة نظائرهم، ويزرعوها في قلوب أمثالهم. ومن الجليّ أن ليس من شبيه ولا نظير لشخص الإمام عليه السلام، لأنّ مقامه (الإمامة) أعلى وأسمى من مقام جميع الأفراد.

فيكون المراد بالحُجّة المشهور أو الخائف المغمور أولياء الله تعالى، الذين بلغوا مقام المخلَصين، والذين لا يتصوّر لهم أشباه ⇐

....

⇐ ونظائر.

ومن جملة الأدلّة على لزوم متابعة السالك للهادي البصير الخبير بصراط المعرفة، كلام الإمام السجّاد عليه السلام المنقول في «كشف الغمّة»:

هَلَكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ.

وعبارة سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ضمن خطبة له في «مِنى»، وقد عدّها البعض لأمير المؤمنين عليه السلام (كما في «تحف العقول»):

وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ (تَغْنُونَ خ ل) ذَلِكَ بِأَنَّ مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، الْأُمَنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ.

ومعلوم أنّ مجاري الأمور الباطنيّة والأسرار الربّانيّة منحصرة لدى العالِم الربّانيّ الذي ورد منهل الشريعة، واطّلع على مصدر الأحكام، وتعرّف على دقائق النفوس وأسرارها.

والشاهد والدليل الآخر على هذا المدّعى ما أورده المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٣، عن كتاب «البصائر» بسندَين ـ بأدنى اختلاف في اللفظ ـ مرفوعاً عن الصادق عليه السلام قال:

أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَاباً نَاطِقاً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ.

لأنّه علّل الرجوع في أيّ مقصود إلى السبب المختصّ بالوصول ⇐

⇐ إلى ذلك المقصود. ومن الواضح أنّ الأمر كذلك في مجال الأمراض الروحانيّة التي يجب الرجوع فيها إلى المتخصّص والطبيب الروحانيّ.

وأصرح منها جميعاً: كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»، الخطبة ٢٢٠، حيث يذكر مطالب تثير العجب في آثار وصفات هؤلاء العلماء الربّانيّين:

وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ وَالأَفْئِدَةِ.

يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الهَلَكَةِ.

وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ البَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ القِيَامَةُ عَلَيهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ ... .

إلى أن يقول:

يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدىً وَمَصَابِيحَ دُجىً، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ المَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، ⇐

وكما أنّ هناك شروطاً مُفترَضة في أُستاذ فقه الجوارح، بحيث لا يجوز الرجوع إليه قبل معرفة تحقّقها فيه، وبحيث يبطل من دونها العمل؛ فإنّ الأمر كذلك في فقه النفس والطبّ الروحانيّ، كما أنّ معرفة الأُستاذ في هذا الفنّ أصعب، وشرائطه أكثر.

⇦ وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ ـ إلى آخر الخطبة.

ومن المسلّم أنّ مثل هؤلاء الأفراد يمكنهم التكفّل بتربية السالك، لأنّهم ـ وفقاً لهذا الكلام ـ الذين يهتفون في أسماع الغافلين بالطرق المختلفة يزجرونهم عن ارتكاب محارم الله تعالى التي سبقوهم في التناهي عنها، ويأمرونهم بالعدل والقسط الذي سبقوهم بالعمل به. حتّى كأنّهم اطّلعوا على خفايا أهل البرزخ في طول إقامتهم فيه، فهم يكشفون لأهل الدنيا عن تلك الأُمور الحقّة. وكأنّهم يرونَ ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون. قد أحاطت بهم ملائكة السماء من كلّ صوبٍ وحدب، وتنزّلت عليهم السكينة، وفُتِحت لهم أبواب السماء، وأُعدّت لهم مجالس الكرامة، في مقام لا يطّلع عليه إلّا الله تعالى، قد شَكَرَ اللَّهُ سَعيهم وحمِد مقامهم.

طيّ اين مرحله بى همرهى خضر مكن
ظلماتست بترس از خطر گمراهى

يقول: «لا تطوينّ هذه المرحلة دون أن تصطحب الخضر، فهي ظُلمات عليك أن تخشى الضياع فيها!».

خَلِيلَيَّ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ إِلَى الحِمَى
كَـثِيرٌ وَلَكِـنْ وَاصِـلُوهُ قَـلِيلُ [98]

وهناك فرق آخر بين أُستاذ الفـقه الجسـمانيّ (الذي يُـدعى بالفقيه) وبين أستاذ الفقه الروحانيّ (الذي يُدعى بالشيخ)، وهو أنّ طريق فقه الجوارح جليّ وظاهر، وأنّ قطّاع طريق الله فيه قليلون وظاهرون؛ فيكفي أُستاذ هـذا الفـقه أن يشـير إلى الطـريق وأن يُشخّص المخادعين. خلافاً لطريق فقه النفس والطبّ الروحانيّ، حيث يختلف طريق كلّ شخص، ويتفاوت مرضه، وحيث يتعذّر معرفة مقدار المرض ومقدار الدواء، ويـعسر مـعرفة مـرض كـلّ شخص ومعالجته، وحيث عـقبات الطـريق بـلا حـصر، وامـتداد ارتفاعاته بلا انتهاء، وقطّاعه بلا عدد، ومعرفة لصوصه مستصعب مُشـكل [99]. إذ يحصـل كـثيراً أن يـتلبّسـون بـلـباس الدراويـش.

٩٨ـ ذكر صاين الدين عليّ بن محمّد بن تركه هذا البيت في رسالته إلى فيروز شاه، وجاءت في ص ٣٠٠ من كتابه «جهارده رسالهٔ فارسى» (= أربع عشرة رسالة بالفارسيّة) بهذا اللفظ:

خَلِيلَيَّ قُطَّاعُ الفَيَافِي إِلَى الحِمَى كَـثِيرٌ وَأَمَّـا الوَاصِـلُونَ قَـلِيلُ

٩٩ـ نقل في «حِلية الأولياء» ج ١٠، ص ٤٠، عن بايزيد البسطاميّ أنّه قال:

لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَى رَجُلٍ أُعْطِيَ مِنَ الكَرَامَاتِ حَتَّى يُرْفَعَ فِي الهَوَاءِ، ⇐

فلا مناص إذن من مرافقة الأُستاذ والشيخ ومراقبته في جميع الأحوال، ومن عرض الحال عليه في كلّ عقبة.

ومن هنا نجد السالكين يلازمون الأُستاذ مدّة متمادية، ولا يفارقونه دقيقة واحدة.

واعلم أنّ حال فقه النفس كحال فقه الجوارح في أنّ تمام إيمان النفس موقوف على تمام ظهور آثارها، وأنّ أثراً من آثارها لو أُهمل، فإنّ إيمان النفس سينقص بنفس القدر، فيعجز السالك ـ من ثمّ ـ عن السير في العالم الذي يعلو عالمه.

فإن طوى السالك ـ بالعناية والتوفيق الربّانيّين، وبتعليم الشيخ الروحانيّ ـ وجاهد كما ينبغي له المجاهدة، فإنّ النقصان الذي كان موجوداً في إسلامه وإيمانه الأصغرَين سيرتفع. فإن أخطأ آنذاك، بدا له خطأه بوضوح، وتجلّى أمامه الصراط المستقيم، وانتقل من الظنّ والتخمين إلى المشاهدة واليقين:

وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ [الآية ٩٩، من السورة ١٥: الحجر]، **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** [الآية ٥٤، من السورة ٢٤: النور]،

⇐ **فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَه عِنْدَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَحِفْظِ الحُدُودِ وَأَدَاءِ الشَّرِيعَةِ.**

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [الآية ٦٩، من السورة ٢٩: العنكبوت]، **وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ**[١٠٠]. [الآية ٨٢، من السورة ٢٠: طه].

١٠٠ـ وأجاد حافظ الشيرازيّ رحمه الله حين أنشد في هذا المعنى:

مرا به رندى وعشق آن فضول عيب كند
كه اعتراض بر اسرار علم غيب كند
كمال صدق ومحبّت ببين نه نقص گناه
كه هر كه بى هنر افتد نظر به عيب كند
ز عطر حور بهشت آن زمان بر آيد بوى
كه خاك ميكدهٔ ما عبير جيب كند
چنان بزد ره اسلام غمزهٔ ساقى
كه اجتناب ز صهبا مگر صهيب كند
كليد گنج سعادت قبول اهل دلست
مباد آنكه در اين نكته شكّ وريب كند
شبان وادى ايمن گهى رسد به مراد
كه چند سال به جان خدمت شعيب كند
ز ديده خون بچكاند فسانهٔ حافظ
چو ياد عهد شباب وزمان شيب كند

يقول: «يعيب علَيّ ذلك الفضول عشقي ولا مبالاتي؛ وهو ـ في ذلك ـ إنّما يعترض على عِلم الغيب.

انظر إلى كمال الصِّدق والحبّ، لا إلى نقص الذنوب؛ إذ مَن كان بلا فنّ، تطلّع إلى العيوب. ⇦

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المجاهدين وغاية أحوالهم:

فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ العَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الهَوَى، وَصارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، وَأَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ وَقَطَعَ غِمَارَهُ. فَهُوَ مِنَ اليَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ.[١٠١]

⇦ سيعبق ـ يوماً ـ عطر حور الجِنان، إذا هنّ ضمّخن جيوبهنّ بتراب حانتنا.

لو أشار الساقي بطَرفه على طريقةِ أهل الإسلام، لَما امتنع عن الصهباء حتّى صُهيب.

مفتاح كنز السعادة هو قبول أصحاب القلوب، فلا يعتريك في الأمر شكّ ولا ريب.

قد يدرك راعي الغنم في الوادي الأيمن مراده، إن قضى من شبابه سنوات في خدمة شُعيب.

إذا تذكّر حافظ عهد شبابه ومشيبه، تقاطرت قصّة لوعته من ناظرَيه دماً».

١٠١ـ فقرة من كلامه عليه السلام في «نهج البلاغة»، الخطبة ٨٥، ومطلعها:

عِبَادَ اللَهِ! إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَهِ إلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَهُ عَلَى نَفْسِهِ. بَيدَ أنّ فيها لفظ **قَدْ أَبْصَرَ** بدلاً من **وَأَبْصَرَ**؛ كما ورد فيها بعد قوله: **وَقَطَعَ غِمَارَهُ** جملة: **وَاسْتَمْسَكَ مِنَ العُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا**، ⇦

وقال أيضاً في وصفهم :

هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ البَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ ، وَاسْتَلانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُونَ ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُونَ ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى ... .

اللهمّ إلّا مَن قصّر في طريق الطلب ، وتسامح في مرحلة من مراحله ؛ كمن قصّر في بذل الجهد خلال الفحص الأوّل الضروريّ - في الإسلام والإيمان الأصغرَين - فاختار دليلاً ضالاًّ ، أو انحرف عن متابعة فقيهه وشيخه ، أو قصّر في سعيه في معرفتهما ، أو قصّر في إعطاء حظّ الجوارح أو النفس من الإيمان ، أو أخطأ في ترتيب المعالجة ، وسنذكر لك أُنموذجاً من ذلك .

فإذا فرغ الطالب السالك من هذه المراحل ، وتغلّب على حزب الشيطان والجهل ، وورد عالَم الفتح والظفر ، فسيحين زمن

⇐ ثمّ قال : **فَهُوَ مِنَ اليَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ .**

وأمّا كلامه الآخر : «هجم بهم العلم» ، فقد ورد أيضاً ضمن حِكمه عليه السلام في «نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٥٤٨ ، شرح المولى فتح الله ؛ وفي شرح محمّد عبده ، ص ١٧١ ، الحكمة رقم ١٤٧ ، في موعظته لكُمَيل ، ومطلعها : **يا كُمَيْلُ ! إنَّ هَذِهِ القُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ،** وورد في «النهج» لفظة **مُعَلَّقَةٌ** بدلاً من **مُتَعَلِّقَةٌ** .

طيّه للمراحل اللاحقة، إذ إنّه طوى عالم الجسم ودخل في مُـلك الروح. وحان زمن السفر الأعظم والسفر من عالم النفس والروح، والانتقال مـن دولة المـلكوت إلى مـملكة الجـبروت واللاهـوت وغيرها.

وأساس طريق السير في هذه المرحلة يـتمثّل ـ بـعد مـبايعة الشيخ البصير ـ فـي الذِّكـر والتـفكّر والتـضرّع والابـتهال والتـبتّل والبكاء: **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** [الآية ٨، من السورة ٧٣: المزّمل]، **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** [الآية ٢٠٥، من السورة ٧: الأعراف].

ومن هنا فقد قال ربّ العالمين بأنّ ذِكره أكبر من الصلاةِ التي هي عمود الدِّين، وقال الصادق عليه السلام بأنّ التـفكّر أفـضل العبادة، وأنّ تفكّر ساعة واحدة أفضل من عبادة سبعين سنة.[١٠٢]

١٠٢ـ لقد فسّر الكثير من الأعلام الآية المباركة على النحو الذي فسّرها به المصنّف رحمه الله، فقالوا بأنّ ذِكر الله أكبر من الصلاة.

بَيدَ أنّ هذا المطلب لا يمكن القبول به، لأمور:

أوّلها: أنّ الصلاة هي بذاتها ذِكر، بل من أعظم مصاديق الذِّكر، لأنّ روح الصلاة في جميـع أفعال الصلاة وأقوالها هو حضـور القلب، وهو حقيقة الذكر.

وثانيها: أنّ هذه الآية، أي الآية ٤٥، من السورة ٢٩: العنكبوت: ⇦

فإن انتهت هذه المرحلة بدورها ،فقد تمّ الكلام والتفكّر

⇦ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ**، لا تقول بأنّ ذِكر الله أكبر من الصلاة. بل وردت جملة **وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ** تعليلاً للجملة السابقة.

أي أنّها تريد القول بأنّ الصلاة ـ التي هي بذاتها ذِكر ـ تنهى عن الفحشاء والمنكَر لأنّها ذِكر الله الأكبر. وأنّ الصلاة أكبر وأشدّ تأثيراً في النهي عن الفحشاء والمنكر من أيّ شيء آخر.

فإن لم نعتبر الجملة تعليليّة، فإنّ معناها سيبقى: أنّ الصلاة ـ التي هي ذِكر الله ـ أكبر من الفحشاء والمُنكر، وأنّ ذِكر الله (أي الصلاة) أكبر وأعلى من كلّ لذّة وسرور غير مشروعَين.

وثالثها: أنّ مذاق الشرع والرسول (الذي جاء بهذه الآية) يفيدان أنّ الصلاة أكبر وأعلى من كلّ عمل وموضوع؛ فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ. وقال: **الصَّلَاةُ مِيزَانٌ، مَنْ وَفَّى اسْتَوْفَى**. وقال: **الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ**. وقال: **إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَاةِ كَمَثَلِ عَمُودِ الفُسْطَاطِ**. وقال: **أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ العَبْدُ عَنْهُ الصَّلَاةُ**. وقال: **الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ**.

وأصرحُ منها جميعاً ما رواه الكلينيّ في «الكافي» ج ٣، ص ٢٦٤، عن معاوية بن وَهَب قال:

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ العِبَادُ إِلَى رَبِّهِم وَأَحَبِّ ذَلِكَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئاً بَعْدَ المَعْرِفَةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ الصَّلَاةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ: «وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا».

والعزلة والسير والسلوك والطلب والطالب والمطلوب والنقصان والكمال **إذَا بَلَغَ الكَلامُ إلَى اللهِ فَأَمْسِكُوا**.[١٠٣]

وهذا هو البيان الإجماليّ الأوّل لطريق سلوك سبيل عالم الخُلوص.

١٠٣ـ روى الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ١، ص ٩٢؛ والصدوق في «التوحيد» ص ٤٥٦؛ والمجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٨٣، عن «المحاسن» للبرقيّ، بإسنادهم جميعاً، عن سليمان بن خالد قال: **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ»؛ فَإذَا انْتَهَى الكَلَامُ إلَى اللهِ فَأَمْسِكُوا.**

كما نقل المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٢، ص ٨٢، عن تفسير عليّ ابن إبراهيم في تفسير الآية المباركة **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ**، عن ابن أبي عُمَير، عن جميل، قال: **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذَا انْتَهَى الكَلَامُ إلَى اللهِ فَأَمْسِكُوا، وَتَكَلَّمُوا فِيمَا دُونَ العَرْشِ وَلَا تَكَلَّمُوا فِيمَا فَوْقَ العَرْشِ، فَإنَّ قَوْماً تَكَلَّمُوا فِيمَا فَوْقَ العَرْشِ فَتَاهَتْ عُقُولُهُمْ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يُنَادَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ، وَيُنَادَى مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.**



الفصل الثاني

بيانٌ تفصيليٌّ لطريقةِ السُّلُوكِ إلى اللهِ



وأمّا البيان الثاني

فاعلم أنّ علماء الطريقة ذكروا منازل وعقبات للسالك، وبيّنوا طريق السير فيها. وأنّهم اختلفوا في عدد المنازل وترتيبها، حتّى تفاوتت ما بين سبعة منازل ـ على أقلّ الأقوال ـ وسبعمائة ـ وهو قول الأكثريّة ـ وصرّح بعضهم بأنّها تبلغ سبعين ألفاً.[104]

١٠٤ـ اعلم أنّه إنّما عبّر عن اختلافهم في الحُجُب الواقعة في طريق السالك، فقد عدّ البعض الحُجب حجاباً واحداً، وهو عبارة عن النفس، واعتبروا أنّ رفعه يحصل إمّا بواسطة العرفان، إذ **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**، أو بواسطة تزكية النفس وتطهيرها كما في **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**، أو عبورها، حسب مقولة: **أَمَاتَ نَفْسَهُ وَأَحْيَى قَلْبَهُ**.

ومنهم من قال بأنّ الحجاب هو الدنيا، والمقصود بالدنيا: «ما سوى الله»، حيث قيل: **أَخرِجُوا مِنَ الدُّنيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ**.

وعدّه بعضهم الإنّيّة والوجود، حيث قيل:

بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنِّيٌّ يُنَازِعُنِي ... فَارْفَعْ بِلُطْفِكَ إِنِّيَّ مِنَ البَيْنِ

وعدّ بعضهم الحُجب حجابَين: الظاهر والباطن، أو الدنيا ⇦

. . . .

⇐ والآخرة، حيث قيل:

از تو تا مقصود چندان منزلی در پيش نيست

يكقدم بر هر دو عالم نِه كه گامی بيش نيست

يقول: «ليس بينك وبين مقصودك إلّا منازل معدودة، فاخطو على العالَمَين فليس أمامك إلّا خطوة».

أو الشريعة والطريقة، فإن هو أفاد منهما سويّاً بلغ إلى الحقيقة؛ أو هما عالما الشهود والغيب، أو عالما الخلق والأمر.

واعتبرها بعضهم ثلاثة حُجب: الطبع، المثال، والعقل؛ وقال: بأنّ عبور هذه المنازل هي الوقوف على المطلوب.

واعتبرها بعضهم أربعة حُجب، حيث نُقل عن بايزيد البسطاميّ أنّه قال: تركتُ الدنيا في اليوم الأوّل، وتركتُ الآخرة في الثاني، وتخطّيتُ ما سوى الله في الثالث، وفي اليوم الرابع سُئلتُ: مَا تُرِيدُ؟ فقلت: أُرِيدُ أَنْ لا أُرِيدَ. وهو إشارة إلى ما قاله البعض في تعيين المنازل الأربعة: الأوّل: تَرْكُ الدنيا؛ الثاني: ترك العُقبى؛ الثالث: ترك المولى؛ والرابع: تركُ التَّرْك.

واعتبرها بعضهم خمسة حُجب، ودعوها عوالم الحضرات الخمس، حيث ورد في الدعاء المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: **اللّهُمَّ نَوِّرْ ظَاهِرِي بِطَاعَتِكَ، وَبَاطِنِي بِمَحَبَّتِكَ، وَقَلْبِي بِمُشَاهَدَتِكَ، وَرُوحِي بِمَعْرِفَتِكَ، وَسِرِّي بِاسْتِقْلَالِ اتِّصَالِ حَضْرَتِكَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإكْرَامِ**.

ويقول المرحوم الحاجّ المولى جعفر كبوتر آهنكي في شرحه:

وَكُلِّيَّاتُ هَذِهِ المَرَاتِبِ مُنْحَصِرَةٌ فِي خَمْسٍ: اثْنَانِ مِنْهَا مَنْسُوبَتَانِ إلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَثَلَاثٌ مَنْسُوبَةٌ إلَى الكَوْنِ، وَتُسَمَّى بِالحَضَرَاتِ ⇐

⇐ الخَمْسِ الكُلِّيَّةِ.

الأُولَى : حَضْرَةُ الغَيْبِ المُطْلَقِ، وَيُسَمُّونَهَا أَيْضاً «غَيْبَ الغُيُوبِ» وَ«عَيْنَ الجَمْعِ» وَ«حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ» وَمَقَامَ «أَوْ أَدْنَى» وَ«غَايَةَ الغَايَاتِ» وَ«نِهَايَةَ النِّهَايَاتِ».

الثَّانِيَةُ : حَضْرَةُ الأَسْمَاءِ، وَيُسَمُّونَهَا «حَضْرَةَ الصِّفَاتِ وَالجَبَرُوتِ» وَ«بَرْزَخَ البَرَازِخِ» وَ«بَرْزَخِيَّةً أُولَى» وَ«مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ» وَ«قَابَ قَوْسَيْنِ» وَ«مُحِيطَ الأَعْيَانِ». وَفِيهَا يَظْهَرُ الحَقُّ بِالأُلُوهِيَّةِ، وَتَكُونُ لِلأَعْيَانِ فِيهَا ثُبُوتٌ عِلْمِيٌّ، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِلعَالِمِ بِهَا، لَا لِأَنْفُسِهَا وَمِثَالِهَا، فَيَعُمُّهَا اسْمُ الغَيْبِ.

الثَّالِثَةُ : حَضْرَةُ الأَفْعَالِ، وَيُسَمُّونَهَا «عَالَمَ الأَرْوَاحِ» وَ«عَالَمَ الأَمْرِ» وَ«عَالَمَ الرُّبُوبِيَّةِ» وَ«غَيْبَ مُضَافٍ» وَ«غَيْبَ بَاطِنٍ»، وَفِيهَا يَظْهَرُ الحَقُّ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

الرَّابِعَةُ : حَضْرَةُ المِثَالِ وَالخَيَالِ، وَفِيهَا يَظْهَرُ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ دَالَّةٍ عَلَى حَقَائِقَ وَمَعَانٍ.

الخَامِسَةُ : حَضْرَةُ الحِسِّ وَالمُلْكِ، وَفِيهَا يَظْهَرُ بِصُوَرٍ مُتَعَيِّنَةٍ كَوْنِيَّةٍ، وَهُوَ «العَالَمُ المَحْسُوسُ»، وَفِي الثَّلَاثَةِ الآخِرَةِ يَكُونُ لِلأَعْيَانِ ظُهُورٌ لِأَنْفُسِهَا وَلِأَمْثَالِهَا عِلْماً وَوُجْدَاناً.

وقال محيي الدين ابن عربي في صلواته على خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

اللَّهُمَّ أَفِضْ صِلَةَ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامَةَ تَسْلِيمَاتِكَ عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ المُفَاضَةِ مِنَ العَمَاءِ الرَّبَّانِيِّ، وَآخِرِ التَّنَزُّلَاتِ المُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ المُهَاجِرِ مِنْ مَكَّةَ؛ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ثَانٍ، إِلَى مَدِينَةَ، وَهُوَ ⇐

⇐ **الآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ، مُحْصِي عَوَالِمَ الحَضَرَاتِ الخَمْسِ فِي وُجُودِهِ «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ».**

وعبّر البعض عن هذه العوالم بعوالم الطبع والمثال والروح والسرّ والذات، وستجري الإشارة إلى ذلك في أنواع وأقسام المكاشفات.

واعتبرها بعضهم سبعة حُجب؛ واعتبر أنّ المراد بـ«الأرضون السبع» الحُجب المادّيّة والظلمانيّة، وأنّ «السماوات السبع» الحُجب النورانيّة والملكوتيّة، وهي: عالم الحسّ، المثال، العقل، السرّ، السرّ المستسرّ، السرّ المقنّع بالسرّ، والذات. وقد ورد في الروايات أيضاً تعبير الحُجب السبع.

واعتبرها بعضهم عشرة عوالم، حيث ورد أنّ للإيمان عشرة أجزاء، وأنّ سلمان الفارسيّ كان له الأجزاء العشرة.

هذا، وقد قسّم المرحوم نصير الدين الطوسيّ عليه الرحمة في كتابه «أوصاف الأشراف» المنازل إلى ستّ مراحل، ثمّ قسّم كلّ مرحلة من المراحل الخمس الأُولى إلى ستّ مراحل، فبلغ مجموع العوالم ـ مع العالم الأخير الذي عدّ له مرحلة واحدة ـ واحداً وثلاثين عالماً.

وبلغ بعضهم بالحجب إلى سبعين حجاباً، حيث روي في «بحار الأنوار» ج ٦، ص ٣٩٣، عن «كشف اليقين» بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رواية عن معراجه صلّى الله عليه وآله وسلّم جاء فيها قوله: **فَتَقَدَّمْتُ فَكَشَفَ لِي عَنْ سَبْعِينَ حِجَاباً.**

وأوصلها بعضهم إلى مائة حجاب، حيث ذكر الخواجة عبد الله الأنصاريّ في «منازل السائرين» أنّ المنازل عشرة، ثمّ قسّم كلّاً منها إلى عشرة أجزاء، فبلغت مائة منزل. وبطبيعة الحال، فإنّ هذه المنازل ⇐

....

⇐ المائة تقابل مائة اسم من أسماء الله تعالى، أحدها هو الاسم المخزون المكنون، أمّا التسعة والتسعون اسماً الأخرى فمعلومة. ولذا فقد جاء في كثير من روايات الخاصّة والعامّة أنّ للّه تعالى تسعة وتسعين اسماً.

فقد جاء في «التوحيد» و«الخصال» مُسنداً عن سليمان بن مهران، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلمّ: **إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً إلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ** ...

قال الصدوق في «الخصال» بعد عدّ هذه الأسماء واحداً بعد واحد: **وَقَدْ رَوَيْتُ هَذَا الخَبَرَ مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ.**

وروى في «التوحيد» مسنداً عن الهرويّ، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً، مَنْ دَعَا اللَهَ بِهَا اسْتَجَابَ لَهُ، وَمَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ.**

كما روى في «التوحيد» مسنداً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إلَّا وَاحِداً ـ إنَّهُ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ ـ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ.**

وورد في بعض الروايات أنّ للّه تعالى ثلاثمائة وستّين اسماً، حيث ورد في «أُصول الكافي» ج ١، ص ١١٢، مسنداً عن إبراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال:

إنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوَّتٍ، وَبِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ، ⇐

وأكثر هذه المنازل واقعة في عالَم النفس، ومن جملة مراحل ومنازل الجهاد الأكبر. ويختلف ترتيبها باختلاف الأشخاص.

⇐ وَبِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ، مَنْفِيٌّ عَنْهُ الأَقْطَارُ، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الحُدُودُ، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُورٍ؛ فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعاً، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الآخَرِ؛ فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ لِفَاقَةِ الخَلْقِ إلَيْهَا، وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً، وَهُوَ الاسْمُ المَكْنُونُ المَخْزُونُ. فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ. فَالظَّاهِرُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَسَخَّرَ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ اسْمٍ مِنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ أَرْبَعَةَ أَرْكَانٍ، فَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ رُكْناً. ثُمَّ خَلَقَ لِكُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا ثَلَاثِينَ اسْماً فِعْلاً مَنْسُوباً إلَيْهَا، فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ ... إلى أن قال: فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ وَمَا كَانَ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى حَتَّى تَتِمَّ ثَلَاثمِائَةٍ وَسِتِّينَ اسْماً، فَهِيَ نِسْبَةٌ لِهَذِهِ الأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ ... وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ». (الآية ١١٠، من السورة ١٧: الإسراء).

وقال بعضهم بأنّ الحُجب ألف حِجاب، مقابل أسماء الله تعالى الألف. وصرّح بعضهم بأنّها سبعون ألفاً؛ حيث روي في «بحار الأنوار» ج ٦، ص ٣٩٥، نقلاً عن «كشف اليقين»، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

وَوَصَلْتُ إلَى حُجُبِ رَبِّي دَخَلْتُ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ، بَيْنَ كُلِّ حِجَابٍ إلَى حِجَابٍ مِنْ حُجُبِ العِزَّةِ وَالقُدْرَةِ وَالبَهَاءِ وَالكَرَامَةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ وَالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَالوَقَارِ وَالكَمَالِ، حَتَّى وَصَلْتُ إلَى حِجَابِ الجَلَالِ.

وطيّ جميع مراحل النفس من الضروريّات، لأنّ إيمان النفس سينقص بقدر النقصان الحاصل في تلك المراحل. فلا يليق ـ والحال هذه ـ أن نذكر بعضها، بل يكفي ـ في هذا المجال ـ أمر السالك بالجهاد الأكبر عند ذكر هذه العقبات والمنازل.

وحقيقة السلوك ومفتاحه هو تسخير البدن والنفس تحت راية الإيمان الذي يبيّن أحكامه فقه الجوارح وفقه النفس. ثمّ يأتي دور إفناء النفس والروح تحت راية الكبرياء الإلهيّ؛ وجميع العقبات والمنازل مندرجة في هذه المراحل.

بَيدَ أنّ سلوك هذه المراحل، وطيّ هذا الطريق، والسفر في هذه العوالم موقوف على أُمور يتعذّر من دونها بلوغ المنزل المقصود، بل يتعذّر مجرّد السير في هذا الطريق. ولذلك فإنّ الوصول إلى المقصد وحصول المطلب منوط بهذه الأُمور المذكورة، وبلوغ المنزل مشروط بملازمتها.

وليس من مجال ـ في هذا المقام ـ لذكر عدد منازل الطريق، ولا لعقبات النفس وأخطار هذا السفر؛ فإن اقتضى الأمر التعرّض لذكرها، فإنّ ذِكر أحوال الجوارح والأعضاء ـ وهو فقه البدن ـ سيكون ضروريّاً بدوره، لأنّها أيضاً من منازل السفر.

فالمهمّ إذاً أن نذكر الأُمور التي يمكن بواسطتها طيّ هذا

الطريق الخطر، والبلوغ بالطالب إلى مقصده.

وتفصيل هذه الأمور: أنّ الطالب إذا وصل بعد الفحص والنظر إلى الإسلام والإيمان الأصغرَين، فإنّ أوّل ما يلزمه هو تحصيل العِلم بأحكام الإيمان بالطريق الذي مرّ ذِكره. ويدلّ عليه قول: **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.**[105]

١٠٥ـ اعلم أنّ رواية «طلبُ العِلم فَريضةٌ على كُلِّ مُسلم» من الروايات المشهورة والمستفيضة. أمّا الرواية التي وردت بعطف لفظة «مسلمة» على لفظة «مسلم»، فلم ترد إلّا في موارد معدودة فقط في روايات مرفوعة.

أوّلها: في «مصباح الشريعة»، حيث وردت في موضعَين، أحدهما في الباب الثالث، قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.** وهو علم النفس. والثاني في الباب الثاني والستّين، قال: **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**، أي: عِلم التقوى واليقين.

الثاني: في مقدّمة كتاب «معالم الأصول»، حيث يروي عن الكلينيّ، إلّا أنّ من غير المعلوم أنّه كان بخطّ صاحب «المعالم» أو من إضافات النسّاخ. ذلك أنّ رواية «الكافي» لا تتضمّن لفظ «مسلمة».

الثالث: في «المحجّة البيضاء» ج ١، ص ٤، عن الغزّاليّ، مع أنّ «إحياء العلوم» ج ١، ص ٣، خالٍ من هذا اللفظ.

الرابع: رواية في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٥٧، نقلاً عن «غوالي اللئالي» قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: **طَلَبُ العِلْمِ** ⇦

....

⇐ **فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.**

والخامس: في مقدّمة تفسير «مجمع البيان» ص ١، قال: وقد صحّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ما رواه لنا الثقات بالأسانيد الصحيحة مرفوعاً إلى إمام الهدى وكَهفِ الورى أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه سيّدٍ عن سيّد، وإمامٍ عن إمام، إلى أن اتّصل به عليه وآله السلام، أنّه قال: **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، فَاطْلُبُوا العِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ** ـ الحديث.

وأمّا الطرق الأخرى لهذه الرواية، فخالية من لفظة «مسلمة»؛ حيث روى في نفس المجلد من كتاب «البحار» ص ٥٥، عن «أمالي الشيخ»، بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَاطْلُبُوا العِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ**... الحديث.

وظاهراً أنّ متن هذه الرواية هو متن الرواية التي نقلناها عن تفسير «مجمع البيان»، إلّا أنّها وردت هنا بعطف لفظة «مسلمة»، بينما خلت في الأولى منها.

وروى في ص ٥٦، عن «أمالي الشيخ» بسنده عن المجاشعيّ، عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **العَالِمُ بَيْنَ الجُهَّالِ كَالحَيِّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ**... إلى أن قال: **وَإنَّ طَلَبَ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.**

كما روى في نفس الصفحة عن «بصائر الدرجات»، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. أَلَا إنَّ اللهَ يُحِبُّ بُغَاةَ العِلْمِ.** ⇐

فمَن لم يكن له هذا العِلم، لم يزده جهادُه إلّا هزيمة وخُسراً. كما قال أبو عبد الله عليه السلام: **العَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَزْدَدْهُ السَّيْرُ إلَّا بُعْداً.** [106]

⇐ وروى في نفس الصفحة عن «بصائر الدرجات» أيضاً، عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.**

وروى في ص ١٤، عن «روضة الواعظين»، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **الشَّاخِصُ فِي طَلَبِ العِلْمِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. إنَّ طَلَبَ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ...**.

وروى في ص ٥١، عن «روضة الواعظين» عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: **اطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ، فَإنَّ طَلَبَ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.**

وعلى أيّة حال، فإنّ هذه الروايات قد خلت من لفظة «مسلمة»، إلّا أن من المسلّم أنّ المراد بها يشمل النساء المسلمات أيضاً، فقد ورد لفظ «مسلم» للجنس مقابل الكافر، وليس المراد به الرجل المسلم مقابل المرأة المسلمة. وبطبيعة الحال فإنّ مثل هذا النوع من التعبير الذي يُراد به الجنس لا يُقصَد به خصوص المذكّر، وقد ورد لذلك نظائر وأشباه في أحكام الشريعة أُريد بها الجنس، مثل قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.** أو قوله: **المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ** التي يراد بها جميع أفراد جنس المسلمين والمهاجرين، دون أن يكون للمذكّر أو المؤنّث دخلاً في ذلك.

١٠٦ـ ورد هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج ١، ص ٦٤، نقلاً عن ⇐

وكلّما كان هذا العِلم أوضح، كان أثره أكبر وأسرع. فيكون أخذ تلك الأحكام عن النبيّ أو الوصيّ ـ عند الإمكان ـ أشرف. كما أنّ استخراجها من كلامهما أفضل من التقليد. ويندرج في هذا العِلم العلم المجمل بالضروريّات، الذي هو من علوم أهل السلوك. أمّا ما خرج منه فيُعلِم في عِلم النفس. ويلزمه تحصيل مأخذ العِلم. ولا يلزم ـ في بداية الأمر ـ فاعليّة جميعها، بل يجب أن تُظهر تدريجيّاً عند الضرورة. وهذه هي مقدّمات السلوك، والطالب ـ حتّى الآن ـ ليس في مقام السير والحركة.

⇐ «الأمالي» للصدوق، عن طلحة بن زيد؛ كما نقله عن «المحاسن». ونقله في ص ٦٥ عن «المجالس» للمفيد بإسناده عن موسى بن بكر، عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام قال: **العَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى السَّرَابِ بِقِيعَةٍ، لَا يَزِيدُ سُرْعَةُ سَيْرِهِ إلَّا بُعْداً.**

ونقل في نفس الصفحة عن «نهج البلاغة» أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد كلام له: **فَإنَّ العَامِلَ بِغَيْرِ عِلْم كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ. وَالعَامِلُ بِالعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟**

ونقل في نفس الصفحة عن «المحاسن» للبرقيّ، عن ابن فضّال، عمّن رواه عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ مَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ.**

فإن أتمّ الطالب هذه المرحلة، فعليه أن يبدأ سفره مستعيناً بالعناية الربّانيّة.[107]

١٠٧ـ اعلم أنّ أساطين المعرفة من العرفاء الشامخين قد قسّموا الأسفار الإلهيّة إلى أربعة أسفار. فقد قال المولى صدرا الشيرازيّ قدّس سرّه في أوّل كتاب «الأسفار» ج ١، ص ١٣:

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلسُّلَّاكِ مِنَ العُرَفَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ أَسْفَاراً أَرْبَعَةً:
أَحَدُهَا: السَّفَرُ مِنَ الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ.
وَثَانِيهَا: السَّفَرُ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ.
وَالسَّفَرُ الثَّالِثُ: يُقَابِلُ الأَوَّلَ لِأَنَّهُ مِنَ الحَقِّ إِلَى الخَلْقِ بِالحَقِّ.
وَالرَّابِعُ: يُقَابِلُ الثَّانِي مِنْ وَجْهٍ، لِأَنَّهُ بِالحَقِّ فِي الخَلْقِ.

ونظراً لأنّ العِشق والسُّكر ينحصران في السفر الأوّل، وأنّ بقيّة الأسفار تخلو من الحماس والهيجان، بل في بعض مراحلها الطمأنينة والسكينة، فإنّ شعر الخواجة حافظ:

نگويمت كه همه ساله مى پرستى كن
سه ماه مى خور ونه ماه پارسا مى باش

يقول: «لم أقُل لك أن تعبد الخمرة طوال السنة، بل قلت: اقرع الكأس ثلاثة أشهر وكُن تقيّاً في التسعة الباقية».

عائد إلى السفر الأوّل، وليس إلى الثلاثة الباقية.

وللمرحوم الحاجّ السبزواريّ قدّس سرّه كلام في هذه الأسفار الأربعة ذكره في حاشيته على «الأسفار» ج ١، ص ١٨، نورد خلاصته هنا:

قالَ الشيخُ المحقّق كمال الدين عبد الرزّاق الكاشيّ قدّس سرّه: السَّفر هو توجّه القلب إلى الحقّ تعالى، والأسفار أربعة: ⇦

. . . .

⇐ **الأوّل : هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأُفق المبين ، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجلّيات الأسمائيّة .**

الثاني : هو السير في الله بالاتّصال بصفاته والتحقّق بأسمائه إلى الأُفق الأعلى ونهاية الحضرة الواحديّة .

الثالث : هو الترقّي إلى عين الجمع والحضرة الأحديّة ، وهو مقام قاب قوسَين ما بقيت الاثنينيّة ، فإذا ارتفع فهو مقام «أو أدنى» ، وهو نهاية الولاية .

الرابع : السير بالله عن الله للتكميل ، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع .

ثمّ يذكر المرحوم السبزواريّ قدّس سرّه توضيحات لمرتبة الأحديّة والواحديّة ومعنى القلب والروح ، ومعنى العوالم السبعة لدى العرفاء ، حيث فسّرها بمقام الطبع والنفس والقلب والروح والسرّ والخفيّ والأخفى .

وقسّم في حاشية ص ٢١ ، من الجزء الأوّل من «الأسفار» مقام الفناء في الله إلى مراتب ، وذكر تسلسلها : المحو والطَّمْس والمَحْق . ثمّ قال : **المَحْوُ فناء أفعال العبد في فِعل الحقّ تعالى ، والطَّمس فناء صفاته في صفته ، والمَحْق فناء وجوده في وجوده** . بَيدَ أنّ المرحوم أقا محمّد رضا القمشئيّ ذكر بياناً في كيفيّة مراتب الفناء بترتيب آخر ، فقد ذكر في حاشيته على «الأسفار» ، ج ١ ، ص ١٣ ، فما بعد كلاماً هذا إجماله :

السفر الأوّل (وهو من الخلق إلى الحقّ) برفع الحُجب الظلمانيّة والنورانيّة ، حيث إنّ الحُجب الظلمانيّة متعلّقة بالنفس ، أمّا الحجب النورانيّة فمتعلّقة بالقلب والروح . ويجب على السالك أن يعبر الأنوار ⇐

....

⇐ القلبيّة والأضواء الروحيّة، وأن يتحرّك من مقام النفس إلى القلب، ومن القلب إلى الروح، ومن الروح إلى المقصد الأقصى. فالعوالم بين السالك والحقيقة هي -إذاً- ثلاثة عوالم، وجميع الحجب التي ورد ذِكرها في الأخبار أو على لسان الأعلام تتعلّق بأجمعها بهذه الحُجب الثلاثة.

وحين تُزاح هذه الحُجب الثلاثة، وتُطوى هذه العوالم الثلاثة، يعني النفس والقلب والروح، فإنّ السالك سيصل إلى معرفة جمال الحقّ، ويفنى في ذات الحقّ. ولذا يدعى هذا المقام بمقام الفناء في الذات. وهنا مقامات ثلاثة: السرّ، والخفيّ، والأخفى؛ وتقع في السفر الثاني. ويُعبّر عن مقام الروح أحياناً بالعقل. ونظراً إلى تفصيل شهود المعقولات، فإنّهم عدّوا مقام العقل غير مقام الروح. ولذا يصبح مجموع المقامات في السفرَين الأوّل والثاني سبعة مقامات: مقام النفس، مقام القلب، مقام العقل، مقام الروح، مقام السرّ، مقام الخفيّ، مقام الأخفى.

وهذه المقامات السبعة هي مراتب الولاء وبلاد العشق التي ذكرها المولويّ في قوله:

هفت شهر عشق را عطّار گشت

ما هنوز اندر خم يک کوچه ايم

يقول: «لقد طاف «العطّار» بلاد العشق السبعة، وما برحنا في منعطف الزقاق الأوّل».

فإذا عبر السالك من مقام الروح وتجلّى أمامه جمال الحقّ وأفنى نفسه في ذات الحقّ، تمّ سفره الأوّل وأضحى وجوده حقّانيّاً، وطرأ عليه المحو، وبلغ مقام الولاية. ثمّ إنّه يشرع في السفر الثاني من موقف الذات (وهو مقام السرّ)، فيسير الكمالات الواحد تلو الآخر، حتّى ⇐

....

⇐ يشاهد جميع كمالات الحقّ ويشاهد نفسه فانياً في جميع الأسماء والصفات، فبِه يَسمع وبِه يُبصر وبِه يَمشي وبه يَبطِش.

والسرّ هو مقام الفناء في الذات، والخفيّ ـ وهو أعلى منه ـ مقام الفناء في الصفات والأسماء والأفعال، ومقام الأخفى هو مقام الفناء عن فنائَي الذات والصفة، وهو نهاية السفر الثاني.

وإن شئت قلت: السرّ فناء ذاته، وهو منتهى السفر الأوّل ومبدأ السفر الثاني. والخفاء هو الفناء في الأُلوهيّة. والأخفى هو الفناء عن الفناءين، فيتمّ دائرة الولاية وينتهي السفر الثاني وينقطع فناؤه ويأخذ في السفر الثالث.

فالسفر الأوّل ـ إذاً ـ هو العبور من عالم الناسوت والملكوت والجبروت، والسفر الثاني هو العبور من عالم اللاهوت. أمّا السفر الثالث (وهو السفر من الحقّ إلى الخلق) فأعلى من السفر الثاني، أي أنّ السُّكر والمحو سيزولان، فيسير السالك ـ مع وجود الفناء في الحقّ والفناء في صفات الحقّ والفناء عن الفناء ـ في مقام أفعال السلوك، ويصبح ـ مع الصحو التامّ ـ باقياً ببقاء الحقّ، ويشاهد جميع عوالم الجبروت والملكوت والناسوت بأعيانها ولوازمها، ويُخبر عن معارف الذات والصفات والأفعال.

وقد ذكر المرحوم الحكيم العلّامة الميرزا حسن النوريّ نجل الحكيم المتألّه المولى علي النوريّ في حاشيته على «الأسفار» ج ١، ص ١٦ و١٧، كلاماً يُلقي ـ مع بساطته ـ أضواء على كيفيّة الأسفار الأربعة، وهو كلام يمكن فهمه من قبل العامّة، وإجماله ما يلي:

أنّ الإنسان ما لم يخطو في مسيرة السلوك العلميّ والنظريّ، فإنّه ⇐

....

⇐ ـ على الدوام ـ سيشاهد الكثرة ويغفل عن مشاهدة الوحدة، فتكون الكثرة حاجباً عن الوحدة.

فإن هو سار في السلوك العلميّ، وتحرّك من الآثار باحثاً عن المؤثّر، ومن الموجودات مفتّشاً عن الصانع، فإنّ الكثرات ستضمحلّ شيئاً فشيئاً وتتبدّل بالوحدة الصرفة الحقّة الحقيقيّة، بحيث إنّه لن يشاهد الكثرة أبداً ولا ينظر أعيان الموجودات، ولا يرى شيئاً غير الوحدة، فتكون الوحدة آنذاك حجاباً عن الكثرة، ويستغرق السالك في مشاهدتها عن مشاهدة الكثرة.

ومنزلة هذا المنزل في السلوك الحالي بمنزلة السفر الأوّل للسالك العارف، الذي ذكره المولى صدرا في كتابه. وهو السفر من الخلق إلى الحقّ؛ أي: من الكثرة إلى الوحدة.

وحين يصل إلى عالم الوحدة ويُحجب عن مشاهدة الكثرة، فإنّه يستدلّ بذات الحقّ بالسلوك العلميّ في أوصاف الحقّ وأسمائه وأفعاله مرتبةً بعد مرتبة؛ وهذه المرتبة بمنزلة السفر الثاني في السلوك الحالي، وهو السفر في الحقّ بالحقّ.

أمّا في الحقّ، فلكَون هذا السفر في صفات الحقّ وأسمائه وخواصّه. وأمّا كونه بالحقّ، فلأنّ السالك حينئذٍ متحقّق بحقيقة الحقّ، وخارجٌ عن إنّيّته وإنّيّة جميع الكثرات والأعيان، فانٍ في ذاته وصفاته وأسمائه.

ويحصل كثيراً في هذا المقام أن ينشرح صدر السالك وتنحلّ عقدة لسانه، فيرى الوحدة في الكثرة، والكثرةَ في الوحدة، دون أن يحجب أحدهما الآخر، ويكون السالك جامعاً لكلا النشأتَين، وبرزخاً بين ⇐

....

⇐ المقامَين، ويكون له آنذاك قابليّة تعليم الناقصين، ويصبح مرشداً لضعفاء العقول والنفوس.

ومنزلة هذه المرتبة من السلوك الحالي والعمليّ بمنزلة السفر الثالث، وهو السفر من الحقّ إلى الخلق بالحقّ. وهناك مرحلة أُخرى أرقى من هذه المرحلة وأدقّ وأكمل وأتقن منها، وهي الاستدلال بوجود الحقّ على الحقّ ووجود غير الحقّ، بحيث تنتفي الواسطة في البرهان بين وجوده ووجود سواه. ويُدعى هذا البرهان ببرهان «اللِّمّ» وطريقة «الصدّيقين». وهذه المرتبة بمنزلة السفر الرابع، وهو السفر في الخلق بالحقّ.

وكما هو ملاحظ، فإنّه قد قام بعملية تنظير بين الترقّيات العِلميّة والنظريّة في الحكمة الإلهيّة وبين السير وتكامل المقامات العرفانيّة العمليّة، وشبّه مراتب السلوك العمليّ لأُصحاب المعرفة بمراتب الاستدلالات البرهانيّة على وجود الحقّ جلّ وعزّ.

وأغلب حالات بكاء السالكين وتضرّعهم وانقلاب أحوالهم تحصل خلال السير الأوّل بسبب جذبهم بالجذبات الإلهيّة التي تجذبهم إلى حريم القُدس الإلهيّ.

أمّا السفر الثاني فيتمحّض السالك في مشاهدة جمال الأحديّة في مظاهر عالم الإمكان.

ولعلّ ما أنشده الحاجّ المولى هادي السبزواريّ قدّس سرّه ـ كما في «لغت نامه دهخدا» (= معجم دهخدا) ج «س»، ص ٢٣٧ ـ عائد إلى هذا المقام: ⇐

....

⇦ شورش عشق تو در هيچ سرى نيست كه نيست
منظر روى تو زيب نظرى نيست كه نيست
ز فغانم ز فراق رخ وزلفت به فغان
سگ كويت همه شب تا سحرى نيست كه نيست
نه همين از غم او سينهٔ ما صد چاک است
داغ او لاله صفت بر جگرى نيست كه نيست
موسئى نيست كه دعوىّ أنَا الْحقّ شنود
ور نه اين زمزمه اندر شجرى نيست كه نيست
چشم ما ديدهٔ خفّاش بود ور نه ترا
پرتو حسن به ديوار ودرى نيست كه نيست*

ولعلّ الفقرات التي رواها السيّد الأجلّ عليّ بن طاووس في كتاب «الإقبال» عن سيّد الشهداء عليه السلام، ذيل دعائه عليه السلام يوم عرفة في مناجاته للحضرة الأحديّة، عائداً لبعض مقامات السفرين الثالث والرابع، ومن جملته:

إلَهِي ! إنَّ اخْتِلَافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ طَوَاءِ مَقَادِيرِكَ مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إلَى عَطَاءٍ، وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلَاءٍ... .

كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ ؟ أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرُ لَكَ ؟ مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ ؟ وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إلَيْكَ ؟ عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ يَنَلْ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً. ⇦

ويناط القيام بهذا السفر بأُمور كثيرة، وأهمّها عدّة أُمور:

الأوّل: ترك العادات.

وترك الآداب والأُمور المتعارفة التي تعرقل السفر، وتصبح عائقاً في الطريق إلى الله تعالى.

بِالقَادِسِيَّةِ فِتْيَةٌ لَا يَحْسَبُونَ العَارَ عَاراً
لَا مُسْلِمُونَ وَلَا يَهُودَ وَلَا مَجُوسَ وَلَا نَصَارَى

حيث تصرّح بذلك الآية الكريمة **وَلَا يَخَافُونَ [فِي اللَهِ] لَوْمَةَ لَآئِمٍ** [الآية ٥٤، من السورة ٥: المائدة].

فعلى الطالب أن يكفّ عن تقليد العادات وينظر إلى ما فيه صلاح نفسه، وأن يعدّ اجتناب ملامة أهل عالَم القُدس أولى من

⇦ * ـ يقول: «ليس مِن رأسٍ إلّا وفيه هيجان عشقك، وليس مِن نظر إلّا ويزدان بمنظرك الجميل.

لم تمرّ ليلة إلّا وأنّت كلابُ دربك إلى السَّحَر من آهاتي الحرّى لفراق طلعتك وطُرّة شعرك.

ألا ترى صدري قد تصدّع من غمّ الحبيب مئات المرّات، إذ ليس من كَبِدٍ إلّا وأضحت من حرقته كشقائق النعمان.

ليس هناك موسى ليسمع نداء «أنا الحقّ»، إذ ليس من شجرة إلّا وتحتها زمزمة بهذا النداء.

لو لم تكن أعيننا كأعين الخفّاش، لشاهدت حُسنه الذي لا يخلو منه شيء».

اجتناب ملامة أبناء الدهر. ويمثّل هذا التوبة التي هي بداية مرحلة الجهاد الأكبر. أمّا التوبة عن المعاصي والذنوب، فهي من فرائض فقه إيمان الجوارح، وهي ممّا يلزم السالك والمجاهد وغير المجاهد.

الثاني: العزم.

وينبغي أن يكون راسخاً في عزمه، بحيث لا يحتمل رجوعه من مقارعة السيف والسّنان ومقاتلة الأبطال والشجعان، وتحمّل الشدائد، واحتمال المخاوف.

الثالث: الرفق والمداراة.

لأنّ النفس تنكسر إذا حُمّلت فوق طاقتها وتنزجر عن السفر، كما ورد في رواية عبد العزيز المتقدّمة، وجاء في رواية عبد الملك ابن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **العِلْمُ خَلِيلُ المُؤْمِنِ، وَالحِلْمُ وَزِيرُهُ، وَالرِّفْقُ أَخُوهُ.**[108]

108ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٤٧، ولفظه: **إنَّ العِلْمَ خَلِيلُ المُؤْمِنِ، وَالحِلْمُ وَزِيرُهُ، وَالعَقْلُ أَمِيرُ جُنُودِهِ، وَالرِّفْقُ أَخُوهُ، وَالبِرُّ وَالِدُهُ.**

وورد في «بحار الأنوار» ج ١٧، ص ١٨٤، عن «تحف العقول»، أنّ الصادق عليه السلام قال: **إنَّ العِلْمَ خَلِيلُ المُؤْمِنِ، وَالحِلْمُ وَزِيرُهُ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ، وَالرِّفْقُ أَخُوهُ، وَاللِّينُ وَالِدُهُ.** («تحف العقول» ⇐

وقال أبو جعفر عليه السلام : **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ.** [١٠٩]

⇦ ص ٣٦١).

وجاء في «تحف العقول» ص ٥٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وفي «البحار» ج ١٧، ص ١١١، عن أمير المؤمنين عليه السلام بأدنى اختلاف في اللفظ.

١٠٩ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٨٧؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب الأخلاق)، ص ١٧٣، عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

يَا عَلِيُّ ! إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ «فَـ»إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا ظَهْراً أَبْقَى وَلَا أَرْضاً قَطَعَ. فَاعْمَلْ عَمَلَ مَنْ يَرْجُو أَنْ يَمُوتَ هَرَماً، وَاحْذَرْ حَذَرَ مَنْ يَتَخَوَّفُ أَنْ يَمُوتَ غَداً.

ونُقل في «سفينة البحار» ج ٢، ص ١١٣، مادّة «عَبَدَ»، حديث شريف آخر عنه (أي عن أبي جعفر عليه السلام)، عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُكَرِّهُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، فَتَكُونُوا كَالرَّاكِبِ الْمُنْبَتِّ الَّذِي لَا سَفَراً قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أَبْقَى.

ثمّ قال (المحدّث القمّيّ):

بيان: الإيغال: السير الشديد. يريد صلّى الله عليه وآله وسلّم: سِرْ فيه بِرِفق. ويُحتمَل أن يكون الإيغال هنا مُتعدّياً، أي أدخِلوا الناسَ برفقٍ. فإنّ الوُغولَ الدُّخول في الشيء. والمُنْبَتّ: الذي انقطع به في سفره وعَطِبَت راحلتُه، من البَتّ وهو القطع. انتهى موضع الحاجة. ⇦

وجاء في حديث حَفص بن البَختري : **لَا تُكَرِّهُوا إلَى أَنْفُسِكُمُ العِبَادَةَ**.[110]

الرابع : الوفاء.

الخامس : الثبات والمداومة.

إذ إنّ العمل القليل المستمرّ ـ في كلّ مقام حاصل ـ أفضل من العمل الكثير غير المستمرّ ؛ حيث جاء في حديث أبي جعفر عليه السلام في رواية زرارة : **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إلَى اللَهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ العَبْدُ وَإنْ قَلَّ**.[111]

⇐ وأصل هذا الحديث مرويّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٨٦؛ وروي في «بحار الأنوار» ج ١٥، (كتاب الأخلاق)، ص ١٧٢، نقلاً عن كتاب «الكافي».

وروى السيّد الرضيّ رحمه الله في «المجازات النبويّة» ص ١٧٤ قال :

إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ، فَإنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى.

١١٠ـ روي هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٨٦، بسنده المتّصل عن حفص بن البَختري، عن الصادق عليه السلام ؛ وورد في «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب الأخلاق)، ص ١٧٣، نقلاً عن «الكافي».

١١١ـ وردت هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب الأخلاق)، ص ١٧٤، نقلاً عن «الكافي»، بسنده عن عليّ، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة. («الكافي» ج ٢، ص ٨٢). ⇐

والمراد من الثبات هو أن يثبت على كلّ ما عقد عليه العزم ووفى به ، ففي نكوصه عنه خوف الخطر ، لأنّ حقيقة العمل تتصدّى للمخاصمة بعد ترك ذلك العمل .

فإذا لم يجزم على الوفاء والثبات على عملٍ ما ، فعليه أن لا يعزم على القيام به .

ومن هنا فقد أُمِر بالرفق ، من أجل أن يطوّع بدنه ونفسه تدريجيّاً ، ليمكنها الثبات على الأمر إذا كان فوق ما تزاوله فعلاً . وما دام السالك لم يجزم بعدُ على الثبات في مرحلةٍ ما ، فلا يعزم على السير فيها ، وليتوقّف في المرحلة التي تسبقها . وهذا التوقّف لتحصيل المقام في الحال الأوّل ممّا يعتبره أصحاب السلوك بمثابة قصد الإقامة في ذلك المنزل ، كما أنّ الثبات المذكور يُعدّ من درجات الصبر .

⇐ ورواها في «فروع الكافي» ج ٣، ص ٢٧٤ ، عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن حمّاد ، عن حريز . ووردت في «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب الأخلاق) ، ص ١٧٣ ، عن «السرائر» ، عن حريز ، عن زرارة ، بهذا الطريق ، قال :

قال أبو جعفر عليه السلام : **اعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الوَقْتِ أَبَداً أَفْضَلُ . فَعَجِّلْ بَالخَيْرِ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ العَبْدُ وَإنْ قَلَّ .**

السادس : المراقبة .

وهو عبارة عن تحصيل الالتفات والتوجّه في جميع الأحوال ، لكي لا يتخلّف عمّا عزم عليه وعاهد على القيام به .

وهناك مراقبتان أُخريان سيُشار إليهما .

السابع : المحاسبة .

فقد أُمِر بها في حديث : **حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا .** [112]

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ .** [113]

١١٢ـ ورد هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج ١٥ (في الأخلاق) ، ص ٤٠ ، عن «المجالس» للشيخ المفيد ، وعن «الأمالي» للشيخ الطوسيّ رضوان الله عليه ، بإسناده المتّصل عن حفص ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، فَإنَّ فِي القِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً ، كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامُ أَلْفِ سَنَةٍ . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ «فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ»** .

كما ورد هذا الحديث في «الأمالي» للشيخ ، ج ١ ، ص ٣٤ و١٠٩ .

١١٣ـ ورد هذا الحديث في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، بإسناده المتّصل عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَإنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزَادَ اللَهَ ، وَإنْ عَمِلَ سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللَهَ مِنْهُ وَتَابَ إلَيْهِ .** ⇦

وهي عبارة عن تخصيص وقتٍ معيّن من يومه لمحاسبة نفسه ، فينظر إلى ما عزم على فعله مع سائر الأحكام اللازمة ، أخانه عامله (أي بدنه أو نفسه) في تنفيذه أم لا ؟

الثامن : المؤاخذة.

وهي عبارة عن التزامه بالتأديب والعقوبة عند ظهور الخيانة ، سواء بالعتاب والخطاب ، بل بالزجر والضرب والتعذيب . وقد أُثر عن أحد الأكابر أنّه كان يضع عند مصلّاه سوطاً ، فإن تبيّن له بعد محاسبة نفسه أنّها خانته ، فإنّه كان يؤدّب نفسه بذلك السوط . ونقل عن آخر أنّه مرّ يوماً فرأى عمارة جديدة في الطريق ، فسأل : متى بُنيت ؟ ثمّ عاد إلى نفسه فعاقبها على هذا اللغو بأن حرمها من الارتواء من الماء سنة . واعتذر شخص في زمن عيسى عليه السلام لأنّ نفسه شكت الحرّ يوماً ، فعاقبها بالعبادة أربعين عاماً .

⇐ ونظراً لأنّ هذا الحديث هو فقرة من وصيّة للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أوصاها إلى هشام بن الحكم ، وهي وصيّة مفصّلة ؛ لذا فقد وردت هذه الفقرة في «تحف العقول» ص ٣٨٣ ؛ و«بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٤٣ ، نقلاً عن «تحف العقول» ضمن تلك الوصيّة . أمّا عن وجوب محاسبة النفس ، فيدلّ عليه صريح الآية القرآنيّة : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** . (الآية ١٨ ، من السورة ٥٩ : الحشر) .

فإن كانت الخيانة الصادرة ذات عقوبة مقرّرة في الشريعة ، فإنّ على السالك أن يُهرع لإيقاع تلك العقوبة بنفسه .

التاسع : المسارعة.

وتعني الإسراع إلى تنفيذ ما عقد عليه العزم بمقتضى **وَسَارِعُوا** ، قبل أن يجد الشيطان مجالاً للوسوسة والمماطلة .

العاشر : الإرادة.

وهي عبارة عن إخلاصه باطنَه عن تعلّق الخاطر ، وأن يكون له تجاه مقنّن قوانين الأعمال وصاحب الشريعة (التي ينتهجها) وخلفائه ، بحيث يكون له تجاههم كمال الإخلاص والمحبّة ، بعيداً عن أيّة شائبة أو غشّ . وينبغي أن يصل ذلك عنده إلى حدّ الكمال ، لأنّ لهذه المرحلة دخلاً كبيراً في تأثير الأعمال ، ويدلّ على هذا المطلب ما ورد من ردّ الأعمال بدون ولاية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بل هو من أعظم الدلالات . وتحصيل هذه المحبّة هي أحد المنازل ، ويحتاج طيّها إلى حركة سنتطرّق إلى ذكرها لاحقاً .

ومن كمال هذه الإرادة الإخلاص والمحبّة لذرّيّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن ينتسب إليهم ، وتعظيم شعائرهم ، وهي مشاهدهم وقبورهم والكتب الجامعة لكلامهم الشريف .

أجل :

أَذِلُّ لِآلِ لَيْلَى فِـي هَـوَاهَـا وَأَحْتَمِلُ الأَصَاغِرَ وَالكِبَارَا

ونظراً لأنّ أساس هذه القوانين والقواعد إنّما هي من قِبل الله تعالى ، توجّب ملازمة آثار المحبّة والشفقة والعطف على جميع المنسوبين إلى الله تعالى (أي على جميع المخلوقات) ، من الحيوان وغيره ، كلٌّ بحسبه ، تبعاً للحديث الدالّ على أنّ أعظم شعب الإيمان **هُوَ الشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللّهِ** الذي يشير إليه .

أُحِبُّ بِحُبِّهَا تَلَعَاتِ نَجْدٍ وَمَا شَغَفِي بِهَا لَوْلَا هَوَاهَا

وينبغي إظهار لوازم الخلوص والشفقة على هؤلاء ، لأنّ لذلك التأثير الكبير في حصول الخلوص الباطنيّ ، وكذلك الأمر تجاه الأُستاذ والشيخ والمفتيّن الذين يفتون السالك .[114]

١١٤ـ الظاهر أنّ المراد بالشيخ هو الأُستاذ العامّ ، والعطف هنا عطف تفسير . والمفتون هم فقهاء الشريعة .

أو أن المراد بالشيخ مَن أوكل إليه الأُستاذ العامّ أمر تربية السالك ، حيث إنّ من المتداول أن يرجع الطالب إلى الأُستاذ العامّ لهديه في سلوك الطريق إلى الله تعالى ، فيوكل الأُستاذ العامّ أمر تربيته في الأُمور الابتدائيّة إلى أحد تلامذته ، وبعد تربية هذا الطالب وظهور قابليّاته يُكمل طيّ الطريق على يد الأُستاذ العامّ .

نُقل أنّ المرحوم الحاجّ الميرزا جواد الملكيّ التبريزيّ لازم جمال الأولياء والعرفاء المرحوم الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ رضوان الله عليه مدّة أربع عشرة سنة . قال المرحوم الحاجّ الميرزا ⇐

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَـارِ دِيَـارِ سَـلْمَى
أُقَبِّـلُ ذَا الجِـدَارِ وَذَا الجِـدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَـارِ شَـغَفْنَ قَلْـبِي
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا [115]

⇐ جواد: قال لي الأُستاذ يوماً: إنّ تربية الشخص الفلانيّ في عُهدتك. وكان ذلك الطالب ذا همّة عالية وسعي دؤوب بالغ، فقضى مـدّة ستّ سنوات في المراقبة والمجاهدة وأتمّ دورة مقدّمات التجرّد، واكـتسب قابليّة إفاضة مقام التجرّد. فأردتُ أن يرتدي هذه الخلعة على يد الأُستاذ، فصحبتُه معي إليه وقلت: أيّها الأُستاذ، لقد أتمّ هذا الشخص الكريم ما يُراد منه، والمطلوب أن ينال هذا الفيض على يدكم المباركة.

فأشار المرحوم الآخوند بيده المباركة إشارة وقال: التجرّد كهذا! قال ذلك الطالب: فشاهدتُ على الفور أنّي قد انفصلتُ عن بدني، وأضحيتُ أشاهد بدني ـ بكامله ـ واقفاً إلى جانبي.

١١٥ ـ وردت هذه الأشعار في «جامع الشواهد» بلفظ «ديار ليلى»، وذكر مؤلّفه أنّها للمجنون قيس بن الملوّح العامريّ.

ووردت أيضاً في ديوان المجنون قيس بن الملوّح العامريّ، طبعة طهران، ١٢٧٠. ونقلها النراقيّ في «الخزائن» ص ٢٤٧ بهذا اللفظ:

أُقَــبِّلُ أَرْضاً سَـارَ فِـيهَا جِـمَالُهَا
فَكَيْفَ بِـدَارٍ حَـلَّ فِـيهَا جَـمَالُهَا
وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِوَصْلٍ مُقَطَّعٍ
فَـهَا أَنَـا رَاضٍ لَـوْ أَتَـانِي خَـيَالُهَا

الحادي عشر: المحافظة على الأدب تجاه الباري تعالى ورسوله وخلفائه.

وهذه المرحلة تغاير مرحلة الإرادة، على الرغم من أنّهما يجتمعان أحياناً؛ وهذا الشرط من أهمّ الشرائط.

وقد تكلّم أحد الأشخاص يوماً، فكان في كلامه شائبة من إثبات قدرة للإمام عليه السلام، فهوى عليه السلام ساجداً فعفّر جبينه المقدّس بالتراب.

وخطر على لسان بعضهم كلامٌ فيه اعتراض، فعمد إلى فمه فحشاه بالرماد.

وطائفة من أرباب القلوب لم يتلوا القرآن جلوساً، بل كانوا يمسكونه بكلتا يديهم وهم مواجهو القبلة، فيتلونه في منتهى المسكنة والعجز. وكانوا إذا تُلي القرآن إمّا أن ينهضوا وقوفاً، وإمّا أن يتمسّكوا بمنتهى الأدب، شأن مَن يقف أمام السلاطين.

وكان البعض ينهضون وقوفاً تعظيماً لأسماء الله تعالى والأسماء الشريفة للرسول والأئمّة عليهم السلام.

وكان البعض يُراعي في جلوسه وسيره وتناول طعامه وسائر أحواله شؤون الأدب كما لو كان يرى الله تعالى حاضراً.

ومن جملة اللوازم مراعاة الأدب حين عرض الحاجات،

والاحتراز عن ألفاظ الأمر والنهي .

الثاني عشر : النيّة .

وهي عبارة عن إخلاص القصد للّه تعالى في السير والحركة وسائر الأعمال ، وقطع الطمع في الأغراض الدنيويّة ، بل والأُخرويّة ، بل في جميع ما يعود إلى السالك ، بل ينتهي الأمر - في أواخر الحال - إلى انتفاء النيّة ، حيث سُئل من أحد الأعلام : **مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ .**

وعلى السالك بعد هذه المرحلة أن يغضّ بصيرته عن المشاهدة وعدم المشاهدة ، وعن الوصول وعدم الوصول ، وعن العِلم وعدم العِلم ، وعن الردّ والقبول . بل شرط السلوك في المحبّة الكاملة أن ينسى المحبوب أيضاً[116] . إذ لا يزال حتّى الآن يتعامل

١١٦- المحبّة صفة ، والمحبوب موصوف ، وما دامت الصفة باقية ، فإنّ السالك لم يتخطّ بعدُ التعيّنات ، ولن يصل -من ثَمَّ- إلى مطلوبه ، وهو الفناء في الذات . ويجب في هذه المرحلة أن يزول عنوان المحبّة والمحبّ والمحبوب ، وأن تحترق الصفة وتفنى .

نُقل أنّ المرحوم القاضي رضوان الله عليه قال : إنّ أفضل الطرق وأسرعها في القضاء على الأغراض والنوايا النفسانيّة المؤثّرة في طريق السلوك إلى الله ، والتي لها حُكم الطريق المختصر ، بحيث تُنجي السالك كلّيّاً وتُخرجه من كلّ داعية وباعث غير إلهيّ ، وتخرجه في نهاية الأمر من الصفة : طريقة الإحراق ، وهي الطريقة التي علّمنا القرآن ⇐

. . . .

⇐ إيّاها. فالذي تنزل به مصيبة ـ مثلاً ـ من موت أهل أو ولد أو غير ذلك، يمكنه أن يسكّن ألمه بطرق مختلفة، كأن يقول: لعلّ أهلي وولدي سيلحقون بي الضرر مستقبلاً، أو يُتعبونني في تنفيذ طلباتهم. أو أن يقول: لقد فقد الآخرون أهليهم وأولادهم كما فقدت أهلي وولدي؛ ونظائر ذلك.

أمّا القرآن الكريم، فيقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، (الآيتان ١٥٥ و١٥٦، من السورة ٢: البقرة)، أي: أنّ كلّ شيء مِلكٌ مُطلَقٌ لِلّهِ تعالى، وأنّ الإنسان ليس من حقّه أبداً ادّعاء المِلكيّة. فالمِلك إذاً مِلك الله، وللمالك أن يتصرّف بمِلكه حيث يشاء دون اعتراض. وهذا النوع من التفكير يُريح المُصاب على الفور.

أو أنّ شخصاً ما ـ مثلاً ـ يريد امتلاك أُمور مادّيّة ومعنويّة كثيرة، لكنّه لا يقدر على نيله، وهو ـ لذلك ـ مكدّر الخاطر ومشوّشه. وحين يلجأ إلى القرآن ويرى أنّ فقره ذاتيّ، فإنّ قلقه سيزال، وسيفهم أنّه مهما أُعطي فإنّ تلك الأشياء ليست مِلكه، بل هي للّه تعالى، وأنّه سيبقى في فقره الذاتيّ.

ولو أدرك السالك في طريق السلوك أنّ الله تعالى قد جعل نفسه طمّاعة، وأنّها تطمع في كلّ مقام ومكرمة، وأنّه ما لم يتخطّ طمع نفسه ورغباتها، فإنّه لن يصل إلى المقصود. وذلك بأن يتغاضى بالمرّة عن جميع المشتهيات النفسانيّة من مقام الكرامة والدرجات، ويُخلي باطنه من جميع النوايا والرغبات، حيث يجلو ذهنه من جميع غبار الأغيار، فيتجلّى فيه جمال الحضرة الإلهيّة. ونظراً لأنّ هذا النوع من التفكّر ⇐

بالمحبّة. وتمثّل هذه المرحلة لدى السالكين قطع الطمع.[117]

الثالث عشر: الصمت.

وهو على نوعَين: عامّ ومضاف، وخاصّ ومُطلق.

والأوّل: عبارة عن حفظ اللسان عن مكالمة الناس بمّا يزيد على الضرورة، والاكتفاء في الضروريّ **بِأَقَلِّ مَا يُمْكِن**. وهذا النوع مما يجب على السالك الالتزام به في جميع أوقات السلوك، بل مطلقاً.

وما جاء في الأخبار إشارة إلى هذا النوع من الصمت. حيث قال الإمام الباقر عليه السلام في حديث أبي حمزة: **إنَّمَا شِيعَتُنَا الخُرْسُ**[118]. وقد قال أبو عبد الله عليه السلام: **الصَّمْتُ شِعَارُ**

⇦ كأنّه يحرق جميع النوايا والصفات، فقد دُعي بطريقة الإحراق.

١١٧ـ جاء في «حلية الأولياء» ص ٣٦، عن بايزيد البسطاميّ، قال: **الجَنَّةُ لَا خَطَرَ لَهَا عِنْدَ المُحِبِّينَ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ مَحْجُوبُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ**. أي: أنّ الجنّة لا أهمّيّة لها لدى المحبّين، وأنّ أهل الجنّة محجوبون عن لقاء الله تعالى بسبب محبّتهم للجنّة، حيث حجبهم عنه تعالى محبّتهم لسواه (أي: للجنّة).

١١٨ـ وردت هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ١١٣؛ و«بحار الأنوار» ج ١٥ (قسم الأخلاق)، ص ١٨٦، نقلاً عن «السرائر»؛ وفي ص ١٨٨، نقلاً عن «الكافي» بإسناده، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة.

المُحِبِّينَ[١١٩] **. وَفِيهِ رِضَا الرَّبِّ، وَهُوَ مِنْ أَخْلاقِ الأَنْبِيَاءِ وَشِعَارِ الأَصْفِيَاءِ.**

وفي حديث البزنطيّ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

١١٩ـ وردت هذه الرواية في «مصباح الشريعة» ص ٢٠؛ ونقلها المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥ (قسم الأخلاق)، ص ١٨٦، بهذه الكيفيّة: قال الصادق عليه السلام: **الصَّمْتُ شِعَارُ المُحَقِّقِينَ بِحَقَايِقِ مَا سَبَقَ وَجَفَّ القَلَمُ بِهِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ رَاحَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَفِيهِ رِضَا الرَّبِّ وَتَخْفِيفُ الحِسَابِ وَالصَّوْنُ مِنَ الخَطَايَا وَالزَّلَلِ. قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ سِتْراً عَلَى الجَاهِلِ، وَزَيْناً لَلعَالِمِ، وَمَعَهُ عَزْلُ الهَوَى، وَرِيَاضَةُ النَّفْسِ، وَحَلَاوَةُ العِبَادَةِ، وَزَوَالُ قَسْوَةِ القَلْبِ، وَالعِفَافُ، وَالمُرُوَّةُ، وَالظَّرْفُ. فَأَغْلِقْ بَابَ لِسَانِكَ عَمَّا لَكَ مِنْهُ بُدٌّ، لَا سِيَّمَا إذَا لَمْ تَجِدْ أَهْلاً لِلكَلَامِ، وَالمُسَاعِدَ فِي المُذَاكَرَةِ لِلَّهِ وَفِي اللهِ، وَكَانَ رَبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ يَضَعُ قِرْطَاساً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَكْتُبُ كُلَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِي عَشِيَّتِهِ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: آه آه نَجَا الصَّامِتُونَ وَبَقِينَا. وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ حَصَاةً فِي فَمِهِ، فَإذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا عَلِمَ أَنَّهُ لِلَّهِ وَفِي اللهِ وَلِوَجْهِ اللهِ، أَخْرَجَهَا مِنْ فَمِهِ. وَإنَّ كَثِيراً مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَتَنَفَّسُونَ تَنَفُّسَ الصُّعَدَاءِ وَيَتَكَلَّمُونَ شِبْهَ المَرْضَى. وَإنَّمَا سَبَبُ هَلَاكِ الخَلْقِ وَنَجَاتِهِمُ الكَلَامُ وَالصَّمْتُ. فَطُوبَى لِمَنْ رُزِقَ مَعْرِفَةَ عَيْبِ الكَلَامِ وَصَوَابِهِ، وَعَلِمَ الصَّمْتَ وَفَوَائِدَهُ، فَإنَّ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ وَشِعَارِ الأَصْفِيَاءِ. وَمَنْ عَلِمَ قَدْرَ الكَلَامِ أَحْسَنَ صُحْبَةَ الصَّمتَ، وَمَنْ أَشْرَفَ عَلَى مَا فِي لَطَائِفِ الصَّمْتِ وَائْتَمَنَهُ عَلَى خَزَائِنِهِ، كَانَ كَلَامُهُ وَصَمْتُهُ كُلُّهُ عِبَادَةً، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادَتِهِ إلَّا المَلِكُ الجَبَّارُ.**

الصَّمْتُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الحِكْمَةِ، وَإِنَّهُ دَلِيلُ كُلِّ خَيْرٍ... [١٢٠].

ولهذا السبب، فقد كان بعض الصحابة يضع في فمه حصاةً، ليعوّد نفسه على ملازمة الصمت. *

أمّا الثاني: فعبارة عن حفظ اللسان عن الكلام مع الناس، بل في الخارج مطلقاً، وهو من الشرائط اللازمة في الأذكار الحصريّة الكلاميّة. [١٢١]

وأمّا في الإطلاقيّات فليس ذلك ضروريّاً، ولو كان أفضل. وعند التعسّر أو التعذّر في الضروريّات، فعليه توزيع الذّكر على

١٢٠ـ روي هذا الحديث في «أُصول الكافي»، ج ٢، ص ١١٣؛ وفي «الاختصاص» ص ٢٣٢؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥ (قسم الأخلاق)، ص ١٨٤، نقلاً عن «قُرب الإسناد» و«عيون أخبار الرضا» و«الخصال» و«الكافي» ج ٢، ص ١١٣، بأدنى اختلاف في اللفظ، ونورد هنا لفظ «الكافي». قال أبو الحسن الرضا عليه السلام:

مِنْ عَلَامَاتِ الفِقْهِ الحِلْمُ وَالعِلْمُ وَالصَّمْتُ. إنَّ الصَّمْتَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الحِكْمَةِ، إنَّ الصَّمْتَ يَكْسِبُ المَحَبَّةَ، إنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ.

* ـ ورد في «مصباح الشريعة»: وكان بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم **يضع الحصاة في فمه، فإذا أراد أن يتكلّم بما عَلِم أنّه للّه وفي الله ولوجه الله، أخرجها مِن فمه.**

١٢١ـ لعلّ مراده أنّ الإنسان يكون ساكتاً في باطنه أيضاً، وأن يجتنب محادثة المَلَك ومن الالتفات إلى آماله، ويُعرض بالمرّة عن مكالمة غير الحقّ.

أوقات متقاربة ، واجتناب أربعة أشياء : مخالطة العوام ، وكثرة الكلام ، وكثرة المنام ، وكثرة الطعام .[١٢٢]

الرابع عشر : الجوع وقلّة الأكل .

وأفضله ما لم يستتبع الضعف عن السلوك ، ولم يشوّش الأحوال . وهو ـ أيضاً ـ من الشروط المهمّة . وقول الصادق عليه السلام : **الجُوعُ إدَامُ المُؤْمِنِ وَغِذَاءُ الرُّوحِ وَطَعَامُ القَلْبِ**[١٢٣] . بيانٌ

١٢٢ـ نقل أحد أساتذة الحقير أنّ المرحوم آية الحقّ الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ رضوان الله عليه كتب في رسالة له إلى السيّد علي الإيروانيّ رحمة الله عليه جواباً على رسالة الأخير:

عَلَيْكَ بِقِلَّةِ الكَلَامِ وَقِلَّةِ الطَّعَامِ وَقِلَّةِ المَنَامِ ، وَتَبْدِيلِهَا بِذِكْرِ اللَهِ المَلِكِ العَلَّامِ .

وقد جمع هذا البيت آداب السلوك هذه في بيان مختصر جميل:

صَمْت وجوع وسَهَر وعُزلت وذِكرى به دوام
نـا تـمامان جـهان را كـند ايـن پـنج تـمام

يقول : «صمت وجوع وسهر وعزلة وذكرى دائمة ، هذه الأمور الخمسة توصل إلى الكمال مَن لم يبلغه» .

١٢٣ـ وهو فقرة من حديث مرويّ نقله بتمامه المرحوم الشيخ جعفر الكشفيّ في «تحفة الملوك» في السُّدس الأخير من كتابه . والحديث هو :

مَا مِنْ شَيْءٍ أَضَرَّ لِقَلْبِ المُؤْمِنِ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ ، وَهِيَ مُورِثَةٌ شَيْئَيْنِ : قَسْوَةَ القَلْبِ وَهَيَجَانَ الشَّهْوَةِ . وَالجُوعُ إدَامُ المُؤْمِنِ وَغِذَاءٌ لِلرُّوحِ وَطَعَامٌ لِلقَلْبِ وَصِحَّةٌ لَلبَدَنِ .

⇦

لهذه المرحلة.

وأفضل أصنافه الصوم، وقد يلزم أحياناً كما سيأتي في شرائط بعض الأذكار الكلاميّة.

الخامس عشر: الخلوة.

وهي على قسمَين: خلوة عامّة، وخلوة خاصّة.

الخلوة العامّة (وتُدعى بالعُزلة)، وهي عبارة عن اعتزال غير أهل الله من الناس، سيّما النسوان والأطفال والعوامّ وأرباب العقول الضعيفة وأهل العصيان وطالبي الدنيا، إلّا بقدر الحاجة والضرورة، أمّا مجالسة أهل الطاعة فلا تتنافى مع هذه الخلوة، ولا يشترط فيها مكان خاصّ.

وما ورد في أخبار المعصومين عليهم السلام، فالمراد به هذا النوع. حيث قال أبو عبد الله عليه السلام: **صَاحِبُ العُزْلَةِ مُتَحَصِّنٌ بِحِصْنِ اللَّهِ مُتَحَرِّسٌ بِحَرَاسَتِهِ. فَيَا طُوبَى لِمَنْ تَفَرَّدَ بِهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً.** [١٢٤]

⇦ وقد ورد أصل هذا الحديث في «مصباح الشريعة»، الباب الحادي والأربعين بهذا اللفظ باختلاف يسير في اللفظ، بإسناده عن الصادق عليه السلام.

١٢٤ـ هذه فقرات منتزعة من رواية مفصّلة وردت في «مصباح الشريعة» ص ١٨؛ و«بحار الأنوار» ج ١٥ (الجزء الثاني)، ص ٥١، ⇦

وقال: فِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ وَالأَفْعَى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا دَوَاءً فَصَارُوا دَاءً ... وقال: مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا وَصِيٍّ إِلَّا وَاخْتَارَ العُزْلَةَ فِي زَمَانِهِ، إِمَّا فِي ابْتِدَائِهِ، أَوِ انْتِهَائِهِ. وقال: كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ وَالزَمُوا بُيُوتَكُمْ.[١٢٥]

⇦ نقلاً عن «مصباح الشريعة»، بإسناده عن ابن معروف، عن الصادق عليه السلام قال:

صَاحِبُ العُزْلَةِ مُتَحَصِّنٌ بِحِصْنِ اللهِ تَعَالَى، وَمُتَحَرِّسٌ بِحَرَاسَتِهِ، فَيَا طُوبَى لِمَنْ تَفَرَّدَ بِهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً. وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى عَشَرَةِ خِصَالٍ: عِلْمُ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَتَجَنُّبِ الفَقْرِ، وَاخْتِيَارُ الشِّدَّةِ، وَالزُّهْدُ، وَاغْتِنَامُ الخَلْوَةِ، وَالنَّظَرُ فِي العَوَاقِبِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ فِي العِبَادَةِ مَعَ بَذْلِ المَجْهُودِ، وَتَرْكُ العُجْبِ، وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ بِلَا غَفْلَةٍ ـ فَإِنَّ الغَفْلَةَ مُصْطَادُ الشَّيْطَانِ وَرَأْسُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَسَبَبُ كُلِّ حِجَابٍ ـ وَخَلْوَةُ البَيْتِ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الوَقْتِ. قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْزِنْ لِسَانَكَ لِعِمَارَةِ قَلْبِكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ، وَفِرَّ مِنَ الرِّيَاءِ وَفُضُولِ مَعَاشِكَ [وفي نسخة «مصباح الشريعة»: وَاسْتَحِي مِنْ رَبِّكَ]، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ وَالأَفْعَى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا دَوَاءً فَصَارُوا اليَوْمَ دَاءً، ثُمَّ الْقَ اللهَ مَتَى شِئْتَ. قال ربيعُ بن خُثيم: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ [اليَوْمَ] فِي مَوْضِعٍ لَا تَعْرِفُ وَلَا تُعْرَفُ فَافْعَلْ. وَفِي العُزْلَةِ صِيَانَةُ الجَوَارِحِ، وَفَرَاغُ القَلْبِ، وَسَلَامَةُ العَيْشِ، وَكَسْرُ سِلَاحِ الشَّيْطَانِ، وَالمُجَانَبَةُ بِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَرَاحَةُ الوَقْتِ. وَمَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا وَصِيٍّ إِلَّا وَاخْتَارَ العُزْلَةَ فِي زَمَانِهِ، إِمَّا فِي ابْتِدَائِهِ، وَإِمَّا فِي انْتِهَائِهِ.

١٢٥ـ روي حديث كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ في «أُصول الكافي» ج ٢، ⇦

وقضيّة غار حراء دالّة على هذا المطلب، والآية الكريمة: **وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا** [الآية ٧٠، من السورة ٦: الأنعام] ناطقة له. وهذه الخلوة راجحة في كلّ الأحوال.

وأمّا الخلوة الخاصّة، فإنّها ـ ولو كانت لا تخلو من فضل في جميع العبادات والأذكار ـ شرط لدى مشايخ الطريقة في طائفة من الأذكار الكلاميّة، بل في جميعها. ومراد أهل الأوراد من الخلوة: هذا النوع منها.

ويشترط فيها الوحدة والابتعاد عن محلّ الزحام والضوضاء والأصوات التي تشوّش البال، وحِلّيّة المكان وطهارته ـ حتّى السقف والجدران ـ وأن تكون على قدر سعة الذاكِر وعبادته فحسب. وقول عيسى عليه السلام: **وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ**[126] إشارةٌ إليها.

⇦ ص ٢٢٥؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥ (الجزء الرابع، وهو كتاب العشرة)، ص ١٤٠، عن «الكافي». كما روي في «وسائل الشيعة» ج ٢، كتاب «الأمر بالمعروف»، باب «تحريم إذاعة الحقّ»، ص ٥٠٧، عن أحمد بن محمّد ابن خالد البرقيّ.

١٢٦ـ ورد هذا القول عن عيسى عليه السلام ضمن رواية عن الصادق عليه السلام، وقد نقلناها في الهامش السابق نقلاً عن «مصباح الشريعة» و«بحار الأنوار».

وأفضل البيوت ما كان له باب واحد ولم يكن فيه نافذة أو كوّة. والذاكرُ مندوب أن يقول إذا دخل في البيت:

رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا.[١٢٧]

ثمّ يقول: **بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.**

ثمّ يصلّي ركعتَين، يقرأ في الأُولى بعد الحمد هذه الآية:

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا.[١٢٨]

وفي الثانية:

رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ.[١٢٩]

وعليه ـ خلال الذّكر ـ أن يفترش الأرض أو ما ينبت منها، كالحصير وما شابهه، وأن يجلس تجاه القِبلة متورّكاً أو مربّعاً. وأن يهتمّ بالتعطّر في تلك الحال، سيّما بالبخورات اللائقة.

السادس عشر: السَّهَر.

بالقدر الذي تطيقه طبيعة البدن؛ قوله تعالى: **قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ**

١٢٧ـ الآية ٨٠، من السورة ١٧: الإسراء.

١٢٨ـ الآية ١١٠، من السورة ٤: النساء.

١٢٩ـ الآية ٤، من السورة ٦٠: الممتحنة.

مَا يَهْجَعُونَ.[130]

السابع عشر: دوام الطهارة.

الثامن عشر: المبالغة في التضرّع والذلّة والمسكنة والتذلّل في فِناء ربّ العِزّة.

التاسع عشر: الاحتراز عن المشتهيات بقدر الاستطاعة.

العشرون: كتمان السِّرّ.

وهو من أهمّ الشروط، وقد بالغ مشايخ الطريقة وأساتذة الأذكار في الوصيّة بهذا الشرط، سواء في العمل والأوراد، أو في الحالات والواردات الحاليّة والمقاميّة، وكانوا يعدّون أبسط تخلّف أو تخطٍّ لهذا الشرط ممّا يُخلّ بالقصد ويمنع بلوغ المطلوب. كما كانوا يعدّون التورية في الكلام ومخالفة العزم عند الإشراف على الإفشاء من لوازم السلوك. ومقولة **وَاسْتَعِينُوا عَلَى حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمَانِ** دالّة على هذا المطلب.[131]

١٣٠ـ الآية ١٧، من السورة ٥١: الذاريات.

١٣١ـ نقل المجلسيّ في«بحار الأنوار» ج ١٧، ص ٤٦، عن «غوالي اللئالي» ضمن حِكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: **اسْتَعِينُوا عَلَى الحَوَائِجِ بِالكِتْمَانِ لَهَا.**

وجاء في «تحف العقول» ص ٤٨؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٧، ص ٤٤، نقلاً عن «تحف العقول»، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ⇐

ومن هنا قال سيّد الأولياء عليّ عليه السلام إلى ميثم التمّار :

وَفِـــي الصَّـــدْرِ لُـبَانَاتٌ إذَا ضَـاقَ لَـهَا صَـدْرِي

نَكَتُّ الأَرْضَ بِـــالكَفِّ وَأَبْـــدَيْتُ لَـــهَا سِـــرِّي

فَـــمَهْمَا تَـنْبُتُ الأَرْضُ فَذَاكَ النَّبْتُ مِنْ بَذْرِي [١٣٢]

وقال أبو عبدالله عليه السلام :

مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الحَيَاءِ.*

وقال : أَمْرُنَا مَسْتُورٌ مُقَنَّعٌ بِالمِيثَاقِ ، فَمَنْ هَتَكَ عَلَيْنَا أَذَلَّـهُ

⇐ وسلّم : اسْتَعِينُوا عَلَى أُمُورِكُمْ بِالكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ.

١٣٢ـ قال المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٤٧٢ : وَجَدْتُ فِي مَزَارٍ كَبِيرٍ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ السَّيِّدِ فَخَّار أَوْ بَعْضِ مَنْ عَاصَرَهُ بِإسْنَادِهِ (ثمّ يذكر الإسناد) عَنْ مَيْثَم التَّمَّارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَصْحَرَ بِـي مَـوْلاَيَ أَمِـيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ (ثمّ يذكر مناجاة الإمام ودعاءه وبثّه أسـراره فـي البئر ، حتّى يصل إلى قوله :) يَا مَيْثَمُ !

* وَفِي الصَّدْرِ لُبَانَاتٌ إذَا ضَاقَ بِهَا صَدْرِي *

والمراد بحفر الأرض بالكفّ وإخفاء السرّ فيها وإنبات الأرض ذلك السرّ إمّا استعارة وكناية طبق محاورات عامّة الناس عن عدم وجود مَن يبثّه المرء سرّه ، فيضطرّ إلى إخفاء سرّه فـي التـراب ، أو أنّ الإمـام أراد بنفسه القدسيّة كتمان تلك الأسرار في أعماق الأرض وفي روح الأرض وملكوتها ، لتنبت الأرض فيما بعد تلك الأسرار نباتاً ، مثل أولياء اللـه يصبح صاحب سرّ الإمام.

* ـ في «الكافي» : الخَبَاءِ.

اللّهُ. [133]

وجاء في حديث الثماليّ: **وَدِدْتُ ـ وَاللّهِ ـ أَنّي افْتَدَيْتُ خَصْلَتَيْنِ فِي الشِّيعَةِ لَنَا بِبَعْضِ لَحْمِ سَاعِدِي: النَّزَقُ وَقِلَّةِ الكِتْمَانِ.** [134]

وفي حديث سليمان بن خالد، عن الصادق عليه السلام، قال: **إنَّكُمْ عَلَى دِينٍ، مَنْ كَتَمَهُ أَعَزَّهُ اللّهُ، وَمَنْ أَذَاعَهُ أَذَلَّهُ اللّهُ.** [135]

يقول جابر بن يزيد: حدّثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث لم أُحدّث بها أحداً قطّ، ولا أُحدِّث بها أحداً أبداً. فلمّا ارتحل عليه السلام ضاق صدري وبهظني حَملُ تلك

١٣٣ـ روي حديث «أَمْرُنَا مَسْتُورٌ مُقَنَّعٌ بِالمِيثَاقِ» في «بحار الأنوار» ج ١٥ (الجزء الرابع، كتاب العشرة)، ص ١٤٠، عن «الكافي»؛ وفي «وسائل الشيعة» ج ٢، ص ٥٠٧، بإسناده عن خالد بن نجيح، عن الصادق عليه السلام.

١٣٤ـ نقل حديث الثماليّ «وَدِدْتُ وَاللّهِ» في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٢١؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب العشرة)، ص ١٣٧، عن «الكافي»؛ وفي «الخصال» ص ١٣٦.

١٣٥ـ وردت هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٢٢٢؛ وفي «المحاسن» للبرقيّ، ج ١، ص ٢٥٧؛ وفي «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب العشرة)، ص ١٣٧، عن «الكافي»؛ وفي «وسائل الشيعة» ج ٢، ص ٥٠٨، بإسناده عن «المحاسن» للبرقيّ.

الأحاديث ، قصدتُ أبا عبد الله عليه السلام فأخبرتُه بحالتي .
فقال : أُخرُج إلى الجَبّانِ فاحفِر حَفيرةً ودَلِّ رأسَكَ فيها ، ثُمّ قُل :
حدّثني محمّد بنُ عليّ بكذا وكذا ، ثمّ أهِل التراب عليها .[136]

الحادي والعشرون : الشيخ والأُستاذ .

وهو على نوعَين : أُستاذ خاصّ وأُستاذ عامّ .

١٣٦ـ وهو جابر بن يزيد الجُعفيّ ، وهو ثقة من أصحاب الصادقَين عليهما السلام . وقد رواها عنه الشيخ الكشّيّ باختلاف يسير ، قال : جبرئيل بن أحمد ، حدّثني محمّد بن عيسى ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي جميلة المفضّل بن صالح ، عن جابر بن يزيد الجعفيّ قال :

حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ لَمْ أُحَدِّثْ بِهَا أَحَداً قَطُّ ، وَلَا أُحَدِّثُ بِهَا أَحَداً أَبَداً . قَالَ جَابِرٌ : فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّكَ حَمَّلْتَنِي وِقْراً عَظِيماً بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ مِنْ سِرِّكُمُ الَّذِي لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً ، فَرُبَّمَا جَاشَ فِي صَدْرِي حَتَّى يَأْخُذَنِي مِنْهُ شِبْهُ الْجُنُونِ !

قَالَ : يَا جَابِرُ ! فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاخْرُجْ إِلَى الْجَبَّانِ فَاحْفِرْ حَفِيرَةً وَدَلِّ رَأْسَكَ فِيهَا ، ثُمَّ قُلْ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِكَذَا وَكَذَا .

وقد ورد هذا الحديث في «اختيار معرفة الرجال» (المعروف بـ «رجال الكشّيّ») الذي طبعته دانشكدهٔ إلهيّات مشهد (=كلّيّة الإلهيّات في مشهد) بمناسبة الذكرى الألفيّة لولادة الشيخ الطوسيّ أعلى الله مقامه ، ص ١٩٤ . وفي طبعة بمبي ، ص ١٢٨ ؛ كما ورد في «معجم رجال الحديث» ج ٤ ، ص ٢٢ .

فـالأُستاذ الخـاصّ هـو الذي نُـصّ عـليه وخُـصّ بـالدلالة والهداية ، وهو النبيّ وخلفاؤه الخاصّون .

وأمّا الأُستاذ العامّ ، فهو الذي لم يُنصّ عليه بالهداية ، بل هو داخل في عُموم : **فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** [الآية ٤٣ ، من السورة ١٦ : النحل]. **وَلاَ مَفَرَّ للسالك في كلّ حال من الأُستاذ الخاصّ**، حتّى لو كان بلغ هدفه المقصود[١٣٧] ، لأنّ ذلك الأُستاذ

١٣٧ـ إنّ أولياء الله والأفراد الذين ارتقوا إلى مقام الكمال الإنسانيّ قد يتعدّدون في كلّ زمان ، بحيث يكون كلّ منهم لائقاً لهـدايـة السـالكين وإرشادهم ؛ أمّا الإمام (وهو خليفة رسول الله) صاحب الولاية الكـبرى وحافظ الشريعة والطريقة ، والمُهيمن على جميع العـوالم ، والمـحيط بالجزئيّات والكلّيّات ، فهو في كلّ عصر واحد فحسب . وجميع الأولياء تحت لوائه وضمن شريعته وطريقته . ومن الضروريّ للسالك أن يكون ملتفتاً إليه على الدوام ، وهو معنى المرافقة الذي ذكره المصنّف . ومن المسلّم أنّ المرافقة البدنيّة غير مُشترطة ، بل المشـترط هـي المـرافـقة الروحيّة .

وهي مبتنية على سيطرة روح الوليّ على السالك ، مضافاً إلى توجّه السالك والتفاته التامّ إلى الوليّ ، وصولاً إلى صدق المرافقة . ويحصل عمدة سير السالك من خلال مرافقته للإمام الذي عـبّر عـنه المـصنّف رحمه الله بالأُستاذ الخاصّ ، وينحصر في زمن الغَـيبة الكـبرى بـوجود صاحب العصر والزمان ، حجّة الله البالغة محمّد بن الحسن العسكـريّ عجّل الله فرَجه . ⇦

يعلّمه آداب الوطن أيضاً، ولأنّه الوالي في تلك المملكة أيضاً.

⇦ أمّا سائر الأولياء الذين يُعينون السالك، فإنّما بالتبعيّة للأُستاذ الخاصّ أوّلاً، وإنّ ضرورة الاستعانة بهم إنّما تتحقّق عند عدم التمكّن من الأُستاذ الخاصّ ثانياً. أمّا في زمن التمكّن من الأُستاذ الخاصّ، فلا يلزم الاستعانة بهم، ولو كانت ممكنة وخالية من الإشكال.

على أنّ مرافقة السالك للأُستاذ العامّ لازمة أيضاً، لأنّ النفحات الرحمانيّة من جانب ربّ العزّة تصل إلى السالك عن طريق الحجاب الأقرب (وهو الأُستاذ الخاصّ) بواسطة قلب الأُستاذ العامّ. ومن هنا فإنّ على السالك أن لا يغفل عن الإفاضات القلبيّة للأُستاذ العامّ كي لا يُحرم من إفاضاته المعنويّة.

أمّا الأولياء الذين بلغوا مقاماً خاصّاً بدون توسّط الإمام والأُستاذ الخاصّ، فإنّهم ـ لمّا لم يتابعوا الإمام في طريق الشريعة ـ سيعُدّون من المستضعفين في حال افتراض قصورهم وعدم إنكارهم أو جُحودهم، وستشملهم آية: وَأَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ.

فإن شملتهم العناية الإلهيّة في هذه الحال، فطلع عليهم باطن مقام الولاية الحقّة للإمام، صاروا ـ بلا شكّ ـ مُستبصرين، وانضمّوا في التشريع تحت لواء الإمام أيضاً، على الرغم من قد يُجبرون على التقيّة والتورية لفقدان المحيط المساعد. وإن هم لم يقفوا على باطن ولاية الإمام، توقّفوا في أماكنهم، وانسدّ أمامهم سبيل الوصول إلى المعرفة الإلهيّة، ولو تظاهروا بالوصول والمعرفة.

وإن هم سلكوا سبيل الجحود والإنكار، امتنع عليهم طيّ الطريق، وتعذّر الوصول إلى مقام الكمال، لأنّ الطريق قائم على أساس الخلوص المتنافي مع الجحود والإنكار.

ومرافقته من الضرورة العامّة في حال السلوك ، بل في أواخر السلوك (عند حصول التجلّيات الذاتيّة والصفاتيّة) . وما ورد عن أرباب السلوك في باب آداب خدمة الشيخ وتعاهده ، فقد أرادوا به الأُستاذ الخاصّ ، ولو كان ملاحظة الأدب والاحترام لازمَين للأُستاذ العامّ أيضاً لقيامه في الهداية مقام الأُستاذ الخاصّ .

وما يفهمه الأكثريّة من توقّف السلوك على الشيخ ، أنّ طلب السلوك بدون إرشاد الشيخ والأُستاذ ومتابعتهما غير ممكن . ومع أنّ الأمر كذلك ، إلّا أنّ هناك مرحلة أُخرى أعلى من هذه المرحلة ، إذ إنّ مرافقة الأُستاذ الخاصّ في جميع الأحوال في ترتيب المظاهر ـ وهو ما سيُشار إليه ـ من أهمّ الشرائط وأعظم اللوازم . كما أنّ مرافقة الأُستاذ العامّ أولى وأنسب ، سيّما للمبتدئ .

وتحصل معرفة الأُستاذ الخاصّ في بداية الأمر حسب الطريقة التي مرّت في تحصيل الإيمان الأصغر ، كما أنّه سيعرّف نفسه في نهاية المطاف .

أمّا الأُستاذ العامّ فلا يعرف إلّا بمصاحبته في الخلاء والملاء ، وبالمعاشرة الباطنيّة وملاحظة تماميّة إيمان جوارحه ونفسه . وحَذارِ من متابعته بالانخداع بظهور خوارق العادات ، وبيان دقائق النكات ، وإظهار الخفايا الآفاقيّة والحبايا الأنفسيّة ، وتبدّل بعض

حالاته ، لأنّ الإشراف على الخواطر والاطّلاع على الدقائق ، والعبور على الماء والنار ، وطيّ الأرض والهواء ، والإحضار من المستقبل وأمثال ذلك يحصل في مرتبة المكاشفة الروحيّة ، وهي مرحلة يفصل بينها وبين المنزل المقصود طريق بلا انتهاء .[١٣٨]

١٣٨ـ المكاشفات على أنواع :

الأوّل : المكاشفات المادّيّة والطبيعيّة ، وهي الاطّلاع على المخفيّات ، وتحصل للإنسان في عالم الطبع . كالعلوم الطبيعيّة والرياضيّة والهيئة وأمثالها .

الثاني : المكاشفات التي تحصل للسالك بعد العبور من عالم الطبع والورود في عالم المثال ، وتدعى بالمشاهدات القلبيّة ، لأنّها تجسّم بعض المعاني في صور مثاليّة ، ومثلها في عالم اليقظة مثل الرؤيا والأحلام التي يشاهدها الإنسان في منامه .

الثالث : المكاشفات التي تحصل للسالك بعد العبور من عالم المثال والورود في عالم الروح والعقل ، وتدعى بالمشاهدات الروحيّة ، لأنّها تحصل بواسطة قدرة الروح وسيطرتها في العالم ، مثل الإحاطة بالخواطر والأفكار ، وطيّ الأرض ، وطيّ الهواء ، والعبور من النار ، والاطّلاع على المستقبل ، والتصرّف في النفوس بالمرض أو الصحّة ، والتصرّف في أفكار العامّة .

الرابع : المكاشفات التي تحصل للسالك في عالم الخلوص واللاهوت بعد العبور من الروح والجبروت ، وتدعى بالمكاشفات السرّيّة ، لأنّها كشف أسرار عالم الوجود والاطّلاع على المعاني الكلّيّة وكشف الصفات والأسماء الكلّيّة الإلهيّة . ⇦

وما أكثر المنازل والمراحل ! وما أكثر السائرين الذين طـووا هذه المرحـلة ، ثمّ انحـرفوا بعدها عن الجـادّة ودخـلوا في وادي اللصوص والأبالسـة ! وما أكثر الكفّار الذين حصـلوا بهذا السـبيل على اقتـدار على فِعل أشـياء كثيرة ! بل لا يمكن أيضاً الاسـتدلال بالتجلّيات الصفاتيّة على وصول صاحبها ، لأنّ ما يختصّ بالواصلين إنّما هو التجلّـيات الذاتـيّة ، بنـوعها الربّـانيّ لا الروحـانيّ .[139]

⇦ **الخامس** : المكاشفات التي تحصل للسالك بعد الكمال والعبور من مراتب الخلوص والوصول إلى مقام التـوحيد المـطلق والبـقاء بـالله ، وتدعى بالمكاشفات الذاتيّة ، لأنّها إدراك حقيقة الوجود وآثاره وترتيب نزول الحكم إلى عالم الإمكان ، ومصدر القضاء والقدر والمشيئة الإلهيّة ومصدر التشريع والوحي ، والإحاطة بجميع العـوالم النـازلة ، وكـيفيّة تحقّق الحادث وربطه بالعوالم الربوبيّة ، واتّحاد الوحدة والكثرة وأمثال ذلك .

ويتبيّن ـ بناء على ما قيل ـ أنّ المكـاشفات الروحـيّة تـحصل قـبل الورود في العالم الإلهيّ ، وأنّها مشتركة بـين المـؤمن والكـافر ، وأنّـها لا تدلّ بأيّ وجه على وجود الكمال أو انتفائه .

١٣٩ـ التجلّيات على أربعة أنواع :

الأوّل : التجلّيات الفعليّة ، وهي أنّ السالك إذا ما فعل شيئاً لم يره مِن فعل نفسه ، بل يراه ـ على الإجمال ـ من فِعل موجود آخر . أو أنّه يرى الأفعال التي يفعلها الناس على أنّها ليست من فِعلهم ، بـل هـي قـائمةً بغيـرهم . كأن يُدرك أنّ جمـيع حركات الناس وسكناتـهم وذهابـهم ⇦

. . . .

⇦ وإيابهم وكلامهم قائمٌ بذات واحدة لا غير.

الثاني : التجلّيات الصفاتيّة ، وهي أن السالك لا يرى صفته راجعة إليه ، بل يُدرك ـإجمالاً ـ أنّها من ذات أُخرى . كأن يسمع كلاماً ، فلا يرى أنّ نفسه هي السامع ، بل يرى أنّ السامع موجود آخر . أو يـرى شـيئاً ، فلا يرى أنّ نفسه هي التي رأت ، بل يرى الرائي موجوداً آخـر . وهكـذا الأمر بالنسبة إلى الصفات الأُخرى ، وإلى صفات سائر الناس ، فإنّه يرى ذلك مستنداً بأسره إلى علم وقدرة وسمع وبصر وحياة موجودٍ آخر .

الثالث : التجلّيات الذاتيّة ، وهي أن يُدرك السالك الصفة مع قيّومها معاً في هيئة الاسم ؛ كأن يسمع شيئاً فيرى السميع ذاتاً أُخرى ، ويـرى الحيّ والعليم والبصير والقدير ذاتاً أُخرى ، وهكذا في بقيّة أفراد الناس ، حيث إنّه لا يرى أسماءهم لهم ، بل يراها بأجمعها من أسماء الله تعالى .

الرابع : تجلّي الذات ، وهي أن يرى السالك أصل حقيقة وجوده أو وجود موجود آخر ، أو وجود سائر الموجودات من ذات الحقّ القدسيّة . ويصطلح البعض على هذا التجلّي بالتجلّيات الذاتيّة أيضاً .

وعلى أيّة حال ، فقد قصد المصنّف رحمه الله أنّ التجلّيات الصفاتيّة الإلهيّة ليست دليلاً على بلوغ صاحبها المقصد ، بل يلزم في ذلك امتلاك التجلّيات الذاتيّة بنوعها الربّانيّ لا الروحانيّ .

واعلم أنّي لم أعثر على تقسيم التجلّيات الذاتيّة إلى ربّانيّة وروحانيّة في أيّ من كتب القوم ، وهو ـ ظاهراً ـ من التعبيرات الخاصّة بالمصنّف ، ومراده بها غير واضح . ويُـحتمل أن يكـون المـراد بـالتجلّيات الربّـانيّة التجلّيات الأسمائيّة في عالم الذات والربوبيّة . مثل تجلّي اسـم الحـيّ والعلـيم والقديـر والسـميع والبصير . والمراد بالتجـلّيات الذاتـيّة ⇦

وهناك طريقة أُخرى لمعرفة الأُستاذ وشيخ الطريقة سنشير إليها إن شاء الله تعالى .

الثاني والعشرون : الوِرد .

وهو عبارة عن عدّة أذكار وأوراد كلاميّة لسانيّة تفتح أبواب الطريق وتُعين السالك في العقبات والعوائق والمهمّات . ومن شروطها أن تكون بإذن من الأُستاذ ، إذ لا يُسمح الشروع بها بدون إذن منه ، إنّها في حُكم الدواء الذي منه ما ينفع ومنه ما يضرّ ، بل هو دواء حيناً وسُمّ حيناً آخر . وبعضه شفاء ، وبعضه الآخر داء . يُضاف إلى ذلك أنّ بعض الأوراد قد ينفع بفرده ، فإذا ضُمّ إلى وِرد آخر أضحى ضارّاً . وقد يتعرّض السالك للخطر إذا زاد في الوِرد على عدد معيّن ، أو أنقصه عن ذلك العدد .

⇦ الروحانيّة التجلّيات الأسمائيّة في عالم الفعل ، كالخالق والرازق وأمثال ذلك . كما يحتمل أنّ المراد بالتجلّيات الذاتيّة الربّانيّة تجلّي الاسم ، وحقيقته فناء السالك في ذلك الاسم المتجلّي عليه ، فيكون السالك في هذه الحال مَجلى الاسم الربوبيّ ، ويكون فانياً في ذلك الاسم . والمراد بالتجلّيات الذاتيّة الروحانيّة صرف انكشاف ذلك الاسم في عالم الروح ، دون أن يتحقّق للسالك فناء في ذلك الاسم ، على الرغم من أنّ هذا لا يُصطلح عليه بالتجلّي ، بل بالكشف والانكشاف ، واللهُ العالِم .

أجل، هناك رخصة عامّة فيما رخّص الأساتذة الحاذقون فيه بإذن عامّ.

والوِرد على أربعة أقسام: القالبيّ والنفسيّ، وكلّ منهما ينقسم إلى إطلاقيّ وحَصريّ. وأصحاب السلوك لا يُعيرون اهتماماً للورد القالبيّ.[140]

الثالث والعشرون إلى الخامس والعشرين: نفي الخواطر، نفي الفكر، ونفي الذكر.

وهذه المراحل الثلاث من مهمّات وسائل الوصول إلى المقصد، بل هو ممتنع بدونها. كما أنّ الإتيان بها من أصعب الأُمور وأشقّها.

١٤٠ـ ورد في حاشية الكتاب هذه العبارة: «المراد بالذكر القالبيّ ما انجمد في قالب الوِرد ولم يتعرّض للمعنى، والنَّفسيّ بخلافه. والمراد بالوِرد الإطلاقيّ الوِرد غير المحدود بعدد معيّن؛ والوِرد الحَصْريّ بخلافه».

وقد ذكر سماحة العلّامة الطباطبائيّ في بيانها:

المراد بالوِرد القالبيّ الوِرد الجاري على اللسان دونما ملاحظة لمعناه، والمراد بالوِرد النفسيّ الوِرد الجاري على اللسان مع ملاحظة معناه. والمراد بالإطلاقيّ الوِرد الذي لا يُشترط فيه عدد معيّن، بل يكرره السالك بمقتضى حاله بلا ضبط للعدد؛ والمراد بالوِرد الحصريّ الذي يُشترط فيه عدد معيّن.

ولا أقصد أنّ أصل العمل بها شاقّ وعسير ـ مع أنّ الأمر كذلك حقّاً ـ بل أرمي إلى أنّ هذه الأودية الثلاثة أودية على درجة كبيرة من الخطورة ، وأنّها مراحل مخوفة يُخشى فيها من الهلاك الأبديّ والشقاء السرمديّ .

وأكثر الذين انحرفوا عن الجادّة وهلكوا ، إنّما هلكوا بسبب هذه المراحل والمرحلتين السابقتَين عليها ، بَيدَ أنّ خطورة هذه المراحل الأخيرة أشدّ وأكبر وأعظم !

ذلك أنّ خطر المرحلة السابقة أكثره فساد البدن وتعويق المهمّات ، وخطر المرحلة التي تسبقها ـ وكذلك خطر التقصير في مرحلة فِقه الجوارح والنفس ـ هو عدم الوصول إلى المطلوب ، إلّا أن يسبّب الخطأُ فيها الخطأ في المراحل الثلاث الأخيرة .

وخطر هذه المراحل الثلاث هو الهلاك الأبديّ والشقاء السرمديّ ؛ وكلّ ما طرق سمعك من عبادة الأصنام والأوثان والبقر والكواكب والنار والحيوانات ومراتب الغلوّ والإلحاد والزندقة والإباحة وادّعاء الحلول والاتّحاد وغيرها ، ناشئٌ بأجمعه عن هذه المراحل ، وعائد إلى إحداها ، كما سيُشار إليه إن شاء الله تعالى . وسيَفهم الذكيّ الفَطِن ما نُشير إليه خلال هذه المراحل .

فنقول : أمّا نفي الخواطر ، فعبارة عن صمت القلب

وتسخيره، كي لا يتكلّم إلّا بمشيئة صاحبه، وهو من أعظم مطهّرات السرّ ومُنتج أكثر المعارف الحقّة والتجلّيات الحقيقيّة؛ وهو عقبة كؤود وقِمّة عسيرة. فإن أراد الطالب ارتقاءها، هاجمته الخواطر من كلّ صوب وحدب، وشوّشت عليه. وعلى السالك أن يكون في هذا المقام كالجبال الرواسي، وأن يهوي على كلّ خاطر يتحرّك ويظهر بسيف الذِّكر، وأن لا يتسامح في المحقَّرات، لأنّها ـ ولو كانت حقيرة تافهة ـ كالشوكة في قدم السالك، تجعله يعرج في مسيره. وكثير من المتشيّخين يوصون تلامذتهم بطيّ هذه المرحلة بالذِّكر[141]، ويحاولون نفي الخواطر بالذِّكر، وهذا أوّل

١٤١ـ اعلم أنّ هناك طريقَين مشهورَين لنفي الخواطر:

الأوّل: الطريق الذي ذكره المصنّف رحمه الله، وهو أن يعمد السالك إلى تقوية ذهنه من خلال التوجّه والالتفات التامّ إلى شيء من الأشياء، كقطعة من الحجر أو الخشب أو الصور الرقميّة لأسماء الله تعالى، ثمّ يعمد بعد ذلك إلى نفي الخواطر، وذلك بأن يفرض المرء نفسه حارساً لقلبه، فيقوم بطرد كلّ خاطر يحاول الورود إليه. وبعد أن يقوى السالك في هذا الموضوع، فإنّه ينصرف إلى الذِّكر والتوجّه.

الثاني: الطريق الذي رفضه المصنّف رحمه الله ونسبه إلى المتشيّخين، وهو نفي الخواطر بحربة «الذِّكر». أي أنّ السالك يعمد إلى ذِكر الله والتوجّه إليه تعالى أو إلى أحد أسمائه، من أجل أن لا يُبقي في ذِهنه مجالاً لخُطور خاطر آخر. فيتبع نفيُ الخواطر الذِّكرَ تلقائيّاً، ⇦

....

⇦ ويكون السالك ذاكراً على الدوام، ويكون ذهنه ـ تبعاً للذِّكر ـ خالياً من الخواطر.

وقد كانت هذه هي طريقة المرحوم الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ وأتباعه وطريقة المرحوم الحاجّ الميرزا علي القاضي رضوان الله عليهم. ويمكن الاستدلال على صحّتها بعدّة أُمور:

١) إنّ نفي الخواطر لا يحصل تلقائيّاً، إلّا أن يلتفت السالك خلال مرحلة المقدّمات إلى شيء ما ـ كقطعة من الحجر أو الخشب ـ ثمّ يقوم بنفي الخاطر. وعلى الرغم من أنّ ذلك العمل له عنوان المقدّمة لتصفية الذهن والتجلّيات الإلهيّة، فإنّ السالك لو داهمه الموت على تلك الحالة لم يكن ذاكراً للّه، إنّ نفي الخاطر ليس ذكراً، بل هو مقدّمة للذكر.

٢) إنّ ما يستفاد من منهج الشرع هو أنّ أئمّة الشريعة وحُماة الدين قد أمروا الناس على الدوام بالذِّكر، وأنّهم كانوا لا يجيزون لهم الابتعاد عن الذِّكر منذ القَدَم الأوّل للسلوك إلى مرحلته الأخيرة، ومنذ العبادات الابتدائيّة إلى العبادات النهائيّة. حيث تحصل التجلّيات الصفاتيّة والذاتيّة خلال الذِّكر. وما ذكره المصنّف رحمه الله من أنّ السالك إذا أعرضَ فإنّ المحبوب الغيور سيصفعه على قفاه، لا يختصّ بحال من أحوال الذِّكر، بل إنّ السالك إذا ما انشغل بالذِّكر بعد حصول نفي الخواطر لديه ثمّ عرضت له خاطرة ما، فإنّ هذا الأمر سيتحقّق، وسيُعاقب هذا السالك من قِبَل المحبوب الغيور. أمّا إذا انشغل السالك بالذِّكر من دون نفي الخواطر، ثمّ ظهر بالجمع من دون أن يغفل عن المذكور، فإنّه سيأمن من الإصابة بأيّ ضرر. وحاصل الكلام هو أنّ خطر غيرة الحبيب والأمن من خطر غيرة الحبيب أمر متصوّر ممكن في كِلا النهجَين. ⇦

خَبطهم ، لأنّ نفي الخواطر أمر عسير ينبغي أن لا يستسهله المجاهد ، وأن يستمرّ في المجاهدة مدّة ليصل إلى هذه المرحلة ، وهي مرحلة يسمّيها أرباب السلوك بالداء العضال .

والذِّكر بمثابة ملاحظة المحبوب وقصر النظر على جماله من بعيد . وحين يكون النظر إلى المحبوب ، فإنّ من اللائق أن يُغضّ النظر عمّن سواه ، إذ المحبوب غيور ، ومِن غيرته أن لا يُجيز للعين التي تنظر إليه أن تنظر إلى سواه ، ومن غيرته أن يُعمي العين التي تُعرض عنه لتنظر إلى غيره . فإن تكرّرت الإعراض والتوجّه في هذه الحال ، غدا بمثابة الاستهزاء ، وأعقب صفعة يصفعها المطلوب على قفا الطالب ، لا يبحث بعدها عن رأسه ولا عن عمامته .

ألم تسمع قوله : **أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي** . وقوله : **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ** [الآية ٣٦، من السورة ٤٣: الزخرف] .

أفتظنّ أنّ المحبوب يُدني إليه مَن ينهض مِن مُجالسته فيكون

⇐ ٣) إنّ الآية الكريمة : **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** (الآية ٢٠١ ، من السورة ٧ : الأعراف) تدلّ بصراحة على وجوب طرد الخواطر الشيطانيّة عن طريق الذِّكر .

قريناً للشيطان ؟ أو تخال أنّ الرحمن يجلس في موضع تنجّس بالشيطان الرجس النجس ؟

أَتَلْتَذُّ مِنْهَا بِالحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى
حَدِيثُ سِوَاهَا فِي خُرُوقِ المَسَامِعِ [١٤٢]

بل إنّ محض نفي الخواطر غير كافٍ في تجويز الشروع بالذكر ، لأنّ نفي الخواطر بمثابة تطهير المنزل من الغبار والأشواك ، وهذا القدر لا يكفي لمنزل المحبوب ، بل يلزم ـ كذلك ـ تزيينه بالفرش وتطييبه . [١٤٣]

١٤٢ـ هذا البيت والذي يليه للعاشق المحبّ قيس بن الملوّح العامريّ المشهور بمجنون ليلى . وقد ورد في ديوانه المطبوع في بمبي ، ص ١٠٩ مع بيتين آخرين بهذا الترتيب :

تَمَنَّيْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى البُعْدِ نَظْرَةً
لِيُطْفَى جَوَىً بَيْنَ الحَشَا وَالأَضَالِعِ
فَقَالَتْ نِسَاءُ الحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى
بِعَيْنَيْكَ لَيْلَى مُتْ بِدَاءِ المَطَامِعِ
وَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى بِعَيْنٍ تَرَى بِهَا
سِوَاهَا وَمَا طَهَّرْتَهَا بِالمَدَامِعِ
وَتَلْتَذُّ مِنْهَا بِالحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى
حَدِيثُ سِوَاهَا فِي خُرُوقِ المَسَامِعِ

١٤٣ـ لعلّ مراد المصنّف رحمه الله من تزيين المنزل وتطييبه بعد تطهيره بنفي الخواطر قبل حلول ضيف الذِّكر ، التوجّه إلى مقام ⇦

وَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى بِعَيْنٍ تَرَى بِهَا
سِوَاهَا وَمَا طَهَّرْتَهَا بِالمَدَامِعِ[١٤٤]

أجل، هناك نوع واحد من الذكر مُرخّص فيه لنفي الخواطر، وهو الذي يكون بقصد ردع الشيطان وليس بقصد الذِّكر.[١٤٥]

⇦ الأُستاذ الخاصّ الذي سيكون مُعدّ الذكر ومُمدّه.

١٤٤ـ أورد المرحوم النراقيّ في كتابه «خزائن» ص ١٣٠، هذه الأبيات الأربعة لمجنون ليلى، بَيدَ أنّه أورد البيتين الأوّلين بهذه الكيفيّة:

وَإذْ رُمْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى البُعْدِ نَظْرَةً
لِأُطْفِي بِهَا نَارَ الحَشَا وَالأَضَالِعِ
تَقُولُ نِسَاءُ الحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى
مَحَاسِنَ لَيْلَى مُتْ بِدَاءِ المَطَامِعِ
وَكَيْفَ تَرَى..........................
....

١٤٥ـ اعلم أنّ الخواطر التي تخطر على ذهن الإنسان ـ عدا الخواطر الرحمانيّة وذِكر الله تعالى ـ هي بأجمعها خواطر شيطانيّة يجب طردها بسيف الذِكر. والآية المباركة **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** أفضل دليل وشاهد على مدّعانا. وحين يقال بأنّ كلّ خاطرة ينبغي أن تُطرد بالذِّكر، فإنّما يعنون بذلك أنّ الشيطان يجب أن يُطرَد بنور الله، وأنّ المعاصي يجب دفعها بتأييد الله تعالى. **إلَهِي! إنْ لَمْ تَبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ، فَمَنِ السَّالِكُ بِي إلَيْكَ فِي وَاضِحِ الطَّرِيقِ**.

ومضافاً إلى ذلك، فإنّ نفي الخواطر المطلق ممكن ـ أساساً ـ لمن ⇦

كمثل مَن يريد طرد الغير من المجلس ليدعو إليه المحبوب ؛ فلا تكون غايته ملاحظة المحبوب ولا الالتذاذ بوصاله ، بل قصده تخويف الغير وتهديده . وكيفيّة ذلك أنّ السالك إذا اشتغل بنفي الخواطر ، فهاجمه في تلك الحال خاطر تعسّر عليه طرده ، فعليه أن يلجأ إلى الذكر لطرده ، وهو المراد من قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ [الآية ٢٠١ ، من السورة ٧ : الأعراف] .

وطريقة المحقّقين في هذا السبيل والواصلين الواعين في تعليم المبتدئين وإرشادهم ، أن يأمروهم ابتداءً بنفي الخواطر ، ثمّ بممارسة الذّكر .[١٤٦]

أمّا نفي الخواطر ، فيتمّ بأن يتوجّه السالك ابتداءً إلى أحد المحسوسات ، كقطعة من الحجر أو جسم آخر سواه ، وقد رُخّص

⇐ تخطّى جميع درجات الذكر التعيّنيّ ، حيث يمكنه آنذاك أن يُبقي ذهنه دونما ذكر معيّن . ومن الجليّ أنّ مثل هذا الذهن سيكون ذاكراً للّه تعالى بدون لباس التعيّن ، وعارياً عن جميع الملابسات والشؤونات التقييديّة والأسماء والصفات المعيّنة . وبطبيعة الحال فإنّ الذكر له تقدّم رتبيّ على هذا المقام .

١٤٦ـ فيه إشكال ... كما تقدّم سابقاً ، ولنا أدلّة أُخرى ليس ها هنا مجال ذكرها .

في التوجّه إلى الصور الرقميّة للأسماء الحُسنى[١٤٧]، بل هو مُستحسَن. بحيث يركّز العين الظاهرة على ذلك الشيء، وأن لا يُغمض عينيه ـ مهما أمكن ـ إلّا قليلاً.[١٤٨]

وأن يتوجّه إلى ذلك الشيء بجميع قواه الظاهريّة والباطنيّة، ويداوم على ذلك مدّة من الزمن، والأفضل أن يداوم عليها مدّة أربعين أو أكثر.

أمّا الوِرد الذي يكرّره خلال هذه المدّة، فثلاثة أوراد: الاستعاذة والاستغفار الإطلاقيّ ـ وتعيين عدده ووقته منوط إلى الذاكر ـ[١٤٩]، وذِكر «يا فعّال»، وهو ذِكر حصريّ بعدد مُجمَل أو

١٤٧ـ المراد بالصور الرقميّة المجسّمة للأسماء الحُسنى هي أن يُنحَت للفظ «الله» أو «العالِم» أو «الرحمن» وأمثالها من الحجر أو الخشب ما يكون له جسميّة.

١٤٨ـ اقتبس المصنّف رحمه الله هذه الطريقة في التوجّه إلى قطعة من الخشب ـ أو إلى أحد المحسوسات ـ من جامي في شرح رباعيّاته، ونسبها جامي في ص ٧١ و٧٢، إلى بعض أهل الطريقة من المنتسبين إلى السلطان إبراهيم الأدهَم.

١٤٩ـ المقصود هو أنّ الاستعاذة ليس لها عدد خاصّ، بل عددها إطلاقيّ، لكنّ على الذاكر أن يوردها بعدد معيّن يعيّنه حسب ماتقتضيه حاله، وفي وقت معيّن يراه أصلح له وأنسب.

مفصّل [150]؛ فالمفصّل بعد فريضة الغداة، والمُجمل بعد فريضة

١٥٠ـ نحن مجبرون ـ من أجل بيان عبارة المصنّف ـ على ذكر مقدّمة، وهي أنّ لكلّ حرف من الحروف العربيّة الثمانية والعشرين عدد خاصّ حسب حساب الأبجد. والحروف حسب ترتيب الأبجد مع أعدادها على هذا الترتيب: **أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلِمَنْ سَعْفَصْ قَرِشَتْ ثَخَّذْ ضَظِغ** لا:

أ ١، **ب** ٢، **ج** ٣، **د** ٤، **ه** ٥، **و** ٦، **ز** ٧، **ح** ٨، **ط** ٩، **ي** ١٠، **ك** ٢٠، **ل** ٣٠، **م** ٤٠، **ن** ٥٠، **س** ٦٠، **ع** ٧٠، **ف** ٨٠، **ص** ٩٠، **ق** ١٠٠، **ر** ٢٠٠، **ش** ٣٠٠، **ت** ٤٠٠، **ث** ٥٠٠، **خ** ٦٠٠، **ذ** ٧٠٠، **ض** ٨٠٠، **ظ** ٩٠٠، **غ** ١٠٠٠، ١١.

وبطبيعة الحال فإنّ الهمزة «أ» والألف «ا» يحسبان كلاهما بعدد واحد «١»، وتُحسب الحروف المكرّرة بالتشديد حرفاً واحداً. فكلمة **عليّ** مثلاً تحسب ١١٠، لأنّ حرف **ع** = ٧٠، وحرف **ل** = ٣٠، وحرف **ي** = ١٠، ومجموعها ١١٠، وتشديد الياء لا يُحتسب. وكلمة **قدّوس** تحسب ١٧٠، لأنّ **ق** = ١٠٠، **د** = ٤، **و** = ٦، **س** = ٦٠، والدال المكرّرة في التلفّظ لا تُحتسب، إذ الكتابة هي المناط في الحساب.

وكلمة **فعّال** تحسب ١٨١، لأنّ **ف** = ٨٠، **ع** = ٧٠، **ا** = ١، **ل** = ٣٠.

أمّا كلمة الجلالة **الله** ففيها استثناء في الحساب، لأنّ اللام فيها مشدّدة، إلّا أنّهم يحسبونها حرفَين، كما أنّ ألف **الله** لا تُحسب، فتكون كلمة **الله** ٦٦، لأنّ الهمزة **أ** = ١، **ل** = ٣٠، **ه** = ٥. ولهذا السبب فإنّهم يكتبون كلمة **الله** بدون تشديد، بل يكرّرون حرف اللام، كما لا يكتبون الألف، أمّا في قواعد رسم الخطّ المتعارفة فكان ينبغي كتابتها بهذه الهيئة **ألّاه**، لكن باعتبار أنّ الخطّ العربيّ تابع لحساب الأبجد، لذا يجب كتابة **ألّاه** في هيئة **الله** دونما تشديد فوقها. وعلى هذا الأساس، فلأنّ الحروف المشدّدة ⇦

....

⇐ في التلفّظ تكتب حرفاً واحداً، فإنّها تُحسب حرفاً واحداً كذلك. ووفقاً لما قيل، فإنّ ألف إلاه لمّا كانت لا تُكتب: فإنّها لا تُحتسب أيضاً، فيكون مجموعها ٣٧ لأنّها تكتب في هيئة إله.

كما أنّهم لا يحسبون ألف رحمان، لأنّها تكتب رحمن، فيكون مجموعها ٢٩٨.

أمّا وقد علمت هذه المقدّمة، فاعلم أنّ كلّ حرف من حروف الأبجد إمّا أن يُحسب وفق الحساب المُجمل، أو الحساب المفصّل.

فالحساب المجمل هو الذي يحسب فيه عدد الحروف حسب كتابتها، فكلمة قدّوس مثلاً لها أربعة حروف: ق = ١٠٠، د = ٤، و = ٦، س = ٦٠. وكلمة فعّال لها أربعة حروف: ف = ٨٠، ع = ٧٠، ا = ١، ل = ٣٠. ويا أحد يا صمد لها عشرة حروف: ي = ١٠، ا = ١، أ = ١، ح = ٨، د = ٤، ي = ١٠، ا = ١، ص = ٩٠، م = ٤٠، د = ٤. فتكون قدّوس = ١٧٠، وفعّال = ١٨١، ويا أحد يا صمد = ١٦٩.

أمّا المفصّل فتحسب فيه حروف الكلمة كما تُلفظ. أي أنّ كلّ حرف من الحروف يُلفظ بعدّة حروف، فيُحسب في الحساب المفصّل حسب تلك الحروف. فكلمة قدّوس مثلاً لها أربعة حروف: ق، د، و، س. وحرف ق يُلفظ قاف، فيحسب ثلاثة حروف: ق = ١٠٠، ا = ١، ف = ٨٠. وحرف د يُلفظ دال، فيحسب ثلاثة حروف أيضاً: د = ٤، ا = ١، ل = ٣٠. وحرف و يُلفظ واو، فيحسب ثلاثة حروف: و = ٦، ا = ١، و = ٦. وحرف س يلفظ سين، فيحسب ثلاثة حروف أيضاً: س = ٦٠، ي = ١٠، ن = ٥٠. فتكون كلمة قدّوس في الحساب المفصّل ٣٤٩.

وكلمة يا أحد يا صمد ـ كمثال آخر ـ لمّا كان كلّ واحد من حروفها ⇐

العشاء، مع ملاحظة الخلوة.

وبعد المداومة على ذلك مدّة وحصول حال معيّنة للسالك، فإنّ عليه من ثمّ أن يتوجّه إلى القلب الصنوبريّ (الجسميّ الواقع إلى يسار الصدر)، والالتفات إليه بالكامل، وعدم الغفلة عنه في أيّة حال من الأحوال، وعدم السماح لأيّ خيال غيره. فإن هاجمته خاطرة[151] وأحدثت له تشويشاً، فعليه استحضار خيال صورة الأُستاذ

⇦ يلفظ بهذه الكيفيّة: يا، ألف، ألف، حا، دال، يا، ألف، صا، ميم، دال؛ فإنّ كلّ واحد من هذه الحروف ينبغي حسابه في الحساب المفصّل بهذا الترتيب: ي ١٠، ١١، أ ١، ل ٣٠، ف ٨٠، أ ١، ل ٣٠، ف ٨٠، ح ٨، ١١، د ٤، ١١، ل ٣٠، ي ١٠، ١١، أ ١، ل ٣٠، ف ٨٠، ص ٩٠، ١١، د ٤، م ٤٠، ي ١٠، م ٤٠، د ٤، ١١، ل ٣٠؛ فيكون مجموعها في الحساب المفصّل ٦١٩، بينما كان مجموع نفس هذه الكلمة المباركة في الحساب المُجمل ١٦٩.

١٥١ـ اعلم أنّ هذه الطريقة التي ذكرها المصنّف رحمه الله لنفي الخواطر هي بعينها الطريقة النقشبنديّة في نفي الخواطر، كما أنّ أغلب العبارات التي أوردها المصنّف في هذا الباب، ابتداءً من قوله: «التوجّه إلى أحد المحسوسات» إلى قوله: «ما لم يُصبه الملل، فإن هو شاهد آثار الملل تركه» مقتبس من كتاب «شرح رباعيّات» عبد الرحمن جامي، (وهو من النقشبنديّة، وكان تابعاً لطريقة الخواجة محمّد النقشبنديّ) حتّى أنّه أورد في أغلب عباراته نفس عبارات الكتاب المذكور دونما زيادة ولا نُقصان. وقال جامي في شرح رباعيّته «وصل اعداد اگر ⇦

العامّ، فهو مصدر الذكر ومناسبٌ لحال الذاكر، بعيداً عن بعض المخاطر[152]، فذلك أتمّ للفائدة.

وإلّا توجّب عليه أن يتنفّس بقوّة ثلاث مرّات كمن يُخرج شيئاً من أنفه، فيُخلي نفسه من ذلك ويعود إلى توجّهه والتفاته.

فإن عاد الخاطر من جديد خلال توجّه السالك بالرغم من قيامه بتلك التخلية بالطريقة المذكورة، فعليه الاستغفار ثلاث مرّات ثمّ يقول ثلاثاً:

أَستَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللَّهُ قَوْلاً وَفِعْلاً وَخَاطِراً

⇐ نتـواني كرد، كار مردان مرد داني كرد»(يقول: إن عجزتَ عن ربط الأعداد، فإنّ عمل الرجال إنّما يعلمه الرجل). قال الخواجة قدّس الله روحه: إذا حصل تشويش الخاطر... إلى آخر ما قال. وقد وردت هذه المطالب في ص ٦٦ و٦٧ من «شرح رباعيّات جامي».

١٥٢ـ لعلّ المصنّف رحمه الله يقصد بأنّ السالك لو استحضر في ابتداء أمره صورة الأُستاذ الخاصّ من أجل طرد الخواطر الشيطانيّة، فإنّ هذا الخيال القويّ الذي لا يطيقه السالك قد يؤدّي إلى تشويش له، ممّا قد يؤدّي إلى النظر إلى تلك الصورة ـ في تلك الحال ـ على نحوٍ من أنحاء الاستقلال، فيُبتلى السالك بالشرك وعبادة الصورة. أمّا استحضاره لخيال الأُستاذ العامّ باعتباره مصدراً للذكر، ولمناسبته لحال الذاكر، وكونه على قدر من القوّة غير كبير، ممّا ينفي احتمال ابتلاء السالك ـ بسببه ـ بعبادة الصورة، فإنّه سيكون أولى وأنسب.

وَسَامِعاً وَنَاظِراً وَلَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ.

ويكون قلبُه موافقاً للسانه في هذا الاستغفار.

ثمّ ينشغل في قلبه باسم «يا فعّال» بحسب المعنى، ثمّ يضع يده على قلبه ويقول سبعاً:

سُبْحَانَ اللَهِ المَلِكِ القُدُّوسِ الخَلَّاقِ الفَعَّالِ «إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَهِ بِعَزِيزٍ». [١٥٣]

فإن لم يندفع بذلك، فليتأمّل في كلمة **لَا مَوجُودَ إلَّا اللَهُ.**

فإن عاد إلى التشويش عليه، فليقُل بجهد (جهراً خ ص) «الله» فيمدّ الألف فيها، ويستمرّ في ذلك ما لم يُصبه الملل، فإن هو شاهد آثار الملل تركه. وليستمرّ على ذلك أيضاً مدّة حتّى تتملّكه حالة يخرج فيها عن طوره. ووِرد هذه المرحلة هو الاستغفار وذِكر «يا فعّال»، وكلاهما حَصريّ، فالأوّل في الأسحار بالعدد الكبير، والثاني بعد فريضة الغداة بنفس العدد، وبعد فريضة العشاء بالعدد المفصّل. وعليه أن يكثر من قول «يا باسط» في هاتَين المرحلتين. والأولى أن يكرّره كلّ ليلة بالعدد المفصّل. [١٥٤]

١٥٣ـ من **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ** إلى آخره آية من آيات القرآن الكريم، (الآيتان ١٦ و١٧، من السورة ٣٥: فاطر).

١٥٤ـ اعلم أنّ علماء الأعداد يطلقون على عدد الحروف الأبجديّة ⇦

فإن هو داوم على هذه الطريقة، وأضحت لديه قوّة على الذِّكر وعلى طرد الخواطر، رُخّص له في التوسّل بمبادئ الذكر في طرد باقي الخواطر، من خلال استحضار خيال الأُستاذ الخاصّ، أو استحضار الصور الخياليّة الكتبيّة القالبيّة لأسماء الله المناسبة لهذه الأحوال الثلاث، من دون الالتفات إلى المعنى.[155]

⇦ من واحد إلى ألف اسم «العدد الكبير»، ويُطلقون على عدد حروف الأبجد من واحد إلى ألف بطرح تسعة تسعة، اسم «العدد الصغير». فحرف «ي» ـ مثلاً ـ بحساب الأبجد الصغير يقابل عدد واحد، لأنّ عدده عشرة، يُطرح منها تسعة، فيتبقّى واحد. وحرف «ن» عدده يقابل خمسة، لأنّ الخمسين إذا طُرح منها تسعة تسعة آلت إلى عدد خمسة. وبناءً على هذا، فإنّ حرف «ط» وحرف «ظ» وحرف «ص» ليس لها عدد أصلاً، لأنّه عند طرح تسعة تسعة من أعدادها لا يتبقّى منها شيء.

كما أنّهم يطلقون اسم «العدد الوسيط» على الحروف الأبجديّة بطرح «١٢» «١٢» منها، واسم «العدد الأكبر» على الحروف الأبجديّة بمضاعفتها عشرة أضعاف، فحرف «ي» مثلاً يصبح في العدد الأكبر «١٠٠».

ولربّما كان مراد المصنّف رحمه الله من العدد الأكبر نفس الحروف الأبجديّة من واحد إلى ألف. وباعتبار أنّه ذكر القسيم بالعدد المفصّل، فإنّ العدد الأكبر سيكون نفس العدد المجمل الذي مرّ بيانه مؤخّراً.

١٥٥ـ المراد أن يتصوّر في خياله صوراً تناسب حاله من أسماء الله في هيئتها المكتوبة، فيتوجّه إليها فقط من دون ملاحظة معانيها. وهذا هو المراد من لفظ القالبيّة الذي ذكره المصنّف رحمه الله. كما أنّ المراد ⇦

وبعد الترقّي الذي يحصل له عموماً ، يُرخّص في التوجّه إلى نورانيّة الأُستاذ الخاصّ والذِّكر النفسيّ الخياليّ لطرد الخواطر بالكامل.[156]

ولو خطر على قلب السالك شيء على سبيل الاختلاس ، فإنّه سيندفع وينطرد حين يدخل في مراتب الذِّكر والتفكّر إن شاء الله تعالى.

أمّا خطر هذه المرحلة ، فهو السقوط في ورطة عبادة الأصنام والكواكب والأجسام. لأنّ التوجّه والالتفات إلى شيء ما يورث الأُنس به ويستتبع حبّه. فإن خطى السالك المتوجّه خارجاً ، ابتُليَ بعبادة ما كان متوجّهاً إليه.

فإن سخّر السالكُ قلبَه وطهّره من نجاسات الخواطر ، وضع قدمه في دائرة الذِّكر. وأهمّ الأُمور في هذه المرحلة ، مراعاة الترتيب ، لأنّ الطالب سيتخلّف بدونه في الطريق ، بل سيبتلى بأخطار عظيمة. ومبادئ الذكر[157] هي حقيقة الذكر ، لأنّ المطلوب

⇐ من الأحوال الثلاث : الحال التي تحصل للسالك إثر «الاستغفار» ، وذِكر «يا فعّال» ، وذِكر «يا باسط».

١٥٦ـ المقصود بالذكر النفسيّ الخياليّ ، هو أن يذكر السالك الذِّكر بلسانه مع التفاته إلى معناه في نفس الوقت.

١٥٧ـ يطلق تعبير «مبادئ الشيء» على ما له ـ مضافاً إلى كونه ⇐

مختفٍ في المذكور .

فالغرض الكلّيّ منها هو التهيّؤ للذكر وتزيين المنزل . وعلى الأُستاذ أن يرشد الطالب إلى الترتيب ، وعلى الطالب أن يلتزم به لأنّه من أوجب الواجبات .

وهناك جماعة طريقتهم في الترتيب أن يستحضروا في البداية الشخص النورانيّ للأُستاذ الخاصّ (وهو الوليّ) ، ثمّ يتعلّمون الذكر الخياليّ القالبيّ ، لكنّي لا أُرخّص في ذلك .[158]

⇦ ابتداء ذلك الشيء ـ جانب العِلّيّة والتسبيب لذلك الشيء .

ولعلّ مراد المصنّف رحمه الله من مبادئ التصوّر الخياليّ ، صورة الأُستاذ العامّ والعمل باسم الوليّ ومسمّاه ، وهي مورثة للذكر ، بل هي ـ بعبارة أُخرى ـ حقيقة الذكر ، لأنّ المراد (وهو المذكور) مختفٍ في الذكر وفي اسم الوليّ ومسمّاه . والهدف الكلّيّ من هذا العمل بالاسم والمسمّى بعد نفي الخواطر ، تهيئة منزل الذهن للذّكر ، وتزيين المنزل لنزول المذكور بالذّكر .

وعليه ، فعلى الأُستاذ أن يأمر الطالب ـ إذا أنهى مقدّمات الذِّكر ـ أن يستمرّ على الذّكر ، وبمراعاة الترتيب في درجات الذِّكر ، وعلى الطالب أن يراعي الترتيب عند تنفيذ أمر الأُستاذ ، لتلافي الوقوع في المنزلقات والمخاطر .

١٥٨ ـ اعلم أنّ الذِّكر في اصطلاح العُرفاء هو غير الوِرد ، إذ الورد عبارة عن الذِّكر اللفظيّ الجاري على اللسان ؛ أمّا الذِّكر فهو التوجّه إلى المعنى بإمراره ـ أو من دون إمراره ـ على القلب . ⇦

لأنّ الغرض الكلّيّ من هذا الترتيب هو الصعود بالرفق، والاحتراز عن غيرة المطلوب بسبب احتمال غفلة القلب عنه وميله إلى المبادئ.

⇐ وذلك لأنّ أصل معنى الذِّكر في اللغة هو التذكّر والتذكير. وإذا ما أُطلق على بعض الأوراد اللفظيّة، فبسبب أنّ اللفظ باعث على التذكير بالمعنى؛ فهم يُطلقون لفظ المسبّب على السبب.

وعلى هذا الأساس، فقد أطلق المصنّف رحمه الله الذكر هنا على الأوراد اللفظيّة، وحيثما جرى الحديث عن الذكر، فإنّ المقصود به هو الأوراد اللفظيّة التي تنقسم إلى عدّة أقسام.

يقول المصنّف رحمه الله: إنّ أهل السلوك لا يعتنون بالذكر القالبيّ بعد طيّهم درجات معيّنة. أمّا في بداية السلوك، فإنّ الذكر القالبيّ يندرج ضمن الأذكار الضروريّة للسالك. والمراتب الأربع من الذكر التي يتوجّب على السالك أن يلتزم بها بالترتيب ـ ابتداء من أوّلها ـ هي بأجمعها من الأذكار القالبيّة.

أمّا الذكر الخفيّ القالبيّ، فمع أنّه أقوى من جميع الأذكار الخياليّة القالبيّة، لكنّ الحاجة إليه ستنتهي بعد طيّ المراحل الثمان للذكر الخياليّ القالبيّ والنفسيّ، وبعد طيّ مرحلة الذكر الخفيّ النفسيّ، وستنتفي ضرورته ـ كما يأتي لاحقاً ـ بعد ارتقاء الدرجات السابقة.

فإن ورد السالك الذكر الأكبر والأعظم بعد طيّه المراحل التسعة السابقة، وبعد طيّه مرحلة الذكر الذاتيّ، فإنّ عليه القيام بها بأجمعها في هيئتها النفسيّة، مع الإعراض عن القالبيّ بشكل كامل، كما ستأتي الإشارة إليه.

فينبغي ـ إذاً ـ الابتداء بما فيه النورانيّة الذاتيّة أخفى، وظهور الغيوريّة فيه أقلّ. ونورانيّة الوليّ أعلى بكثير من الذِّكر الخياليّ القالبيّ.

فالمبدأ ـ إذاً ـ هو ذِكر الصور الخياليّة القالبيّة **لأسماء الله** تعالى.[١٥٩]

والأُستاذ الحاذق ضروريّ في هذه المرحلة، لأنّ روحانيّة المعاني ونورانيّة المسمّى مخفيّة في هذه الأسماء، وهذان الاثنان مؤثّران تامّان في مظهريّة الروحانيّة، حيث تظهر الروحانيّة والنورانيّة في الذاكر بواسطة التوجّه والالتفات إليهما باستمرار، وتؤثّر في أحواله.

وما أكثر ما حصل ـ بواسطة قصور المبتدئ أو تقصيره في بعض المراحل اللاحقة ـ أن اغترّ بهما، فلم تظهر فيه آثارهما ظهوراً تامّاً، وبقي غافلاً عن سائر المظاهر، فسقط لهذا السبب في وادي الهلاك، كالإباحة والتعطيل وإليأس والجنون والفِرعونيّة والإذاعة وأمثال ذلك.[١٦٠]

١٥٩ـ المراد بالذكر الخياليّ القالبيّ هو أن يُجري السالكُ الذِّكر على لسانه دون توجّه إلى معناه.

١٦٠ـ المراد بالإباحة، الإباحة في الأكل والشرب. والمراد ⇦

. . . .

⇐ بالتعطيل، نفي الأحكام كلّيّاً بالمرّة، وبعبارة أُخرى: عدم التكليف.

والمراد بالإذاعة، نشر وإشاعة الأسرار الإلهيّة بين الأجانب.

والأخطار التي ذكرها المصنّف رحمه الله من أهمّ مخاطر السلوك، حيث إنّ استعمال هذه الأذكار وما يشابهها ممنوع من دون إشراف وتربية لأستاذ كامل وعالِم عامل واصل. قيل إنّ علّة انحراف حسين ابن المنصور الحلّاج في إذاعة وإشاعة المطالب الممنوعة والأسرار الإلهيّة، هي فقدان تعلّمه على يد أُستاذ ماهر وكامل ودليل خبير واصل. فقد شرع بالسير والسلوك من تلقاء نفسه، فواجه هذه المخاطر. ولذا فقد رفضه الأعلام من أرباب السلوك والعرفان، ولم يعدّوا له وزناً في نهج المعرفة.

وكمثل الشيخ أحمد الأحسائيّ الذي أراد الوصول بنفسه إلى مقام الحكمة والعرفان، فاعتبر نفسه من أصحاب النظر بمحض مطالعة الكتب الفلسفيّة، فصدرت منه أخطاء كثيرة، مثل الالتزام بتعطيل وانعزال الذات الإلهيّة المقدّسة من الأسماء والصفات، وكمثل الالتزام بأصالة الوجود والماهيّة معاً، وهي أُمور أسقطته عند أرباب العلم والنقّاد المتبصّرين ذوي الخِبرة، وألقت بمؤلّفاته في زوايا النسيان والإهمال.

ولم يُشاهد أيّاً من هذه الأخطار لدى أيّ تلميذ من تلامذة المدرسة التربويّة لآية الحقّ الآخوند المولى حسين قلي الهمدانيّ رضوان الله عليه، مع أنّ كلّاً منهم قد سطع في سماء الفضيلة والكمال سطوعاً بقي نوره إلى الأزمنة التي جاءت بعده. إذ كانوا يبثّون النور والحرارة في شعاع واسع يحيط بمحور ومركز وجودهم المثاليّ والنفسيّ. ⇐

ذلك أنّ القاصر إذا توجّه إلى الأسماء المؤثّرة في الحبّ والرجاء، ظهرت فيه آثار الأُنس والرجاء ورفع التكاليف؛ وإذا توجّه إلى أسماء مظاهر الكبرياء، ظهر فيه الغلوّ والفرعونيّة وخوف اليأس والتعطيل إلى غير ذلك.[١٦١]

⇐ وأنّى يمكن للتأريخ أن يمحو المعارف السلوكيّة العلميّة والعمليّة لآيات من أمثال السيّد أحمد الكربلائيّ الطهرانيّ والحاجّ الشيخ محمّد البهاريّ والحاجّ الميرزا جواد الملكيّ التبريزيّ والسيّد محمّد سعيد الحبّوبيّ، ويودعها في زوايا النسيان؟ ومن هنا كان المرحوم الحاجّ الميرزا علي القاضي رضوان الله عليه يقول: أهمّ ما يلزم في هذا السبيل هو الأُستاذ الخبير والبصير، والإنسان الكامل المتخطّي للهوى، والواصل إلى المعرفة الإلهيّة، الذي طوى ـ مضافاً إلى السير إلى الله ـ ثلاثة أسفار أُخرى، وغدا سائراً متأمّلاً في عالم الخلق بالحقّ.

وكان المرحوم القاضي يقول: لو صرف طالب سلوك طريق الله نصف عمره في التفحّص والبحث من أجل العثور على أُستاذ يدلّه في طريقه، كان محقّاً.

وكان يقول: مَن عثر على الأُستاذ، طوى نصف الطريق.

رحمة الله عليهم أجمعين رحمةً واسعة. اللهمّ أعلِ درجتَهم، واجْعَلهم مع محمّد وآله الطاهرين.

١٦١ـ اعلم أنّ من الممكن على إثر التوجّه إلى الأسماء المؤثّرة في الحبّ والرجاء أن تظهر آثار رفع التكليف. وعلى إثر التوجّه إلى أسماء مظاهر الكبرياء، كاسم شديد العقاب، والعظيم، والكبير، والمنتقم وأمثالها، أن تظهر حالة الغلوّ والفرعونيّة، أو حالة خوف اليأس من ⇐

وهناك كثير لا طاقة لهم بتحمّل المظاهر، فإمّا أن لا تظهر فيهم نورانيّة تلك المظاهر، أو تظهر فتسبّب جنونهم أو ابتلائهم بأمراض عسيرة، مثل الذِّكر الكبير والأكبر والأعظم.[١٦٢]

فإذا عزم السالك على الذكر، فعليه أن يفعل ذلك بعد طيّ المراحل التي تسبقه، والتي أرشده إليها مظهر الذكر.

ويجب ـ بطبيعة الحال ـ أن يبدأ بالأذكار الصغيرة، كما يجب في مراتب الذكر الصغير أن يرقاها السالك بالترتيب.[١٦٣]

وبيان ذلك، أنّ الذكر أقسام:

الخياليّ والنفسيّ والسرّيّ والذاتيّ.

⇦ رحمة الله، فيحصل رفع التكليف، وهذه بأجمعها من الأخطار.

ولذلك فإنّ على الأستاذ أن يسير بالسالك سيراً لا يغلب فيه أثر بعض الأسماء على بعضها الآخر. فإن داوم أحياناً على اسمٍ دواماً أوجب غلبة ذلك الاسم، فمع تعليم ذلك الاسم المعتدل سيجعله إلى حدّ الاعتدال.

١٦٢ـ المراد بالذكر الكبير: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**، وبالذكر الأكبر: **اللَّه**، وبالذكر الأعظم: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**، كما سيأتي.

١٦٣ـ يعني بعد أن يطوي مقدّمات الذكر، وبعد أن يصل إلى محلّ بروز وظهور أوّل مرتبة لظهور ذِكره.

والمراد بالأذكار الصغيرة: ذكر **الحيّ، ويا نور، ويا قدّوس، ومحيط، وعليم** وأمثاله، في مقابل الذكر «الكبير» و«الأكبر» و«الأعظم»، التي ستأتي.

والخياليّ ينقسم إلى القالبيّ والخفيّ.

وكلّ منها ينقسم إلى إثباتيّ وثبتيّ.[١٦٤]

وينقسم كلّ منها إلى جمعيّ وبسطيّ.

كما ينقسم الخفيّ إلى القالبيّ والنفسيّ، ولهذا السبب فقد حصلت للذكر درجات. وكيفيّة صعود هذه الدرجات على هذا النحو:[١٦٥]

١٦٤ـ ما يستفاد من تضاعيف الكلمات اللاحقة في هذه الرسالة أن المراد بالذكر الإثباتيّ هو أنّ الذاكر يكون في مقام ادّعاء وإثبات مضمون الذكر. والمراد بالذكر الثبتيّ هو أنّ القصد هو ثبوت نفس المعنى في الخارج والحقيقة. والإثبات مقدّم على الثبوت بسبب أنّه أقرب إلى بداية حال السالك، وأنّه يتضمّن الكثرة، وأنّه أبعد عن الوحدة.

والمراد بالذكر الجمعيّ هو أن يكون توجّه الذاكر حين الذكر إلى القلب. والمراد بالذكر البسطيّ هو أن يكون توجّه الذاكر إلى الخارج، فهو يبسط الذكر إلى خارج القلب، وذلك مستفاد من أوّل الشرائط الخمسة التي ستأتي، والله العالِم. (هذه الحاشية في هامش الرسالة بخطّ يد العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه، وقد استفسر منه الحقير عن كونها من إنشائه، فردّ بالقول: نعم، وقد استفدتها من «الطرائق»).

١٦٥ـ قال النراقيّ رحمه الله في «الخزائن» ص ٣٣٥: **فائدة**: جاء في بعض رسائل العرفاء أنّ الذكر على سبعة أقسام: القالبيّ، النفسيّ، القلبيّ، السرّيّ، الروحيّ، العيونيّ، وغيب الغيوب.

وبيان ذلك كالتالي: أنّ مداومة الذاكر على ذكر اللسان في بداية ⇦

⇐ الإنابة، التي لم يَسْرِ الذكر خلالها إلى باطنه، ولم يتخطّ سيره في السلوك المحسوسات الجزئيّة، يُدعى بالذكر القالبيّ.

فإن حصل له تبديل بعض الأخلاق الذميمة إثر التكرار والمواظبة، فصار يُدرك أثر الذكر في نفسه، ويسرّ بتعقّل معنى الذكر، دُعي ذِكره حينذاك بالذكر النفسيّ.

فإن بلغ سيره نهاية عالَم العنصر، وصار لنفسه صفاء في الجملة بسبب تبديل بعض الصفات الذميمة، وخمد غبار كدورات الصفات النفسانيّة والبشريّة، أثّرت فيه حلاوة الذِّكر وغلب عليه الشوق المذكور، فصار ذاكراً دونما تحريك لسان، وغدا يسمع أحياناً إنشاد ذكر القلب كصوت قمريّة أو شدو طائر، دُعي ذِكره آنذاك بالذكر القلبيّ.

وسيبلغ سيره في هذه المرحلة إلى بداية الأفلاك. فإن زاد صفاء قلبه، تصرّف فيه إثر نورانيّة الذكر القلبيّ، وفرغ سرّه من الالتفات إلى الغير في الجملة، فدُعي ذكره بالذكر السرّيّ.

وقد يحصل أحياناً إثر تحريك القلب في هذا الذكر، أن يُسمع صوت أشبه برنّة إلقاء أُسطوانة صغيرة في طاس نُحاسيّ. ويصل سير السالك في هذه المرحلة إلى أواسط عالم الأفلاك. فإذا تطهّر سرّ السالك تماماً من التشتّت بالآراء الفاسدة والعقائد المشوّشة، ولم يبقَ للقلب التفات إلى غير المذكور، عبر من نهاية مراتب الأفلاك وبلغ أوائل عالم الجبروت وصار له حُكم الروح، ويُدعى ذلك بالذكر الخفيّ.

ويحصل أحياناً همهمة في الباطن بواسطة غلبة توجّه الذاكر، ويُدرَك صوت كصوت ذبابة تحطّ على خيط حريريّ. فإن انتفت واستترت مراتب الوجود المستعار كلّيّاً في جذبات نور الأنوار، ⇐

الأوّل : الخياليّ القالبيّ الجمعيّ الإثباتيّ ؛ لأنّ القالبيّ أبعد عن محلّ الغيرة ، وله ربّانيّة ونورانيّة أقلّ . والجمعيّ أقرب إلى اجتماع الخاطر وحصول ملَكة اجتماع الحواسّ ؛ والإثبات مقدّم على الثبت .[١٦٦]

الثاني : الخياليّ القالبيّ الجمعيّ الإثباتيّ .

الثالث : الخياليّ القالبيّ البسطيّ الإثباتيّ .

الرابع : الخياليّ القالبيّ البسطيّ الثبتيّ .

الخامس : الخياليّ النفسيّ الجمعيّ الإثباتيّ .

السادس : الخياليّ النفسيّ الجمعيّ الثبتيّ .

السابع : الخياليّ النفسيّ البسطيّ الإثباتيّ .

الثامن : الخياليّ النفسيّ البسطيّ الثبتيّ .

التاسع : الخفيّ النفسيّ . وأمّا الخفيّ القالبيّ فلا يُعتنى به بعد

⇐ وتحقّق بمقام الفناء عن نفسه وعن ما سوى الله ، ارتقى سيره إلى السير في عالم اللاهوت . فلم يبقَ وجود للذكر ولا للذاكر في جنب التجلّي المذكور ، فصار يذكر ذِكره لنفسه ، ولم يبقَ من «الأنا» إلّا الاسم ، ومن الذكر والذاكر إلّا تبادل الأوهام ، دُعي غيب الغيوب .

١٦٦ـ باعتبار أنّ الذكر الجمعيّ هو فقط جمع الذكر في القلب ، وأنّ البسطيّ يتكفّل بسرايته من القلب إلى الخارج وبإجراء التوحيد في سائر المظاهر ، لذا تقدّم الجمعيّ على البسطيّ ، لأنّ غيوريّته منحصرة في القلب ، والبسطيّ راجعة إلى القلب وغيره .

ارتقاء الدرجات السابقة.

العاشر: السِّرِّيّ.

ويجب أن يكون انتهاء البسط في البسطيّ في القلب، فإن كان ابتداؤه من القلب أيضاً، كان أنسب وأولى.[١٦٧]

وهاتان المرتبتان من الذكر بمنزلة السُّلّم الذي يجب أن يُرقى درجةً فدرجة.

ولكن كثيراً ما يكون السالك قويّاً، قد نشر جناحَي العِلم

١٦٧ـ أوضحنا سابقاً أقسام الوِرد، ونُذكِّر هنا بأنّ المراد بالذِّكر القالبيّ هو جريان الذِّكر على اللسان أو على القلب فقط، دون التوجّه إلى معناه.

والمراد بالذِّكر النفسيّ هو جريان الذِّكر على اللسان أو القلب مضافاً إلى توجّه الذاكر إلى المعنى.

والمراد بالذِّكر الخياليّ هو الذِّكر اللفظيّ.

والمراد بالذِّكر الخفيّ هو أن لا يورد الذاكر الذِّكر على لسانه، بل يُمرّه على قلبه فقط، فيكون قلبه هو الذاكر.

ففي ذكر «الله» مثلاً، إذا ما أجراه في قلبه، كان الذكر الخفيّ، وإذا توجّه إلى لفظ «الله» في القلب دونما مروره، فهو الذكر السرّيّ.

والمراد بالذكر الذاتيّ، الذكر الذي يكون الذاكر خلاله ملتفتاً إلى ربّ العزّة بدون تعيّن اسم خاصّ، بل مجرّداً عن جميع الآثار واللوابس، ومجرّداً عن كلّ اسم وصفة، وعن كلّ قيد وتعيّن، كما سيبيّن المصنّف رحمه الله.

والعمل ، فلم يمكنه إلّا ارتقاء بعض هذه الدرجات . والتدريج في جميع الأحوال أسلم . وما لم يتمّ السالك هذه المراحل ، فيجب ألّا يشرع في الذكر الكبير أو الأكبر أو الأعظم ، لأنّها موضع خطورة ، وقد يتعرقل سير السالك بسببها . اللهمّ إلّا أن يكون في تلك الأثناء على درجة كبيرة من القوّة ، وأن يُجيز له الأُستاذ ذلك . بل ما أكثر ـ بعد طيّ هذه الدرجات ـ أن يأمر الأُستاذ السالك بارتقاء بعض هذه الدرجات من جديد ، ويرى أنّ صلاحه في أن يسير في الذكر من جديد .

فإن أتمّ السالك الدرجات ، شرع آنذاك في الذكر الذاتيّ ، وهو على هذا النحو : أن يتوجّه إلى ملاحظة حضرة العزّة ، مجرّداً عن لباس الحرف والصوت ، ومن دون تقييد بصفة مخصوصة عربيّة أو فارسيّة ، ولا يدع ملابسات الحوادث من الجسم والعرض والجوهر تسبّب له إزعاجاً .[١٦٨]

١٦٨ـ هذه العبارة التي أوردها المصنّف رحمه الله مقتبسة من عبارة جامي في شرح رباعيّاته :

از درون سر آشنا و از برون بيگانه وش

اين چنين زيبا روش كم مى بود اندر جهان

يقول : «عارف لباطن السرّ، غريب عن الخارج ، ومثل هذا النهج الجميل قليل في هذا العالَم». ⇦

فإن لم يستطع ذلك لقصوره، فليضع نَصب بصيرته صفةً نوريّة غير متناهية تبعاً لحديث: رَأَيْتُ رَبِّي نُورَانِيّاً [١٦٩]، فإن

⇦ وقد أورد جامي في ص ٧٢ هذا المطلب إلى قوله «فليضع نَصب بصيرته صفةً نوريّة غير متناهية» نقلاً عن بعض العرفاء قدّس الله أسرارهم دونما زيادة ولا نقصان.

١٦٩ـ لم أعثر على هذه الرواية في أيّ من المجاميع الحديثيّة للشيعة والعامّة. نعم روى مسلم في صحيحه، ج ١، كتاب الإيمان، ص ١١١ بإسناده عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذرّ قال:

سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ.

وأورد هذا الحديث بهذا اللفظ كلّ من الترمذيّ وأحمد بن حنبل في مجاميعهما، حسب نقل «المعجم المفهرس».

كما روى مسلم في صحيحه ج ١، كتاب الإيمان، ص ١١١، بإسناده عن عبد الله بن شقيق قال:

قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: رَأَيْتُ نُوراً.

وحسب نقل «المعجم المفهرس» فقد أورد أحمد بن حنبل والترمذيّ في مجاميعهما هذا الحديث بلفظ «رَأَيْتُهُ نُوراً».

وعلى أيّة حال فمع أنّ ضبط الحديث الأوّل قد ورد في الكتب المطبوعة على هيئة الاستفهام «نورٌ أنّى أراهُ»، إلّا أنّ من المحتمل أنّ هذا الضبط من ناشري الكتاب، وأنّ أصل الحديث كان «نورانِيٌّ أراهُ» بياء ⇦

لم يستطع تصوّره بصفة غير متناهية فيتصوّر ما أمكنه تصوّره ، **وآناً فآناً** يرتفع بتصوير نفيه ، ويرتفع بإحاطته ونورانيّته .

وهذه المرحلة من النفاسة بمكان . فإن تخطّى المسافر هذه الدرجات ، انشغل بالذِّكر الكبير ، وهو ذِكر النفي والإثبات المركّب .[١٧٠]

⇐ النسبة ، وبجملة خبريّة . ذلك أنّ راوي الحديث في صورتَيْه شخصٌ واحد ، وهو عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، ومن الأقرب أن نقول إنّ كِلا الحديثَين واحد . منتهى الأمر ، أنّ رواة الحديث نقلوه بالمعنى ، فنجم من ذلك اختلاف لفظ الحديث ، والله أعلم .

١٧٠ـ اعلم أنّ ذكر النفي والإثبات في اصطلاح العرفاء هو مركّب **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ، وأنّهم ينعتونه بالنفي والإثبات لتضمّنه جملتَين : الأولى جملة **لَا إِلَهَ مَوجُودٌ** وهي نفي ، والثانية **اللَّهُ مَوجُودٌ** وهي إثبات . وهم يدعون الجملة بأسرها مركّباً ، مقابل ذكر النفي والإثبات البسيط ، وهو ذكر **لَا إِلَهَ إِلَّا هُو** أو **لَا هُوَ إِلَّا هُو** الذي يشير إلى الذات البسيطة دونما ملاحظة لاسم أو صفة .

بَيدَ أنّ من المعلوم وفق النظر الدقيق أنّ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** لا تتضمّن جملتي نفي وإثبات ، بل هو جملة نفي واحدة لا أكثر .

وبيان ذلك أنّ المستثنى (وهو لفظ **اللَّهُ**) لو كان يُقرأ بالنصب ، كانت الجملة مركّبة من النفي والإثبات ، وكان لكلّ من المستثنى والمستثنى منه مطلب خاصّ . لكنّ المستثنى في هذه الجملة «مرفوع» ، حيث تُقرأ عبارة **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** برفع كلمة **اللَّهُ** باعتبارها بدلاً من **إِلَهَ** المرفوعة محلّاً .

ووفقاً لقواعد العربيّة ، فإنّ أداة الاستثناء « إلّا » إذا اتّصلت ⇐

وذكر النفي والإثبات المركّب هو كلمة **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**، والبسيط **يَا هُو** والأكبر **اللَّه**.

وبعد طيّ المراحل السابقة[171]، فإنّ الذكر القالبيّ في هذه المرحلة والمراحل التي تليها سيكون عبثاً لا فائدة منه، بل ينشغل السالك بالطريق النفسيّ. وهو ذكر في منتهى العظمة، ولأهل الطريق فيه إشارات ورموز كثيرة، وله طرق متعدّدة.

وأفضلها أن يبدأ الذاكر بطريق الجزر والمدّ، ثمّ بطريق التربّع، ثمّ بالطريق الذي يسمّيه المتأخّرون بـ «مجمع البحرَين»[172].

⇦ بالمستثنى، وكان المستثنى منه منفيّاً، فإنّهم يوردونه على البدليّة.

وبملاحظة بدليّة الجملة، فإنّها لن تكون أكثر من جملة نفي واحدة، ويكون المعنى: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَوْجُودٌ**. أي ليس مِن إله إلّا الله. **فتأمّل جيّداً**.

١٧١ـ يعني ذِكر **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**.

١٧٢ـ يقول المرحوم النراقيّ في «الخزائن» ص ٣٣٣: **فائدة في بيان** طرق الذكر الخفيّ «ويدعى أيضاً بالقلبيّ» في كلمة التوحيد:

اعلم أنّ هناك عدّة أنواع من الذكر منقولة عن مشايخ الطريقة في هذا الخصوص:

الأوّل: أنّ الذاكر يفترض دائرة يمتدّ قطرها من موضع سرّته إلى فمه، بحيث إنّ جانبَي الذاكر يشكّلان قوسَي تلك الدائرة. ثمّ يقصد بالكلمة الطيّبة **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** على نحوٍ تبدأ معه من السرّة، وبحيث تنطبق ⇦

. . . .

⇦ كلمة **لَا إِلَهَ** على قوس الطرفَين المتعلّقين بنفسه، ليرجع نفي ذلك إلى قطع تعلّق الذاكر بمشتهيات نفسه ومألوفاتها. ثمّ يُنزل **إِلَّا اللَّهُ** بحيث تنطبق من ابتداء الحلق على قوس اليسار (المتعلّق بالقلب). وعليه أن يحبس نَفَسه قدر الوسع، ثمّ يزفر بقوّة بحيث يتأثّر منها قلبه. والقصد من ذلك إثبات الوحدانيّة وانحصار المطلوبيّة في الذات الأحديّة.

والبعض يؤدّي هذا الذكر بحركة الرأس والبدن بما يقرب من هيئة دائرة محسوسة، ويكتفي البعض الآخر بتصوّر تلك الحركة. وهذه هي طريقة مشايخ النقشبنديّة. وهم يسمّون هذا الذكر بالحمايليّ والهيكليّ.

ونوعه الآخر أن يقوم السالك ـ مع رعاية القوّة وحفظ النفس ـ بوضع رأسه مقابل سرّته، ثمّ يرسم «لا» على القطر المذكور، وينزل «إلهَ» على الجانب الأيمن بالقصد المذكور، ثمّ يرفع «إلّا» على نفس القطر، فينزل «اللهُ» من الجانب الأيسر إلى القلب. ويدعى هذا النوع من الذكر بالخفيّ وبالضربات الأربع.

ونوعه الآخر المسمّى «مجمع البحرين» يقسم فيه الجانبان (وهما السرّة والحلق) إلى دائرتَين كاملتَين، إحداهما دائرة النفي، وهي رفع «لا» على الطريقة المذكورة وإنزال «إلهَ» على الجانب الأيمن، بحيث إذا اتّصل بالسرّة من جديد، فإنّه سيكون على هيئة دائرة تشكّل هاتان الكلمتان قوسَيها. وليتصوّر تلك الدائرة دائرة الإمكان، بحيث إنّ أيّ ممكن لا يقع خارجها، من أجل أن يقع الجميع داخل دائرة النفي. والأخرى دائرة الإثبات، وهي رفع «إلّا» حسب الطريقة المذكورة وإنزال كلمة «اللهُ» على الجانب الأيسر على الهيئة المذكورة، بحيث يكونان قوسَي هذه الدائرة التي هي دائرة الوجوب في التصوّر. ⇦

هكذا ذكروا ، أمّا أنا فأُرجّح تقديم مجمع البحرين على التربّع . أمّا حَبس النفَس ، والتوجّه إلى القلب الصنوبريّ ، وتصوّر خروج جميع الحروف من اللسان والقلب[١٧٣] ، وخلوّ المعدة، وزيادة العدد بالرفق ، والابتداء بالبسملة ، والاستقبال والتربّع في الجلوس وإغماض العينَين ، فهي أُمور ضروريّة ، إلّا في غير حال الخلوة . ومن الأُمور اللازمة : الجلوس في مجمع البحرَين مربّعاً

⇐ وقال الشيخ نجم الدين الرازيّ في «مرصاد العباد» : لقد علّم جبرئيل هذا الذكر لسيّد المرسلين ، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم يشتغل به بعد فريضة الغداة ، ثمّ علّمه صلّى الله عليه وآله وسلّم لصاحب سرّه ووليّ عهده عليّ المرتضى ، وانتقل منه إلى أولاده الأطهار .

هذا ، وقد فسّر أرباب العرفان الآية الشريفة : **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ** (الآية ٢٠٥ ، من السورة ٧: الأعراف) بهذا الذكر ، واعتبروا أنّ عطف **دُونَ ٱلْجَهْرِ** سوى عطف **ٱذْكُر رَّبَّكَ** ، وأنّ كلمة **دُونَ** بمعنى القريب ، وفسّروه بالذكر الإخفاتيّ الذي هو وسط بين الجهر والإخفات ـ انتهى .

أقول : أراد ذلك المرحوم بالنوع الأوّل طريقة الجزر والمدّ ، وأراد بالنوع الثاني (الضربات الأربع) المربّع الذي ذكره المصنّف رحمه الله . ومن هنا فإنّ مراد المصنّف من التربّع والجزر والمدّ ومجمع البحرين واضح بما ذكره النراقيّ رحمه الله .

١٧٣ـ لأنّ الكلام في الذكر وليس في الوِرد ، لذا يجب ألّا يجري الذكر على اللسان ، بل يجب أن يتصوّر خروجه على اللسان والقلب .

مُجَنّحاً ، والخلوة مع غير المحارم ، ومع النساء والعوامّ وأرباب العقول الناقصة . ومن المستحسن إلصاق اللسان بسقف الفم ، وجعل وقت الذكر في الليالي والأسحار وعقيب الفرائض .

ويجب لحاظ هويّة الذات في جميع الأحوال ، وأن يقول بعد إرادة قطع الذكر بلسانه وقلبه مخاطباً الله تعالى : **أَنْتَ مَقْصَدِي وَرِضَاكَ مَطْلَبِي وَبِرَحْمَتِكَ اسْتِغَاثَتِي .**

ثمّ ينشغل بعد ذلك بالذكر الأكبر[١٧٤] ، فيبدأ بالخفيّ ثمّ بالسرّيّ . والأولى أن يبدأ بحرف النداء وينتهي بدونه . ويستحسن مدّ الله . ثمّ يشرع بالذكر الأعظم[١٧٥] وهو النفي والإثبات البسيط ، وهو آخر درجات الذكر .

ويجب ألّا يخلو في جميع هذه الدرجات من الذكر الذاتيّ ، **وَلَكِنَّ اللَهَ المَذْكُورَ غَرِيمٌ لَا يُقْضَى دَيْنُهُ ، رَزَقَنَا اللَهُ الوُصُولَ إلَى المَقْصَدِ .**

قال أحد الأعلام :

إذَا أَرَادَ اللَهُ أَنْ يُوَلِّيَ عَبْداً فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الذِّكْرِ ، ثُمَّ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ القُرْبِ ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيِّ التَّوْحِيدِ ، ثُمَّ رَفَعَ

١٧٤ـ يعني الله .

١٧٥ـ مراده لا إلهَ إلّا هو ، أو لا هو إلّا هو .

الحُجُبَ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ دَارَ الفَرْدَانِيَّةِ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْهُ الكِبْرِيَاءَ، ثُمَّ صَارَ العَبْدُ فَانِياً وَبَرَاءً مِنْ دَعَاوَى نَفْسِهِ.[176]

أمّا وقد علمتَ مراتب الذكر، فاعلَم أنّ خمسة أشياء تلزم السالك في أوقات الذكر وأزمنته:

الأوّل: أن يتصوّر في حال الذكر خيال اسم الأُستاذ الخاصّ، الذي هو وليّ الولاية الكبرى بطريق الذكر.[177]

وليجعل مقامه في (الذكر) الجمعيّ في القلب أدنى من مقام الذكر، أو في أسافل الصدر أدنى من محاذاة الذكر، استشفاعاً

١٧٦ـ هذه العبارة لأبي سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز الذي أدرك مصاحبة ذي النون المصريّ وسَرِيّ السَّقَطيّ وبِشر الحافي.

ويقول الشعرانيّ في ج ١، ص ٩٢ من «الطبقات»:

وكان يقول (أي الخرّاز): **إذَا أَرَادَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوَالِيَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، فَتَحَ لَهُ بَابَ ذِكْرِهِ، فَإذَا اسْتَلَذَّ بِالذِّكْرِ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ القُرْبِ، ثُمَّ رَفَعَهُ إلَى مَجْلِسِ الأُنْسِ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيِّ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ الحُجُبَ فَأَدْخَلَهُ دَارَ الفَرْدَانِيَّةِ، وَكَشَفَ لَهُ عَنِ الجَلَالِ وَالعَظَمَةِ. فَإذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الجَلَالِ وَالعَظَمَةِ بَقِيَ بِلَا هُوَ، فَحِينَئِذٍ صَارَ العَبْدُ فَانِياً، فَوَقَعَ فِي حِفْظِ اللَهِ وَبَرِئَ مِنْ دَعَاوَى نَفْسِهِ.**

١٧٧ـ يعني بطريق الذكر: المرآتيّ والآليّ، لا الاستقلاليّ، لأنّ اسم الأُستاذ الخاصّ هو مرآة الحقّ، لذا فإنّ ذلك الاسم أو اسم الأُستاذ العامّ، وبصورة عامّة: كلّ نوع من أنواع تصوّر الوليّ يجب أن يكون مرآتيّاً.

**إذَا تَجَلَّى حَبِيبِي فِي حَبِيبِي		فَبِعَيْنِهِ أَنْظُرْ إلَيْهِ لَا بِعَيْنِي**

للذاكر.[١٧٨]

فإن هو جعل اسم الرسول في المقام الأوّل، والخليفة في المقام الثاني، كان أفضل وأولى.[١٧٩]

وليجعل مقام الأُستاذ في (الذكر) البسطيّ على يمين الصدر بين الثدي الأيمن والعضد، فإن هو تخطّى الذكر القالبيّ[١٨٠]، فإنّه

١٧٨ـ يعني أن عليه جعل مقام الأُستاذ الخاصّ أوطأ من مقام الذكر الذي يجريه في أيّ موضع من قلبه. أو أن يجعل الذكر في القلب، ويجعل مقام الأستاذ الخاصّ في أسفل الصدر، بحيث ينخفض مستواه عن مستوى محاذاة الذكر.

١٧٩ـ يعني أمّا الاسم العنوانيّ للرسول (وهو نفس الرسول)، والاسم العنوانيّ للخليفة (وهو الخليفة)، أو الاسم الحقيقيّ للرسول (أي محمّد) والاسم الحقيقيّ للخليفة (أي عليّ).

والمراد من اسم الأُستاذ الخاصّ والوليّ أيضاً إمّا الاسم العنوانيّ، مثل صاحب الأمر وصاحب الزمان والوليّ، وإمّا الاسم الحقيقيّ، وهو محمّد.

١٨٠ـ ذلك أنّ الذكر القالبيّ هو أحد نوعَي الذكر الخياليّ. ولذلك فلا يمكنه في حال الذكر الخياليّ الجمعيّ أو البسطيّ ـ الذي عُيّن فيه مقامٌ خاص لتصوّر الأُستاذ الخاصّ في القلب أو في أسفل الصدر أدنى من مقام الذكر ـ أن يجعل الشبح النورانيّ للرسول والوليّ في المقام المذكور.

ولذلك، وبقرينة قوله «فإن هو تخطّى الذكر القالبيّ، فإنّه سيداوم ⇦

سيداوم على جعل الشبح النورانيّ للرسول والوليّ في المقام المذكور، (متواضعاً للمذكور مُستشفعاً للذاكر).[١٨١]

ولو تصوّر في هذه الحالات الأُستاذ العامّ أيضاً خارج الجسم على جهة اليسار بفاصلة قليلة، مواجهاً إلى صورة الذكر ملتفتاً إليها متواضعاً مستشفعاً للذاكر، كان أولى وأنسب.[١٨٢]

⇐ على جعل الشبح النورانيّ للرسول والوليّ في المقام المذكور» يتّضح أنّ مراده من الذكر الخياليّ الجمعيّ أو البسطيّ الذي يجب فيه تصوّر اسم الأُستاذ الخاصّ، إنّما هو خصوص نوعه القالبيّ.

أمّا في نوعه النفسيّ، وكذلك في الذكر الخفيّ والسرّيّ والذاتيّ، فإنّ عليه أن يداوم ـ حال الذكر وغيره ـ على جعل الشبح النورانيّ للرسول والوليّ في ذلك المقام.

١٨١ـ يعني أنّ عليه أن يتصوّر الشبح النورانيّ للرسول والوليّ في المقام المذكور في حال من التواضع مقابل المذكور (وهو الله)، واستشفاع للذاكر السالك.

١٨٢ـ يعني أن يتصوّر السالكُ الأُستاذ العامّ خارج الجسم في الجهة اليسرى، متّجهاً بوجهه إلى صورة الذكر، وفي حال تواضع تجاه صورة الذكر، بخلاف تصوّر الأُستاذ الخاصّ الذي يكون في حال تواضع تجاه المذكور.

ومن هنا فإنّ تصوّر الأُستاذ الخاصّ والأُستاذ العامّ يختلف من جهتَين: الأُولى: أنّ مقام الأُستاذ الخاصّ في الداخل وليس في الخارج. الثانية: بلحاظ حال تواضعهما.

وقد ذُكر هذان التصويران[١٨٣] بصورة مُجملة.[١٨٤]

فإن قصدوا التوجّه إلى هذين التصويرَين حال الذكر على جهة اللزوم أو الأولويّة، بحيث يقترن ذلك بالذكر على الدوام، تنافى مع جمع الخاطر وحفظه عن التفرقة، ومع السعي في التوجّه إلى الواحد، بل يمنع الذاكر عن الذكر البتّة. ولهذا السبب فقد كان أُستاذي ينهاني عن هذا الطريق أشدّ المنع، ويقول: على الذاكر أن يتصوّر هذا التصوير في أوائل الليل والنهار وفي بداية الذكر ونهايته فقط. أجل، لو اشتغل ـ قبل الشروع في طيّ درجات الذكر ـ ببعض درجات الذكر[١٨٥] واشتغل في اسم الوليّ ومسمّاه، كان ذلك حسناً،

١٨٣ـ يعني تصوير الأُستاذ الخاصّ والأُستاذ العامّ.

١٨٤ـ بل مراد القوم هو أن يتصوّر الأُستاذ العامّ والأُستاذ الخاصّ حال الذكر بالكيفيّة المذكورة. وهذا المعنى في منتهى الصعوبة، وخاصّةً في بداية الأمر، بلحاظ التوجّه إلى الواحد والسعي في عدم التفرقة. إلّا أنّ هذه المنافاة ستزول تدريجيّاً وتسهل على إثر ازدياد قوّة الذاكر، فيمكنه ـ من ثمّ ـ أن يتصوّر في وقت واحد الأُستاذ ويشتغل بالذكر على نحو جيّد. وهذا النحو له الأثر البالغ على تقدّم السالك الذي يزيد على تصوّر الأُستاذ في أوائل الليل والنهار، وفي بداية الاشتغال بالذكر والفراغ منه كما قاله المصنّف رحمه الله.

١٨٥ـ المراد ببعض درجات الذكر، أن يتصوّر الذاكرُ الأُستاذ على نحو الذكر الخياليّ النفسيّ، أو على نحو الذكر الخفيّ القالبيّ، أو الخفيّ ⇦

وسبب سريان المحبّة.

وستتّضح في هذه الأحوال حالة هي حقيقة الرسول والخليفة[186]، ويمكن اختبار الأُستاذ العامّ بمثلها، بَيدَ أنّ بيانها

⇐ النفسيّ؛ بمعنى أنّ من المستحسن أن يتصوّر الأُستاذ الخاصّ أو العامّ مدّة، قبل أن يرد في درجات الذكر، مع توجّهه إلى الاسم والمسمّى، ومع إعراضه عن المعنى والحقيقة. أو إمرار ذلك في القلب مع ـ أو بدون ـ التوجّه إلى المعنى، وهو ممّا يوجب سريان المحبّة.

١٨٦ـ يعني أنّ حقيقة الرسول والخليفة ستطلع على الذاكر بالنورانيّة على إثر التوجّه لهما وبسبب كثرة الممارسة في هذا المعنى، وهذا هو المطلب الذي ذكره المصنّف سابقاً من أنّ الأُستاذ الخاصّ سيعرّف نفسه في نهاية المطاف.

أمّا إذا بلغ الذاكر إلى مقام الطهارة، وأضحى ضميره مجلوّاً عن الأكدار، وصارت له مرتبة عظيمة في الذكر، فإنّ بإمكانه ـ من خلال التوجّه التامّ إلى حقيقة شخص ما ـ أن يعرف ما إذا كان أُستاذاً عامّاً يمكنه إعانة غيره أم لا، ولذا ستتّضح درجة وميزان حقيقة ذلك الشخص من خلال التوجّه إليها.

وأمّا إذا لم يبلغ الذاكر مرتبة الطهارة ولم يصبح ذا مرتبة عظيمة في الذكر، فإنّه إذا نظر بنظره الملوّث وتوجّه إليه، فإنّ صورة ذلك الشخص ستنطبع على إثر التكرار والممارسة في ذهن الذاكر، فيخال للذاكر بسبب انطباع صورة ذلك الشخص ومحبّته أنّه من الكاملين، مع أنّه قد يكون غير كامل، بل قد يكون من الأبالسة وقطّاع طريق الله.

أو أن ينظر هذا الذاكر مثلاً ذو الذهن الملوّث إلى أحد أولياء الله ⇐

متعذّر، إذ ما أكثر أن سبّبت حرف غير صاحب المرتبة العظيمة في الذكر عن الجادّة، وأظهرت الحقّ في هيئة الباطل والعكس صحيح.

الثاني: الذكر الكلاميّ: وأهل الفنّ لا يطلقون عليه اسم الذكر، بل يسمّونه الوِرد، وهم لا يعيرون للذكر القالبيّ أهمّيّة، بل حيثما ذكروا الوِرد، قصدوا به نوعه النفسيّ.

والأوراد في أوقات الذكر كثيرة، ويكفي الطالب ما سأذكره بطريقي. وأفضل أوقاته عند السَّحَر، وبعد الفريضتَين: الصبح والعشاء، وفي جميع أوقات الذكر. وليكرّر وِرد كلمة النفي والإثبات المركّب والبسيط واسم «محيط» و«يا نور» و«يا قدّوس» بعد الفريضتَين، ألف مرّة لكلّ وِرد. وكذلك وِرد «محمّد رسول الله» و«يا عليّ» مع حرف النداء، ويجوز ذكره في الليالي بدون حرف النداء[١٨٧]. ووِرد ألف مرّة «التوحيد» في الليالي نفيس؛

⇐ الحقيقيّين ويتوجّه إليه، فيلفيه في قلبه الملوّث ملوّثاً، ويحسبه مبطلاً.

ويستنتج ممّا ذُكر أنّ من غير الممكن إدراك نورانيّة الأشخاص أو اختبار الأُستاذ العامّ عن طريق التوجّه إلى الحقيقة والمعنى من قِبل الأُشخاص غير الكاملين.

١٨٧ـ أي أنّ هذين الوِردين جديران بالذكر، إلّا أنّ المصنّف ⇐

ولا يغفلنّ عن المداومة على هذا الوِرد :

بِسْمِ اللَـهِ الرَّحْـمَنِ الرَّحِـيمِ ، اللَـهُمَّ إنِّـي أَسْأَلُكَ بِـاسْمِكَ المَكْنُونِ ، المَخْزُونِ ، السَّلامِ ، المُنْزِلِ ، المُقَدَّسِ ، الطَّاهِرِ المُطَهَّرِ ، يَا دَهْرُ ، يَا دَيْهُورُ ، يَا دَيْهَارُ[188] ، يَا أَزَلُ ، يَا هُو ، يَا هُو ، يَا هُو ، يَا لَا إلَهَ إلَّا هُو ، يَا مَنْ لَا هُوَ إلَّا هُو ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ ما هُوَ إلّا هُو ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ إلَّا هُو ، يا كَائِنُ يا كَيْنَانُ ، يَا رُوحُ ، يَا كَائِناً قَبْلَ كُلِّ كَوْنٍ ، يا كَائِناً بَعْدَ كُلِّ كَوْنٍ ، يَا مُكَوِّناً لِكُـلِّ كَـوْنٍ ، آهـياً شراهيّاً[189] ، يا مُجَلِّيَ عَظَائِمِ الأُمُورِ ، سُبْحَانَكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ ، سُبْحَانَكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ ، «فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْـعَظِيمِ» [الآيـة

⇐ رحمه الله لم يعيّن لهما عدداً . ومن الممكن أن يؤدّى وِرد «محمّد رسول الله» بالعدد الكبير ، وهو «٢٤٥» ، و«يا عليّ» مع حرف النداء وبدونه ، أي بعدد «١٢١» و«١١٠» . والمراد بالتوحيد : سورة التوحيد المباركة .

١٨٨ـ والدَّيْهَارُ والدَّيْهُورُ صيغة مبالغة من الدهر ، والمراد بالدهر : الله تعالى ، وقد ورد في الحديث : **لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ .**

١٨٩ـ قال سماحة الأستاذ العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه : كان المرحوم آية الحقّ الحاجّ الميرزا علي القاضي رضوان الله عليه يقول : يجب أن تُلفظ هاتان الكلمتان على هذا النحو : **أَهْـيَاً شَـرْأَهْيَاً** ، وقال العلّامة الطباطبائيّ : هما كلمتان عبريّتان ، ومعناهما بالعربيّة : **يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ .**

١٢٩ ، من السورة ٩ : التوبة] ، «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» [الآية ١١ ، من السورة ٤٢ : الشورى] .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

الثالث : المناجاة : وأفضلها العلويّة والسجّاديّة .

الرابع : التفكّر : وهو من الشرائط العظيمة . وعلى السالك في أوان الخلوّ من الذكر أن لا يُخلي نفسه منه .

وعليه في ابتداء الأمر أن يتفكّر في آثار القدرة الإلهيّة ، ورأفة الله ، وعظمته ، وفي خاتمة أمره ، وأعماله ، وفيما بعد الموت وأمثال ذلك ممّا ورد في كتب الأخلاق ، وليتفكّر في دقائق أحكام الرسول ، ورأفته ، ورحمته ، وخلفائه ، وسعيهم في إصلاح معاد الرعيّة وأُمور معاشهم .

ثمّ يجعل تفكّره في أواسط الأمر في ارتباطه بالخالق ، وفي ملاحظة أمر مخلوقيّته وعبوديّته وذلّه أمام خالقه ، وفي انتسابه إلى الرسول وخلفائه ، وفي ارتباط كلّ مخلوق بالخالق الواحد ، وانتهاء جميع النسب إلى منسوب إليه واحد ، ليبعث ذلك على حصول الشفقة والعطف على جميع الأشياء . ويمكن للبصير العالِم تعيين مجاري فكره في جميع الأحوال ، والمقصود هو عدم الخلوّ من

التفكّر، **وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ إِدْمَانُ الفِكْرِ فِي اللَهِ وَفِي قُدْرَتِهِ**، وقد أشار أبو عبد الله عليه السلام إلى ذلك.[١٩٠]

الخامس: المداومة على جميع الأذكار والأوراد:

من أجل أن تظهر فعليّتها بأسرها. وأثرها في أقلّ من الأربعين ضعيف جدّاً، إلّا الأوراد التي وردت بقدر معيّن.[١٩١]

١٩٠ـ روى الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٥٥، بإسناده المتّصل عن الصادق عليه السلام قال: **أَفْضَلُ العِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللَهِ وَفِي قُدْرَتِهِ.**

ورواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥ (كتاب الأخلاق)، ص ١٩٤، عن «الكافي».

كما روي في «الكافي» ص ٥٤ من الجزء المذكور (ورواه عنه المجلسيّ في نفس الجزء من «البحار» ص ١٩٣) أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: **نَبِّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ، وَجَافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ، وَاتَّقِ اللَهَ رَبَّكَ.**

وروى المجلسيّ هذه الرواية في ص ١٩٥ (من نفس الجزء) عن «جامع الأخبار» بلفظ «**جَافِ عَنِ النَّوْمِ**» بدلاً من «**جَافِ عَنِ اللَّيْلِ**».

وروي في «الكافي» ص ٥٥؛ و«البحار» ص ١٩٤ (عن «الكافي») عن معمّر بن خلّاد قال: **سَمِعْتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:**

لَيْسَ العِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، إِنَّمَا العِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١٩١ـ مثل **إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ** التي ورد قراءتها ألف مرّة في كلّ ليلة من ⇦

وما أكثر ما يبقى مشتغلاً في مرتبة الأربعينيّات ، وهو ما يُصطلح عليه بـ «الإقامة» .

ومن الأُمور المؤكّدة في جميع الأحوال : تقليل اللذائذ والأطعمة الدسمة ، سيّما اللحوم والأغذية اللذيذة .

وهذا هو طريق السلوك وآدابه .

⇐ ليالي شهر رمضان ، وكمثل سورة الدخان التي ورد قراءتها مائة مرّة في كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان ، وأمثال ذلك .



الفصل الثالث

آثار السلوك

وأمّا آثار السلوك وفيوضاته ، فممّا يراه السالك عياناً ، ومن جملة آثاره حصول الأنوار في القلب . وتبدأ في هيئة مصباح ، ثمّ تستحيل شعلة ، فكوكباً ، فقمراً ، فشمساً ، ثمّ تأفل وتتجرّد عن اللون والشكل . وكثيراً ما تكون في هيئة برق يومض ، وتكون أحياناً في هيئة مشكاة وقنديل ، وهذان الاثنان يحصلان ـ أكثر ما يحصلان ـ على إثر الفعل[١٩٢] والمعرفة و سوابق الذكر . ويشير إلى المرتبة الأُولى قول الباقر عليه السلام الذي رواه ثقة الإسلام في «الكافي» ، حيث قال عليه السلام في بيان أنواع القلوب :

وَقَلْبٌ أَزْهَرُ أَجْرَدُ ، فَقُلْتُ : وَمَا الأَزْهَرُ ؟ فَقَالَ : فِيهِ كَهَيْئَةِ السِّرِاجِ ... إلى أن قال : **وَأَمَّا القَلْبُ الأَزْهَرُ فَقَلْبُ المُؤْمِنِ** .[١٩٣]

١٩٢ـ لا يظهر المشكاة والقنديل ـ غالباً ـ مع وجود سوابق الذكر ، بل يظهران حال الفعل ، كالصلاة والوِرد .

١٩٣ـ روى الكلينيّ هذه الرواية في «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٢٢ ، بإسناده المتّصل عن سعد ، عن أبي جعفر عليه السلام بهذه الكيفيّة ، قال عليه السلام :

إِنَّ القُلُوبَ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ فِيهِ نِفَاقٌ وَإِيمَانٌ ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ ، وَقَلْبٌ ⇦

....

⇐ مَطْبُوعٌ، وَقَلْبٌ أَزْهَرُ أَجْرَدُ، فَقُلْتُ: وَمَا الأَزْهَرُ؟ قَالَ: فِيهِ كَهَيْئَةِ السِّرَاجِ. فَأَمَّا المَطْبُوعُ فَقَلْبُ المُنَافِقِ، وَأَمَّا الأَزْهَرُ فَقَلْبُ المُؤْمِنِ، إنْ أَعْطَاهُ شَكَرَ، وَإنِ ابْتَلَاهُ صَبَرَ. وَأَمَّا المَنْكُوسُ فَقَلْبُ المُشْرِكِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: «أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ». فَأَمَّا القَلْبُ الَّذِي فِيهِ إيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا بِالطَّائِفِ، فَإنْ أَدْرَكَ أَحَدَهُمْ أَجَلُهُ عَلَى نِفَاقِهِ هَلَكَ، وَإنْ أَدْرَكَهُ عَلَى إيمَانِهِ نَجَا.

وروى المجلسيّ نفس هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ١٥، (الجزء الثاني) ص ٣٧، عن «معاني الأخبار» بلفظ «أزهر أنور» بدلاً من «أزهر أجرد».

كما روى الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٤٢٣؛ ورواها المجلسيّ في «البحار» ص ٣٧ من نفس الجزء، نقلاً عن «معاني الأخبار»، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

القُلُوبُ ثَلَاثَةٌ: قَلْبٌ مَنْكُوسٌ لَا يَعِي شَيْئاً مِنَ الخَيْرِ، وَهُوَ قَلْبُ الكَافِرِ؛ وَقَلْبٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَالخَيْرُ وَالشَّرُّ فِيهِ يَعْتَلِجَانِ، فَأَيُّهُمَا كَانَتْ مِنْهُ غَلَبَ عَلَيْهِ؛ وَقَلْبٌ مَفْتُوحٌ فِيهِ مَصَابِيحُ تَزْهَرُ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ قَلْبُ المُؤْمِنِ.

وروى الكلينيّ في «أُصول الكافي» ج ٢، ص ٤٢٢، عن الصادق عليه السلام قال: تَجِدُ الرَّجُلَ لَا يُخْطِئُ بِلَامٍ وَلَا وَاوٍ خَطِيباً مِصْقَعاً، وَلَقَلْبُهُ أَشَدُّ ظُلْمَةً مِنَ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ وَتَجِدُ الرَّجُلَ لَا يَسْتَطِيعُ يُعَبِّرُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ المِصْبَاحُ.

وأورد المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٥، (الجزء الثاني) ص ٣٥، ⇐

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض هذه المراتب في قوله:

قَدْ أَحْيَى قَلْبَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ. [١٩٤]

وأحد بطون الآية الكريمة **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** شرح هذه المراحل، إذ إنّ الشخص الإنسانيّ يؤول في هذه الأحوال إلى مشكاة فيها «زجاجة»، وهي القلب؛ وفي الزجاجة «مصباح»، وهو النور المذكور؛ يصبح القلب بعد انتشاره كأنّه «كوكب درّيّ»؛ يُوقَدُ نور الشجرة المباركة ذات النفع الكثير، وهي نورانيّة وروحانيّة ذِكر الله، لم يحصل من شرق ولا غرب، بل ظهر من طريق الباطن الذي لا شرق فيه ولا غرب، **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**[١٩٥]،

⇐ عن «أسرار الصلاة»، قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: **قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَجْرَدُ وَفِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ...**.

١٩٤ـ وردت خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في «شرح النهج» للمولى فتح الله، ص ٣٥٦؛ وفي «شرح النهج» لمحمّد عبده، ص ٣٤٩:

قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.

١٩٥ـ الآية ٣٥، من السورة ٢٤: النور.

يعني : إذا لم يغفل عن ذِكر الله ، إذ الغفلة توجب مقارنة الشيطان بنصّ : **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**[196] ، والشيطان مخلوق من نار ؛ **نورٌ على نورٍ** ، يزداد نورها حتّى تغدو بأجمعها نوراً .[197]

وَهَذِهِ الزُّجَاجَةُ (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ).[198]

١٩٦ـ الآية ٣٦، من السورة ٤٣ : الزخرف .

١٩٧ـ فسّر المصنّف رحمه الله هذه الآية على هذا النحو : أنّها شجرة مباركة كثيرة النفع ، لا شرقيّة ولا غربيّة ، دائمة الفيض إذا لم تمسسها (أي لم تمسّ الشجرة) نار الغفلة ، ولم يقترن بها الشيطان المخلوق من النار .

وسيكون هذا التفسير تامّاً لو انعدمت «الواو». بل المراد أنّـها ذلك الزيت يُنير دائماً **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ** (التي تُفيض النور)، إذ إنّه يتشعشع بذاته ومن تلقاء نفسه .

١٩٨ـ باعتبار أنّ المصنّف رحمه الله قد فرض المشكاة شخص الإنسان ، وفرض الزجاجة قلبه ، فإنّ شخص الإنسان النورانيّ القلب لمّا كان في مقام الخلوة والذِّكر ، فإنّنا إذا اعتبرنا «هذه الزجاجة» المبتدأ المحذوف الذي خبره «في بيوت» ، فيكون المراد من البيوت بدن الإنسان . لأنّ ذلك القلب النورانيّ ـ الذي هو عالَم المثال ـ في بيت البدن . وإذا اعتبرنا «هذه المشكاة» هي المبتدأ المحذوف ، فيكون المراد بالبيوت : مقام الخلوة والذكر . يعني أنّ الإنسان النورانيّ القلب في بيت الخلوة والذكر.

⇦

ويقـول تعالى في بيان مَثَل نـوره: **﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾**.[199]

ومن جملة الآثار، ظهور صوت في القلب. وهو نشيد يشبه في بداية الأمر صدح طائر أو شدو قمريّة. ثمّ يكون أشبه برنّة إلقاء أُسطوانة صغيرة في طاس نحاسيّ، ثمّ تكون همهمة في البـاطن تُدرك أشبه بصوت ذبابة تحطّ على خيط من الحرير.

ثمّ يخمد لسان القلب، ويوكل القلبُ الذِّكرَ إلى الروح.

⇦ لكنّنا إذا اعتبرنا أنّ المبتدأ المحذوف هو «هذه الزجاجة»، فإنّ مـن الممكن أن يكون المراد من البيوت، مقام الخلوة. يعني أنّ ذلك القلب النورانيّ الذي يتشعشع النور من باطنه، هو مقام الذِّكر والخلوة. وهذا المعنى أنسب من أن يُراد بالبيوت في هذا الفـرض بـيت البـدن، كـما لا يخفى على المتأمّل.

١٩٩ـ يعني أنّه يقول في بيان تحقّق هذا النور ومصداقه: إنّ في تلك البيوت رجالاً يُسبّحون للّه كلّ صباحٍ ومساء.

الفصل الرابع

طريق ذكر المؤلف رحمة الله عليه

وأختم هذه التُّحفة بطريق ذِكري على نحو الإجمال :

اعلم أنّي لمّا أردتُ السلوك عازماً على المجاهدة الكبرى والعظمى ، وقصدت السير في وادي الذِّكر ، فقد شمّرت عن همّتي في التوبة ممّا كنت أفعل ، وهجرت العادات والتقاليد ، ثمّ انهمكت في أربعينيّات الأذكار ، وجعلتُ في الأربعين أربعيناً .[200]

وقد علّمني أُستاذي في الذكر الخياليّ اسم «الحيّ» الذي تعلّمه من الآية الكريمة : **هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** .[201]

لأنّ الله جعله مقدّمة الإخلاص ومنهجاً لحمده .[202]

٢٠٠ـ المراد بـ«الأربعين في الأربعين» ، أربعين أربعيناً ، أي : أنّي كنت أشتغل في أربعين ذكر خاصّ ، فأُضاعفه أربعين مرّة . أو أنّي كنت أُضاعف أصل الذكر الذي كنت أقوم به في الأربعين ، فأجعله أربعين ضِعفاً . وأهل السلوك يشتغلون بـ«الأربعين في الأربعين» بكِلا الطريقَين المشار إليهما .

٢٠١ـ الآية ٦٥ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٢٠٢ـ التعبير بتقديم «الحيّ» للإخلاص غير تامّ ، بل تحقّق وثبوت ⇦

وهو ـ مع وجود كلّ هذه النورانيّة والروحانيّة ـ يلائم جميع الأمزجة، ويبعث القلوب الميّتة، بعيداً عن سائر الأخطار المختلفة. وأكثر الروايات الواردة في الاسم الأعظم لا تخلو من هذا الاسم المكرّم، كما ورد في كتاب «مُهج الدعوات»[٢٠٣]. فالظاهر

⇐ الحياة الانحصاريّة للّه هي التي عُدّت سبباً للإخلاص. ولمّا كانت الحياة منحصرة في الله، فإنّ مظاهر الجمال في جميع الموجودات منحصرة فيه أيضاً. ولذلك تكون جميع مراتب الحمد والشكر مختصّة بذاته المقدّسة. ومن هنا فإنّ انحصار الحياة في الله، الذي عُبّر عنه باسم «الحيّ» هو منهج انحصار الحمد في ذاته المقدّسة.

٢٠٣ـ أورد ابن طاووس في «مهج الدعوات»، من ص ٤٣٢ إلى ٤٣٩، روايات في تعيين الاسم الأعظم، يستفاد منها أنّ اسم «الحيّ» هو الاسم الأعظم. كقوله في ص ٤٣٢ أنّه رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ الاسم الأعظم هو «يا حيّ ويا قيّوم». وقال في ص ٤٣٤ بأنّ البعض روى عن النبيّ أنّ الاسم الأعظم الذي يستجاب به الدعاء في ثلاث سور: في سورة البقرة: «آية الكرسيّ»: **ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ**، وفي سورة آل عمران: **الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ**، وفي سورة طه: **وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ**. وقال في ص ٤٣٩ بأنّه روي عن سكّين بن عمّار، أنّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام كان يقرأ الاسم الأعظم في سجوده تحت الميزاب، وهو:

يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ، يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ، يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيُّ لَا يَمُوتُ، يَا حَيُّ لَا يَمُوتُ، يَا حَيُّ لَا يَمُوتُ، يَا حَيُّ حِينَ لَا حَيَّ، يَا حَيُّ حِينَ لَا حَيَّ، يَا حَيُّ ⇐

أنّه هو الاسم الأعظم .

وهو ـ مع ذلك ـ مكوّن من «حاء» و«ياء» ؛ فالحرف الأوّل يبعث على الأنس والمواصلة ، والثاني على الصبر والاحتمال والفتح والنصرة .

ووقوع الأوّل في اسم من الأسماء الحسنى يدفع تأثير ناريّة الشيطان ، لأنّ ذلك الحرف دافع للحرارة . واشتماله على الثاني سبب للهداية وكشف الأسرار ، كما هو مبيّن في فنّ الأعداد .[٢٠٤]

وزيادة الألف واللام من أجل تأثّر القلب في التأسّي بخصلة الأنبياء والاتّصاف بصفة الأصفياء ، والتأنّي في الثبوت في العمل ؛ وذلك الحرف هو ذات القلم الرسّام للأسرار .[٢٠٥]

⇐ حِينَ لَا حَيَّ ، يَا حَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (ثلاث مرّات) أَسْأَلُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (ثلاث مرّات) ، أَسْأَلُكَ يَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (ثلاث مرّات) ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ العَزِيزِ المُبِينِ (ثلاث مرّات) .

٢٠٤ـ علم الأعداد علم مستقلّ ، وقد ذكر قدر منه في علم «الجفر» ، وهو غير علم «الحروف» .

٢٠٥ـ يعني أنّ خصوص حرف «اللام» هو ذات القلم ؛ لأنّ لفظ القلم مكوّن من ثلاثة حروف : «القاف» ، «اللام» و«الميم» ، وأحد حروفه الذاتيّة حرف «اللام» . وباعتبار أنّ القلم رسّام الأسرار ، لأنّ كلّ مطلب إمّا يرسم بالقلم ، فإنّ حرف «ل» ـ وهو من ذاتيّات القلم ـ سيكون موجباً لرسم الأسرار في القلب ، وباعثاً على كشف الحقائق للذاكر .

فقد قضيتُ مدّة في الأربعينيّات المتعدّدة بطرق متعدّدة .

ثمّ انشغلتُ بسائر الأذكار ، واغتسلتُ في كلّ أربعين غُسل التوبة ، وتركتُ حظّاً ولذّة من حظوظ النفس ، وودّعتها الوداع الأخير .

وتوجّهتُ في كلّ يوم إلى سيّد من ساداتي ، فزرتُه بالزيارة التي اخترتُها بنفسي . وشرعتُ في ذلك يوم السبت ، لحديث شاهدته في هذا الباب[٢٠٦] . وكنت أُصلّي ركعتَين أهديهما لروحه

٢٠٦ـ نقل السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه هذا الحديث في «جمال الأُسبوع» ص ٢٥ ، عن ابن بابويه ، وهو عن صَقْر بن أبي دُلَف ، عن الإمام عليّ النقيّ عليه السلام . وهو حديث مفصّل ، وإجماله أنّ «صقر» يقول إنّه سأل الإمام عن حديث مرويّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **لَا تُعَادُوا الأَيَّامَ فَتُعَادِيكُمْ** ، لم يفهم معناه . فقال الإمام : نعم ، الأيّام نحن ما قامت السماوات والأرض ؛ فالسبت اسم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والأحد اسم أمير المؤمنين عليه السلام ، والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام ، والثلاثاء عليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام ، والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد وأنا ، والخميس ابني الحسن بن عليّ عليه السلام ، والجمعة ابن ابني ، وإليه تجتمع عصابة الحقّ ... ثمّ قال : ودِّع واخرُجْ فلا آمنُ عليك .

ثمّ نقل المرحوم السيّد ـ بعد هذا الحديث ـ حديثاً عن «القطب الراونديّ» ، روى فيه الأدعية التي يجب قراءتها للأئمّة في أيّام ⇦

المقدّسة وأتوسّل به .

وتعلّقت في كلّ جمعة بأذيال وليّ العصر متوسّلاً به ، وقرأت الزيارة والأدعية التي وردت في التوسّل به في ذلك اليوم .

وكنت أُصلّي على النبيّ وآله كلّ جمعة ألف مرّة كما هو المأثور .

وكانت أورادي في هذه الأيّام على نوعَين :

الأوّل : ما كان عليّ القيام به كلّ يوم ، وهو على النحو التالي : **الحَقّ** ، في الأسحار مائة مرتبة بعد صلاة ركعتَين ، مع رفع الأيدي إلى السماء ؛ **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ** ما بين السُّنّة والفرض أربعين مرّة[٢٠٧] ؛ **يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ** بعد الفرائض الخمسة بالعدد المجمل ١٦٩ مرّة أو المفصّل ٦١٩ مرّة ؛ «يا عليّ» بقصد الوليّ في الأسحار وبعد فريضة الصبح[٢٠٨] بالعدد المجمل ١٢١ مرّة ؛ «يا قريب» كلّ يوم بالعدد المجمل ٣٢٣ مرّة ؛ آية «المُلك» بعد فريضة الصبح ٢٢ مرّة[٢٠٩] ؛ «الله» في الأسحار بالعدد الكبير مع

⇦ الأُسبوع . فراجع كتاب «جمال الأُسبوع» .

٢٠٧ـ المراد ما بين صلاة الفريضة والنافلة .

٢٠٨ـ المراد أن يقول «عليّ» ، لكنّ مقصوده من عليّ وليّ الولاية الكبرى .

٢٠٩ـ المراد بآية المُلك : الآيتان ٢٦ و٢٧ ، من السورة ٣ : ⇦

الإمكان؛ «يا نور يا قدّوس» في الأسحار بالعدد المجمل ٤٤٨ مرّة.

الثاني: ما أتممته خلال هذه المدّة، ابتداء من ذكر **رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ** [٢١٠] أربعيناً بالعدد المجمل ٢٥٠٠ مرّة **يَا لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** [٢١١] أربعيناً بالعدد المجمل ٢٣٨٦ مرّة؛ «يا هادي» أربعيناً في كلّ يوم ٥٠٠٠ مرّة؛ وفي اليوم الأخير **«يَا هَادِيَ المُضِلِّينَ»** مائة مرّة؛ **«يَا فَتَّاحُ»** ثمانية عشرة يوماً، في كلّ يوم ٨٧٩٩ مرّة؛ «يا بصير» أربعيناً، في كلّ يوم بعد كلّ فريضة ١٣٣٠ مرّة؛ والغُسل كلّ يوم مع الإمكان؛ آية الكرسي بعد كلّ فريضة؛ النفي والإثبات المركّب والبسيط و«الله» و«هو» وسورة التوحيد والأعلى، كلّ واحد منها

⇐ آل عمران:

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ ... إلى **بِغَيْرِ حِسَابٍ**.

٢١٠ـ هذا الذكر منتزع من آية قرآنيّة، وهي دعاء النبيّ أيّوب في قوله: **أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ** (الآية ٨٣، من السورة ٢١: الأنبياء)، ولم يرد في الآية لفظة «رَبِّ».

٢١١ـ هذا الذكر منتزع من دعاء يونس الوارد في القرآن الكريم (الآية ٨٧، من السورة ٢١: الأنبياء): **لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ**، ولم يرد في الآية حرف النداء «يا».

ألف مرّة، وأربعينَين اثنين في الأسحار[٢١٢]؛ **يَا سُبُّوحُ يَا قُدُّوسُ** ستّة أربعينات، في كلّ يوم ٢٦٧٠ مرّة (الشرائط: الغُسل كلّ يوم مع الإمكان والصَّمْت والجوع)؛ **يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ** لمدّة مائة وثمانية أيّام، في كلّ يوم ١٢٠٠ مرّة (الشرط: ترك الطعام الحيوانيّ، بل تركه قبل ذلك بأربعين يوماً)؛ **يَا دَيَّانُ** لمدّة سبعين يوماً، في كلّ يوم ٥٠٠٠ مرّة؛ **يَا كَبِيرُ** ثلاثة أربعينات، في كلّ يوم وليلة ١٤٦٦ مرّة؛ وفي الأربعين الأخيرة ترك الطعام الحيوانيّ، وتكراره كلّ يوم ما أمكن[٢١٣]؛ ولو أمكن تكراره ٧٠٠٠٠ مرّة كان أفضل؛ **يَا نُورُ**

٢١٢ـ المراد أنّني قمت بكلّ واحد من هذه الأذكار ألف مرّة لمدّة أربعينين اثنين في الأسحار. يعني أنّني أتممت ذكر **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ألف مرّة في مدّة أربعينين اثنين، ثمّ قمت بذكر **لَا إِلَهَ إِلَّا هُو** بنفس هذه الكيفيّة، ثمّ ذكر «الله»، ثمّ ذكر «هو»، ثمّ سورة «التوحيد»، ثمّ سورة «الأعلى» ألف مرّة ولمدّة أربعين لكلّ واحد منها بصورة منفصلة. وقرأت في تمام هذه الأربعينات بعد الفريضة آية الكرسي. فيكون حرف العطف «الواو» في قول المصنّف رحمه الله «وأربعينَين اثنين» عطفاً على كلمة «ألف»، يعني أنّني فعلت كلّ واحد منها ألف مرّة، وفعلته في أربعينَين اثنين، لأنّ جمعها كلّها في الأسحار غير ممكن، بل إنّ قراءة سورة «الأعلى» لوحدها ألف مرّة في الأسحار غير ممكن.

٢١٣ـ المراد أنّني في الأربعين الأخيرة كنت أُكرِّر الذكر ما أمكنني، مضافاً إلى ١٤٦٦ في كلّ يوم وليلة، ولو كُرِّر ٧٠٠٠٠ مرّة كان أفضل.

بالعدد الكبير[214]، وفي الليالي أيضاً بهذا العدد من دون سورة، ابتداء من يوم السبت؛ **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ** لمدّة مائة وثمانين يوماً من السحر إلى الطلوع، أو من الطلوع إلى الاستواء، في كلّ يوم ٣٧١٦ مرّة؛ **يَا مُهَيْمِنُ** لمدّة أربعين واحد أو أربعينَين اثنين، في كلّ يوم ١٠٤٠ مرّة على غُسل وقبل التكلّم؛ **الله** أربعيناً واحداً، في كلّ يوم بقدر الإمكان[215] مع السعة (بشرط الصوم وترك النوم إلّا مع عدم الاختيار) ويجب إظهار الهمزة وإسكان الهاء[216] ثمّ يداوم بعد ذلك على هذا

٢١٤ـ يعني ٢٥٦ مرّة.

٢١٥ـ المراد أنّ ذكر «الله» يجاء به بلحاظ العدد بقدر الإمكان مع سعة الوقت وليس مع ضيق الوقت وعدم المجال.

٢١٦ـ لأنّ بعض الفِرَق يلفظون لفظ الجلالة «الله» متّصلاً بـ«هُوْ» بطريقة المدّ والجزر، فيرفعون رؤوسهم بقول الله، ويجعلون هاء الله هاء هُو، ثمّ يخفضون رؤوسهم عند تلفّظها، فيكونوا قد تلفّظوا مع كلمتي «الله» كلمة «هو» واحدة، ويكونون قد قالوا **اللهُو** وهو خطأ واضح، لذا صرّح المصنّف رحمه الله بأنّ هاء لفظ الجلالة يجب أن تُسكّن.

بَيدَ أنّ هذا التسكين ينبغي فعله حينما يُقرأ لفظ الجلالة مع كلمة **هُو** المباركة، أمّا إذا قرأت كلمة «الله» لوحدها، فإنّ هذا الخطأ لن يقع، بل إنّنا إذا قرأنا «الهاء» مضمومة، فإن همزة الله لمّا كانت همزة وصل تسقط عند درج الكلام، فإنّ ماهيّة كلمة الله ستبدو متغيّرة عند التكرار والوصل، إذ سيسمع آنذاك لفظ آخر. خلافاً لما إذا كنّا نسكّن الهاء، إذ سنجبر ⇦

الذكر.

ولقد أتممت العمل على هذه الكيفيّة. أمّا جمع بعض الأوراد مع بعضها الآخر في أيّام الأربعين فجائز، وأمّا مضاعفة المدّة في أحدها فمرخّص فيها. ويلزم في جميع هذه الأوراد الأربعينيّة الخلوة والتعطير واجتناب البُقول ذات الرائحة الكريهة، والافتتاح والاختتام بهذه الصلوات:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى المُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَالمُرْتَضَى عَلِيٍّ وَالبَتُولِ فَاطِمَةَ وَالسِّبْطَيْنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَصَلِّ عَلَى زَيْنِ العِبَادِ عَلِيٍّ وَالباقِرِ مُحَمَّدٍ وَالصَّادِقِ جَعْفَرٍ وَالكَاظِمِ مُوسَى وَالرِّضَا عَلِيٍّ وَالتَّقِيِّ مُحَمَّدٍ وَالنَّقِيِّ عَلِيٍّ وَالزَّكِيِّ العَسْكَرِيِّ الحَسَنِ وَصَلِّ عَلَى المَهْدِيِّ الهَادِي صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ وَخَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ وَقَاطِعِ البُرْهَانِ وَسَيِّدِ الإنْسِ وَالجَانِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

واعلم أنّ أصل عمل المراتب هي الأذكار، وأنّ الأوراد من أعوانها ومتمّماتها، فيحظر ترك بعض منها.

وقد اشتغلتُ في هذه الأيّام عند الفراغ بالمناجاة العلويّة

⇐ آنذاك على المجيء بهمزة القطع، فيُسمع عندئذٍ لفظ الجلالة دونما تغيير.

والسجّاديّة ، وتبرّكتُ بالأسماء المباركة للآل الأطهار والصحابة الكبار للرسول المختار والأركان الأربعة للملائكة الكرام والأنبياء العظام ومشايخ الشريعة وأساتذة الطريقة ، وسلّمت وترحّمت عليهم مفصّلاً في أكثر الأيّام ، وسألتُ من بواطنهم الهمّة .

يقول الناسخ[٢١٧] : لقد أنهيت مرّة الأربعينات بالطريق المذكور بقدر الإمكان ، وشرعت في المرّة الثانية ، وجعلتُ أوراد الأربعينات كلمات إدريس عليه السلام[٢١٨] حسب الترتيب والشرائط

٢١٧ـ لم يُعرّف الناسخ نفسه ، وقد كتب على حواشي بعض النسخ : **هو والد السيّد مصطفى الخوانساريّ** . وعلى أيّة حال ، فإنّ هذه المطالب التي سيذكرها الناسخ ليست جزءاً من الرسالة ، ولا علاقة بها مطلقاً ، والأفضل حذفها لخلوّ الفائدة منها .

٢١٨ـ المراد بكلمات إدريس عليه السلام أربعون اسماً من أسماء الله تعالى دعاه إدريس بها ، وقد فرّع بعد كلّ اسم منها جملة مثل :

يَا دَيَّانَ العِبَادِ فَكُلٌّ يَقُومُ خَاضِعاً لِرَهْبَتِهِ ، وَيَا خَالِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ فَكُلٌّ إِلَيْهِ مَعَادُهُ .

أجل ، فقد وردت هذه الأسماء والكلمات في هيئة دعاء يستحبّ قراءته في أسحار شهر رمضان .

وقد ذكرها الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ، وذكرها السيّد ابن طاووس في «الإقبال» ص ٨٠ و٨١ .

وأوردها المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٢٥١ ، وأوّلها :

سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَوَارِثَهُ ، يَا إِلَهَ الآلِهَةِ ⇦

ومقدار الأوقات الواردة في رسالة السيّد ابن طاووس رحمه الله[٢١٩] التي ألّفها في هذا الخصوص.

واشتغلت في مبادي الأربعينيّات أوّلاً بذكر **وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ** [الآية ١٦٣، من السورة ٢: البقرة] ١٠٨٠ مرّة في مجلس واحد، وفعلت ذلك عدّة مرّات.

وقرأتُ في مدّة ثلاثة أربعينات سورة «والعاديات» المباركة ٤٠٠٠٠ مرّة.

وقرأتُ في هذه الأربعينات الثلاث عقب كلّ فريضة سورة

⇐ **الرَّفِيعُ جَلَالُهُ، يَا اللهُ المَحْمُودُ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِ.**

وقال المرحوم السيّد بأنّه وجد في سند هذا الدعاء أنّ هذه هي الكلمات التي دعا بها إدريس ربّه، فرفعه الله إليه. وهذا الدعاء أفضل الأدعية ـ انتهى.

أقول: وأصحاب الدعوة يقولون لهذا الدعاء بخواصّ وعجائب وغرائب، ولهم في قراءته اهتمام شديد وسعي بليغ، وهم يواظبون على قراءتها لدفع الأمراض وشرّ الظالم، وحُسنِ عاقبة الدارَين، وغفران الذنوب، ونورانيّة القلب، وكثير من الأمور الأخرى.

٢١٩ـ يعني أنّ السيّد ابن طاووس قد كتب في هذا الباب رسالة عربيّة ثمّ ترجمها إلى الفارسيّة. وذكر في ترجمتها كيفيّة الأربعينات وفقاً لأربعين اسماً من أسماء الله تعالى، حسب الشرائط والترتيب وسائر الآداب والخصوصيّات المذكورة.

«الفاتحة» عشر مرّات. وجميع هذه الأذكار الثلاثة تنفع لدفع العوائق الدنيويّة.

وكنت أتوسّل أحياناً بروحانيّة عطارد، واستعين بها للهمّة.[220] ذلك أنّ أصحاب الأسرار يستعينون بروحانيّته. فإذا نظر إليه

٢٢٠ـ التوجّه إلى أيّ موجود من الموجودات إذا حصل بعنوان الاستقلال، فهو ممنوع؛ وإذا حصل بعنوان المظهريّة والمرآتيّة للّه تعالى، وبعنوان اسم من أسماء الله، فلا إشكال فيه عقلاً، سواء في ذلك كان التوجّه إلى عطارد أو إلى سائر الكواكب أو النفوس القدسيّة والأنبياء والأئمّة الطاهرين.

إِذَا تَجَلَّى حَبِيبِي فِي حَبِيبِي فَبِعَيْنِهِ أَنظُرْ إِلَيْهِ لَا بِعَيْنِي

وفي هذه الحال فإنّ الاستعانة حتّى بقطعة من التبن غلط ومُحرّم. أمّا الاستعانة بالله من نافذة هذا الاسم والصفة، فممدوح على الدوام.

وقد رُغّب في الشرع المقدّس في الاستعانة بأرواح أولياء الله والأنبياء والأئمّة والعلماء بالله بعنوان الآليّة والمظهريّة للّه تعالى. أمّا الاستعانة بالأرواح والكواكب والجانّ وسائر الجمادات، كالحجر والخشب ـ ولو بعنوان مظهريّة الله ـ فأمر لم يرد الترغيب فيه، بل هو غير منسجم مع روح الدين. ولعلّ السرّ في ذلك، هو أنّ الشرع المقدّس قد أراد لأفراد البشر أن يتعاملوا في مسيرتهم التكامليّة مع موجودات حيّة وروحانيّة، وليس مع موجودات لا حياة ولا روح لها في الظاهر، ولا مع التي لها أرواح ضعيفة وتافهة، مثل الجانّ. وثانياً أنّ التوجّه إلى الكوكب والحجر قد يجرّهم تدريجيّاً إلى الوثنيّة، ولذلك فقد سدّ الشرع هذا الطريق من أساسه.

المرء بعد غروب الشمس أو قبل طلوعها ـ حينما يمكن رؤيته ـ فليسلّم عليه ، وليخطُ تجاهه وليقل :

عَطَارُدُ أَيْمُ اللّهِ طَالَ تَرَقُّبِي
صَبَاحاً مَسَاءً كَي أَرَاكَ فَأَغْنَمَا

ثمّ يخطو خطوة أُخرى ويقول :

وَهَا أَنَا فَامْنَحْنِي قُوَىً أُدْرِكُ المُنَى
بِـهَا وَالعُلُومَ الغَامِضَاتِ تَكَرُّمَا

ثمّ يخطو أُخرى ويقول :

وَهَا أَنَا جُدْ لِي الخَيْرَ وَالسَّعْدَ كُلَّهُ
بِأَمْرِ مَلِيكٍ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَا

وتكرار هذا العمل في المبادئ أمر مطلوب.[٢٢١]

٢٢١ـ يقول المرحوم الحاجّ المولى أحمد النراقيّ رحمه الله في «الخزائن» ص ١١٤ : **فائدة** : من المشهور أنّ من يرى عطارد فينشد هذه الأشعار المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه سيحصل على خير كثير وقدرة :

عَطَارُدُ أَيْمُ اللّهِ طَالَ تَرَقُّبِي
صَبَاحاً مَسَاءً كَي أَرَاكَ فَأَغْنَمَا
فَهَا أَنَا فَامْنَحْنِي قُوَىً أَبْلُغَ المُنَى
وَدَرْكَ العُلُومِ الغَامِضَاتِ تَكَرُّمَا ⇦

وللأمكنة الشريفة والمساجد الكريمة والمشاهد المشرّفة في القابليّة للفيوضات الدخل الكبير، وأكثر أصحاب الحال قد فُتح لهم باب الفيض في أحد هذه الأماكن المكرّمة.

ويقول السيّد الجليل: «لقد انتابتني حال تفوق الوصف في «سُرَّ مَنْ رَأَى» من فيض ذلك المكان». وكان أكثر استقراره في أيوان يحاذي السرداب المقدّس. وقد قام السيّد بنفسه ببناء معبد

⇦ وَإِنْ تَكْفِنِي المَحْذُورَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ
بِأَمْرِ مَلِيكٍ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَا

ويقول العالِم المحترم حسن زاده الآمليّ في التعليقة: لم ترد هذه الأبيات في «الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام»؛ ويقول الميبديّ في شرح الديوان ضمن بيان أشعار:

خَوَّفَنِي مُنَجِّمٌ أَخُو خَبَلْ   تَرَاجُعَ المِرِّيخِ فِي بَيْتِ الحَمَلْ

يتّضح من هذه القطعة أنّ نسبة هذه الأبيات

* عطارد أيم الله طال ترقّبي *

إلى آخره، إلى أمير المؤمنين عليه السلام خلاف الواقع. وقد قال المولى المظفّر في «التنبيهات»: ونسب البعض هذه الأشعار إلى المولى عليه السلام. وقد ورد هذان البيتان في النسخ باختلاف كبير. انتهى.

وقد اتّضح من البيانات التي ذكرناها في الهامش السابق أنّ من المسلّم أن هذه الأشعار ليست لأمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ التوجّه إلى الكواكب والتوسّل بها مخالف لضرورة الإسلام.

⇦ * * *

عظيم في ذلك الموضع يُعرف بمسجد السيّد ابن طاووس ، بَيدَ أنّ آثاره انطمست ، فلم يبق له في زمننا هذا من أثر .

تمّت هذه الرسالة الشريفة المنسوبة إلى بحر العلوم ، بِيَدِ العبد **محمّد حسين الطباطبائيّ** ليلة الأحد ، العاشر من شوّال ، سنة ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين للهجرة .

تمّ استنساخ هذه النسخة ، على نسخة الأُستاذ الوحيد : سيّدنا الأعظم الحاجّ السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ أدام الله ظلّه

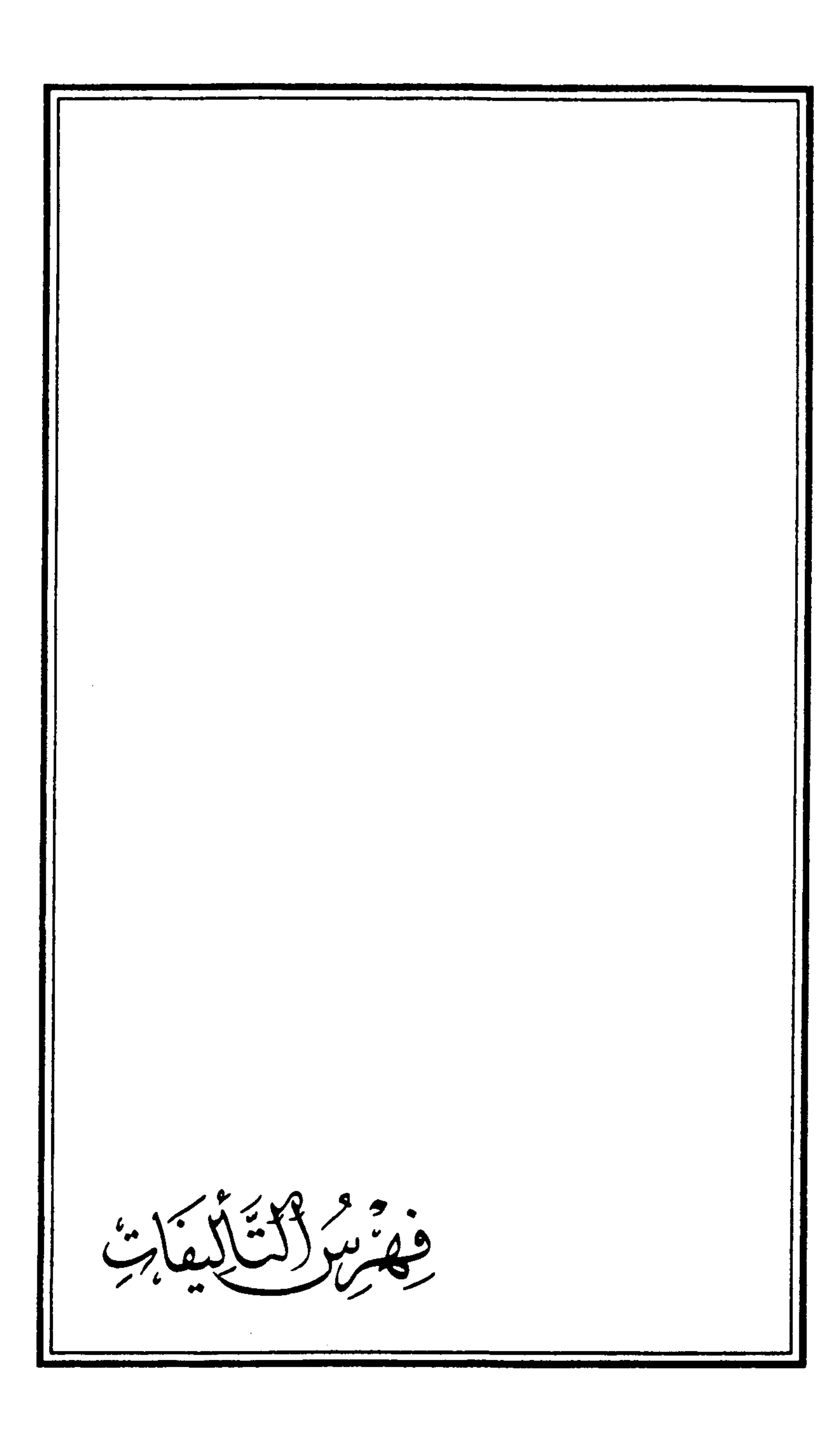
⇦ **للّهِ الحمدُ وله الشُّكر** أن مَنَّ الربّ المنّان بتوفيق كتابة شرح مختصر لهذه الرسالة النفيسة ، يبيّن مشكلاتها ، ويعيّن مصادر أحاديثها وأخبارها وأشعارها .

وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا بِاللَهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيبُ .

اللهمّ نسألك ونتضرّع إلى ساحة عظمتك وجلالك : بحقّ السابقين في ساحة العشق ، والمتلهّفين في وادي المحبّة ، والوالهين في عالم التحيّر ، والمجذوبين في مقام جذبة حريم قدسك ، أن تتقبّل هذه الخدمة اليسيرة من هذا الحقير الفقير إلى عالَم الأخلاق والولاية وعرفان ذاتك السبّوح القدّوس ، وأن تجعلها مورد لطف ورحمة محور عالَم القضاء والتقدير ، وقطب دائرة النزول والصعود : الإمام الحجّة ابن الحسن العسكريّ أرواحنا له الفداء ، **وَأَنْ تُدْخِلَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . اللَهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَنَعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الْمُخْلَصُونَ .** ⇦

الوارف ، بِيَدِ هذا الحقير الفقير محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ في يوم الأربعين : العشرين من شهر صفر الخير ، سنة ألف وثلاثمائة وسبع وسبعين للهجرة ، **والحمد للّه ربّ العالمين** .

⇦ تَمَّ بالخير والسعادة في عيد الفطر لسنة ألف وثلاثمائة وخمس وثمانين هجريّة ، بِيَدِ الراجي عفو ربِّه الغنيّ **السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ** عفى الله عن جرائمه . **وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ** .



فهرس التأليفات



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـوم مؤسّـسة ترجمـة ونشـر

(دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلّامة آية اللـه الحـاجّ السـيّد مـحمّد الحسـين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة **المعارف** ، وتشمل أقساماً ثلاثة :

١ ـ معرفة الله (١)

٢ ـ معرفة الإمام (٢)

٣ ـ معرفة المعاد (٣)

دورة **العلوم** ، وتشمل أقساماً أربعة :

١ ـ الأخلاق والحكمة والعرفان (٤)

٢ ـ الأبحاث التفسيريّة (٥)

٣ ـ الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)

٤ ـ الأبحاث التأريخيّة (٧)

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(١)

معرفة الله

١ ـ معرفة الله (الله شناسى)

أصل هذه الأبحاث دورة تفسيريّة جرى فيها المذاكرة والتحرير من الآية المباركة «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» إلى «وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ».

وقد جرى البحث والمذاكرة في هذه الأبحاث عن مسألة التوحيد الذاتيّ والأسمائيّ والأفعاليّ للذات المقدّسة للحقّ تعالى، وعن كيفيّة نشوء عالم الخلقة وربط الحادث بالقديم، ونزول نور الوجود في مظاهر الإمكان، وحقيقة الولاية وربط الموجودات بذات الباري تعالى وعن لقاء الله والوصول إلى ذاته المقدّسة بفناء الوجود المجازيّ المُعار واندكاكه في الوجود المطلق الأصيل الحقيقيّ.

وهذه بعض عناوين الكتاب:

رؤية الله ممكنة.

الله محبٌّ لما سواه ، وما سواه محبٌّ له .

إمكان رؤية الله ولقائه من قِبل المؤمنين المحسنين .

الله تعالى موجود في كلّ مكان ، فافتح عينيك وانظر .

منكرو لقاء الله هم الأخسرون .

الطرق المختلفة لمعرفة الله ـ عدا طريق لقائه ـ جميعها منحرفة ومعوجّة ومظلمة .

منطق القرآن يحصر كلّ كيفيّة وأثر للوجود في الله تعالى .

معنى تشخّص الوجود : **لَا هُوَ إِلَّا هُوَ** .

جميع الناس ـ عدا العارفين ـ ينظرون إلى الله تعالى بعين حَولاء .

القائلون بتأثير غير الله تعالى مُبتلون بالشرك الخفيّ .

الحشويّة والشيخيّة والقشريّة لا خَلاق لهم من الله تعالى .

إنحرافات الشيخ أحمد الأحسائيّ وأتباع منهجه في أمر التوحيد .

وهذه المجموعة (باللغة الفارسيّة)تحت الطبع حاليّاً .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٢)

معرفة الإمام

١ ـ معرفة الإمام (امام شناسى)

مجموعة من البحوث التفسيريّة ، الفلسفيّة ، الروائيّة ، التأريخيّة

والاجتماعيّة في الإمامة والولاية بشكل عامّ ، وفي إمامة وولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين بشكل خاصّ ؛ وذلك في هيئة دروس استدلاليّة علميّة متّخذة من القرآن الكريم والروايات الواردة عن الخاصّة والعامّة وأبحاث حِلّيّة ونقديّة عن الولاية .

وتضمّ هذه المجموعة (٢٧٠) درساً في ثمانية عشر جزءاً . وقد جرى فيها مناقشة وبحث مطالب من قبيل : العصمة ، الولاية التكوينيّة ، لزوم الإمام الحيّ ، لزوم متابعة الأعلم ، ضرورة وجود الإمام للمجتمع ، معنى الولاية ، شرح حجّة الوداع ، شرح واقعة غدير خمّ ، أحاديث الولاية ، حديث المنزلة ، شرائط القيادة ، علم الغيب ومجموعة علوم وقضايا ومحاكمات أمير المؤمنين عليه السلام ، معيّة الإمام للقرآن في جميع العوالم ، حديث الثقلين ، تقدّم الشيعة في جميع العلوم ، كتب الشيعة المؤلّفة ، مباحث عن الصحيفة السجّاديّة ، سير علوم الشيعة وتأريخهم من صدر الإسلام ، عظمة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ومقامها العلميّ ، الردّ على نظريّات وعقائد المذاهب المختلفة لأهل السنّة في الأُصول والفروع ، العلوم العالميّة للإمام الصادق عليه السلام ، العلوم الإسلاميّة للإمام الصادق عليه السلام ، خلود مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، وقيام معاوية لإفناء آثار النبوّة وتبديلها إلى سلطنة و ...

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٣)

معرفة المعاد

١ ـ معرفة المعاد (معاد شناسى)

تشمل ٧٥ مجلساً في كيفيّة سير الإنسان وحركته في الدنيا وعالم الغرور وكيفيّة تبدّل نشأة الغرور إلى عالم الحقائق والواقعيّات وارتحال الإنسان إلى الله وغاية الغايات.

وتقع هذه المجموعة في عشرة أجزاء طُبعت بأجمعها بالفارسيّة؛ وقد جرى فيها على نحوٍ وافٍ ومستفيض طرح مباحث من قبيل: عالم الصورة والبرزخ وكيفيّة ارتباط الأرواح هناك مع هذه العوالم، كيفيّة خلقة الملائكة ووظائفهم، النفخ في الصور وموت جميع الموجودات ثمّ إحياؤها وقيام الإنسان في ساحة الحضرة الأُحديّة، عالم الحشر والنشور والحساب والكتاب والجزاء والعرض والسؤال والميزان والصراط والشفاعة والأعراف والجنّة والنار؛ وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة وأخبار المعصومين ومن الأدلّة العقليّة والفلسفيّة والمطالب الذوقيّة والعرفانيّة.

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٤)

الأخلاق والحكمة والعرفان

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالهٔ سير وسلوك منسوب به بحر العلوم)

جرى في هذه الرسالة، إضافةً إلى شرح حال المرحوم بحر العلوم وصحّة انتساب هذه الرسالة له، بيانُ حقيقة ومقصد السلوك إلى الله سبحانه، كيفيّة السلوك إلى الله وآثاره، وطريقة ذكر العلّامة بحر العلوم، وذلك بشرحٍ مفصّل من قبل العلّامة آية الله قدّس سرّه.

٢ ـ رسالة لُبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب

(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير وسلوك أُولى الألباب)

أصل هذه الرسالة أُسّ ومخّ أوّل دورة من الدروس الأخلاقيّة والعرفانيّة للعلّامة المفسّر والحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائيّ قدّس سرّه في الحوزة العلميّة في قم، وقد دوّنت من قبل سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه بعنوان تقريرات، ثمّ طُبعت مع تنقيحات وإضافات لسماحته.

وقد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفيّة السير والسلوك إلى الله بشكل

إجماليّ وتفصيليّ ، وشرح تفصيليّ للعوالم المقدّمة على عالم الخلوص ، وطرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك ، مراتب المراقبة ، لزوم الأُستاذ ، والطرق المختلفة لنفي الخواطر ، وذلك بأُسلوبٍ جامع وجميل .

٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علمیّ وعينیّ)

سلسلة رسائل حكميّة وعرفانيّة بين آيتين عَلَمَينِ هما : الحاجّ السيّد أحمد الكربلائيّ والحاجّ الشيخ محمّد حسين الإصبهانيّ (الكمبانيّ) حول بيتٍ واحد من الشعر للعطّار النيسابوريّ ، حيث فسّر كلٌّ من هذين العَلَمَينِ ذلك البيت وفق مذاقه في العرفان والحكمة .

وبسبب اشتمال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيديّة عرفانيّة وفلسفيّة برهانيّة ، فقد كتب سماحة العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه ضمن دروسه في الحوزة العلميّة في قم تذييلات ومحاكمات من ستّة أقسام على الرسائل الثلاث الأُولى المتبادلة بين المرحومينِ الشيخ والسيّد ثمّ حرّر سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه ثمانية تذييلات على الرسائل الأربع الأُخرى للمرحومينِ المذكورينِ بعنوان تتمّة لتذييلات العلّامة الطباطبائيّ .

وقد جيء في هذه المجموعة بمقدّمة حول هويّة أصل الرسائل والعرفاء الأجلّاء الذين جرى التطرّق إلى أسمائهم فيها .

٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)

يمثّل هذا الكتاب تأبين ومحاورات التلميذ مع العلّامة العارف بالله وبأمر الله السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ قدّس الله تربته، ويشمل قسمين يتطرّق سماحة العلّامة آية الله المؤلّف قدّس سرّه في أوّلهما لبيان تأريخ حياة العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه وأُسلوبه العلميّ والفلسفيّ والعرفانيّ والتفسيريّ ولبيان أحوال ثلّة من الأجلّاء، في حين يتطرّق في القسم الثاني إلى ذكر بعض محاوراته مع العلّامة الطباطبائيّ التي تشمل أبحاثاً قرآنيّة وفلسفيّة وعرفانيّة وأخلاقيّة وعلميّة وتأريخيّة.

٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرّد)

في تأبين الموحّد العظيم والعارف الكبير الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ الحدّاد أفاض الله علينا من بركات تربته، من أقدم وأفضل تلامذة الأخلاقيّ الكبير العارف بالله وبأمر الله آية الله العظمى الحاجّ السيّد علي القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ نفعنا الله والمسلمين من بركات علومه.

وقد ذكر في هذا الكتاب كيفيّة تشرّف سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه بالحضور في محضر سماحة الحدّاد، وعن كيفيّة حياته وسيرته العمليّة وحالاته ومقاماته التوحيديّة وأحوال تلامذته. وتطرّق ضمن بيان أسفار سماحته إلى ذكر المباحث التوحيديّة الدقيقة، والسلوك إلى الله، ولزوم متابعة الأُستاذ، وإلى الدفاع عن العرفان والعرفاء بالله، وإلى ردّ

التُّهم غير اللائقة التي وُجّهت إلى محيي الدين بن عربي ، وإلى معنى وحدة الوجود و ... .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٥)

الأبحاث التفسيريّة

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ

أُلّفت هذه الرسالة بالعربيّة في تفسير آية «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ» وتتضمّن دروساً استدلاليّة في مورد جهاد وقضاء وحكومة المرأة ، وبحثاً في فلسفة حقوق المرأة والرجل ومعنى تساوي حقوق المرأة والرجل ، وحدود مشاركة النساء في الجهاد ، وروايات وإجماع الفقهاء في عدم جواز تصدّي المرأة لمناصب الحكومة والقضاء وعدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى (المجلس النيابيّ) .

وتضمّ هذه المجموعة مطالب تفسيريّة ، روائيّة ، فقهيّة ، علميّة واجتماعيّة ؛ كما جرى البحث فيها ـ للمناسبة ـ عن ولاية الفقيه .

وقد تُرجمت هذه الرسالة من قبل عدّة من الفضلاء إلى الفارسيّة لتعميم الفائدة منها .

٢ ـ رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور

القمريّة (رسالة نوين)

بحث تفسيريّ ، روائيّ ، فقهيّ وتأريخيّ حول بناء الإسلام على السنة والشهور القمريّة ، جرى خلاله البحث في تفسير آية «إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ» والخطبة المعروفة لرسول الله في مِنى ، وفي تفسير آية «النسيء» .

ومن الأبحاث الأُخرى لهذا الكتاب ، عدم مشروعيّة تبديل الأشهر القمريّة إلى الشمسيّة، التدخّل المباشر للأجانب في تغيير تأريخ المسلمين على يد مجلس الشورى الوطنيّ الاستعماريّ خلال ثلاث مراحل تدريجيّة ، انقراض العائلة البهلويّة أثر إعلان نسخ التأريخ المحمّديّ ، وفوائد السنة القمريّة ومضارّ السنة الشمسيّة .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٦)

الأبحاث العلميّة والفقهيّة

١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال

مجموعة مراسلات ومكاتبات سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه مع أحد أساتذته في علم الأُصول : المرحوم آية الله الحاجّ السيّد أبي القاسم الخوئيّ تغمّده الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الأشهر القمريّة . ويضمّ هذا الكتاب بحوثاً علميّة ، فقهيّة ، فنيّة وحلّيّة

موسوعيّة تتضمّن خمس رسائل للطرفين وباللغة العربيّة .

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام

(وظيفهٔ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)

مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على أساس الحقائق التأريخيّة على هيئة دروس ستّة ، من إنشاء سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه للفضلاء من طلّاب مدينة مشهد المقدّسة ، وبجمع وتنظيم أحد الفضلاء .

وبعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن : لزوم تأسيس الحكومة وإعداد مقدّماتها ، العلاقات الأكيدة للمؤلّف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخمينيّ قدّس سرّه في تأسيس حكومة الإسلام ، سجن آية الله الخمينيّ والنشاط الحثيث للمؤلّف في تخليصه من الإعدام ، حقّ التقاضي القنصليّ (كاپيتولاسيون) ، نصّ رسالة سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه حول مسوّدة القانون الأساسيّ إلى آية الله الخمينيّ واقتراحاته العشرون إلى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد آية الله الشيخ مرتضى المطهّريّ ، مع صورة كيفيّة تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة الأثر في الجمعيّة الإسلاميّة لمسجد القائم في طهران .

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام

(ولايت فقيه در حكومت اسلام)

تتحدّث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الإسلام ، وقد جرى بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، حيث جُمعت ونظّمت من قبل اثنين من الفضلاء في أربعة أجزاء تضمّ ٤٨ درساً .

وقد جرى في هذه المجموعة البحث والتحقيق في مطالب من قبيل : دلائل ولاية الفقيه وشرائطها وموانعها ، حقيقة ولاية الإمام والفقيه العادل الجامع للشرائط وحدودها وثغراتها ، وأُسلوب الحكم في الإسلام وواجب الناس تجاهه ، وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة والروايات والأبحاث الفقهيّة والعلميّة والشواهد التأريخيّة والاجتماعيّة .

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن)

هذه المجموعة في القسم الأوّل من دورة أنوار الملكوت (الشاملة لنور ملكوت القرآن ، نور ملكوت المسجد ، نور ملكوت الصلاة ، نور ملكوت الصيام ، ونور ملكوت الدعاء) .

وقد دوّنت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في أربعة أجزاء ، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن إلى أفضل مناهج وسُبل السلام ، خلود أحكام القرآن ، عدم نسخ القرآن ، التطبيق العمليّ لآحاد آيات القرآن في كلّ عصر ، الردّ على نظريّة تحديد النسل ، دور القرآن وموقعه بعنوان كتاب سماويّ ، نقد ومناقشة بعض الأفهام الخاطئة للآيات القرآنيّة الكريمة ، والإشكالات الواردة على مقالة «بسط وقبض تئوريك شريعت» (= بسط

وقبض نظريّة الشريعة) وكتاب «دانش و أرزش» (= الفكر والقيم)، وكذلك كتاب «خلقت انسان» (= خلقة الإنسان) و «تكامل در قرآن» (= التكامل في القرآن) و «راه طيّ شده» (= الطريق المطويّ).

ومن العناوين الأُخرى لهذه المجموعة: منطق القرآن توحيديّ؛ بيان القرآن لأخطاء التوراة والإنجيل؛ أحكام القرآن في الجهاد، القتل، الاسترقاق، والفدية؛ سير القرآن في آيات الأنفس والآفاق؛ بيان محكمات القرآن ومتشابهاته؛ كيفيّة قراءة القرآن في الصلاة وغيرها؛ تأثير القرآن في تربية الإنسان الكامل؛ عظمة أخلاق القرآن؛ بيان كيفيّة خلقة الإنسان والسيّارات في القرآن؛ دعوة الآيات الآفاقيّة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق؛ العربيّة وإعجاز القرآن؛ لزوم التكلّم بالعربيّة لجميع المسلمين والردّ على مسألة إحياء اللغات الفارسيّة القديمة؛ عظمة القرآن الكريم وأصالته؛ تأثير القرآن في الحضارة الإسلاميّة العظيمة، تفوّق علوم الإسلام على اليونان؛ بيان كيفيّة كتابة القرآن وطباعته؛ تأريخ التوراة والإنجيل الحاليّين؛ قاطعيّة القرآن وشموله؛ عموميّة القرآن الكريم وامتناعه على التغيير؛ كيفيّة جمع القرآن وتدوينه.

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش(نگرشى بر مقالهٔ بسط وقبض تئوريك شريعت دكتر عبدالكريم سروش)

قام سماحة آية الله العلّامة قدّس سرّه العالي في هذا الكتاب ـ ضمن بيانه لعشرة إشكالات مهمة من إشكالات مقالة «بسط وقبض نظريّة الشريعة» للدكتور عبد الكريم سروش ـ بالإجابة في أحسن وجهٍ وأتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجّيّة القرآن وخلوده وعلى جميع مقدّسات العالم وحقائقه .

وكان هذا الكتاب في الأصل يشكّل القسم الأعظم من الجزء الثاني لكتاب «نور ملكوت القرآن» ، وطُبع مستقلّاً دون تصرّف نظراً لأهمّيّة الموضوع ، وبناءً على اقتراح بعض العلماء ، ولتسهيل أمر تناوله من قبل الأساتذة وطلبة الجامعات والمحقّقين ، فيُهدى إلى مَن ينشدون سبيل الحقيقة وسُبل السلام .

وهذه بعض عناوين الكتاب :

أصالة وخلود الدين الإلهيّ ومحدوديّة الفهم البشريّ ، عظمة العلوم الإسلاميّة وتفوّقها على العلوم الحاليّة ، أساس الحوزات العلميّة قائم على القرآن والعرفان ، إعراض دعاة الانفتاح عن المباني الإسلاميّة بتأثير من الثقافة الأجنبيّة ، بُرهان العلّامة الطباطبائيّ في استناد العلل الطبيعيّة إلى العلل المجرّدة ، منطق القرآن حجّيّة العقل واليقين لا الفرضيّات الوهميّة .

٦ ـ الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان : «الحدّ من عدد

السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)

(رسالهٔ نكاحيّة : كاهش جمعيّت ، ضربه‌ای سهمگین بر پیکر مسلمین)

أصل هذه الرسالة قسمٌ من الجزء الأوّل لكتاب «نور ملكوت القرآن» جرى فيه البحث في تفسير آية **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ**» . ونظراً لأهمّيّة المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب وطُبعت بشكل مستقلّ باسم «**الرسالة النكاحيّة**» . وبالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلفت الأنظار في وقت طبع هذه الرسالة ـ حيث تنقضي سنواتٌ خمس على ارتحال الفقيد المعظّم القائد الكبير للثورة الإسلاميّة ـ تحت عنوان تنظيم العائلة والحدّ من عدد السكّان ، فقد عمد سماحة آية الله العلّامة إلى كتابة تذييلات على هذه الرسالة ، وفسّر اسم الرسالة النكاحيّة بعطف جملة «**تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين**» ، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمّت ثلاثة عشر مطلباً ، تحليل مسألة تحديد النسل من وجهة نظر القرآن والإسلام ، كما أُزيح الستار فيها عن السياسات الاستعماريّة الخادعة الرامية إلى تقليل قوّة المسلمين .

وبعض العناوين التي تتصدّر هذه التذييلات هي :

الهجوم العنيف للاستكبار العالميّ بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للثورة ؛ عدم الرجوع إلى رأى المجتهدين والفقهاء حتّى إلى فتوى آية الله الخمينيّ (ره) ؛ وجهة نظر سماحة آية الله الخامنئيّ في مسألة تحديد

النسل ؛ إحصائيّات خسائر النساء والرجال في خصوص مسألة إغلاق الأنابيب ؛ حُرمة إغلاق الأنابيب وتعلّق الدية الكاملة بها ، تضادّ فلسفة الإسلام وروح الإيمان مع تحديد النسل .

٧ ـ **رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ** (نامۀ پيش نويس قانون أساسى)

تبدأ هذه الرسالة بالآية الكريمة «**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**» ، وتعكس وجهات نظر سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه الحاكية عن دقّة نظره وتبصّره في المسائل الدينيّة والسياسيّة . وقد جرى في تلك الرسالة نقد وإصلاح أُصول مسوّدة القانون الأساسيّ وفقاً للموازين والمعايير الإسلاميّة .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٧)

الأبحاث التأريخيّة

١ ـ **لَمَعات الحُسين** عليه السلام

حاوية لبعض كلمات ومواعظ وخطب سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام مع ترجمتها وذكر مصادرها من الكتب المعتبرة ،

وهي ـ لاختصارها وبساطتها ـ قابلة للحفظ من قبل العموم ، وخاصّة طلّاب العلوم الدينيّة وطلبة الجامعات الملتزمين .

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه وسپيد)

وتشمل هذه الكرّاسة رسالة من أمير أهل الخلاف في بخارا وجوابها من قبل أمير أهل الولاء في خراسان ، حول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته بلا فصل ، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن ؛ ويمكن عدّها لإنشائها الرائع ومنطقها المتين وبُرهانها السديد وخطّها الجميل الظريف من بدائع التحريرات . وقد طُبعت هذه المجموعة مع مقدّمة وتحقيق من قبل سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه ، وأُهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير خمّ إلى الإخوة المؤمنين والطلبة المتتبّعين لمعارف أهل اليقين .

* * *

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتي بادرت «مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة» إلى ترجمتها وتقديمها تدريجيّاً إلى القرّاء المحترمين ، وهناك مجموعة أُخرى للمؤلّف لم تنشر بعد .